مجلة العلوم العربية

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد الرابع والستون
رجب ١٤٤٣هـ

الجزء الأول

عمادة البحث العلمي
Deanship of Academic Research

www.imamu.edu.sa
e-mail : arabicjournal@imamu.edu.sa

رقم الإيداع :٣٥٦٣ / ١٤٢٩ بتاريخ ١٩ / ٠٦ / ١٤٢٩هـ
الرقم الدولي المعياري (ردمد) ٤١٩٨ ـ ١٦٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المشرف العام
الأستاذ الدكتور/ أحمد بن سالم العامري
معالي رئيس الجامعة

نائب المشرف العام
الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن عبدالعزيز التميم
وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور/ سعود بن عبد العزيز الخنين
الأستاذ في قسم النحو والصرف وفقه اللغة - كلية اللغة العربية

مدير التحرير
الدكتور/ عبدالعزيز بن علي الغامدي
وكيل عمادة البحث العلمي

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. إبراهيم بن عبد العزيز أبو حيمد
الأستاذ في قسم علم اللغة التطبيقي – معهد تعليم اللغة العربية

أ.د. إبراهيم بن محمد أبا نمي
الأستاذ في قسم الأدب – كلية اللغة العربية

أ. د. محمد محمد أبو موسى
الأستاذ في قسم البلاغة والنقد – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر

أ.د. نوال بنت إبراهيم الحلوة
الأستاذ في قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

أ. د. يوسف بن عبد الله العليوي
الأستاذ في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي – كلية اللغة العربية

أ.د. ممدوح إبراهيم محمود
أمين تحرير مجلة الجامعة - عمادة البحث العلمي

قواعد النشر

مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العلوم العربية) دورية علمية محكمة، تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة. وتُعنى بنشر البحوث العلمية وفق الضوابط الآتية :

أولاً : يشترط في البحث ليقبل للنشر في المجلة :

١- أن يتسم بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه .

٢- أن يلتزم بالمناهج والأدوات والوسائل العلمية المعتبرة في مجاله .

٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج .

٤- أن يتسم بالسلامة اللغوية .

٥- ألا يكون قد سبق نشره .

٦- ألا يكون مستلاً من بحث أو رسالة أو كتاب، سواء أكان ذلك للباحث نفسه، أم لغيره .

ثانياً : يشترط عند تقديم البحث :

١- أن يقدم الباحث طلباً بنشره، مشفوعاً بسيرته الذاتية(مختصرة) وإقراراً يتضمن امتلاك الباحث لحقوق الملكية الفكرية للبحث كاملاً، والتزاماً بعدم نشر البحث إلا بعد موافقة خطية من هيئة التحرير .

٢- أن يكون البحث في حدود (٥٠) صفحة مقاس (A 4) .

٣- أن يكون حجم المتن (١٧) Traditional Arabic، والهوامش حجم (١٤) وأن يكون تباعد المسافات بين الأسطر (مفرد) .

٤- يقدم الباحث نسخة مطبوعة من البحث، ونسخة حاسوبية مع ملخص باللغتين العربية والإنجليزية، لا تزيد كلماته عن مائتي كلمة أو صفحة واحدة .

ثالثاً: التوثيق :

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة .

٢- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث .

٣ - توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط المحقق في مكانها المناسب .

٤ - ترفق جميع الصور والرسومات المتعلقة بالبحث، على أن تكون واضحة جلية .

رابعاً : عند ورود أسماء الأعلام في متن البحث أو الدراسة تذكر سنة الوفاة بالتاريخ الهجري إذا كان العَلَم متوفى .

خامساً : عند ورود الأعلام الأجنبية في متن البحث أو الدراسة فإنها تكتب بحروف عربية وتوضع بين قوسين بحروف لاتينية، مع الاكتفاء بذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة .

سادساً : تُحكَّم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين من المحكمين على الأقل.

سابعاً : تُعاد البحوث معدلة، على أسطوانة مدمجة CD أو ترسل على البريد الإلكتروني للمجلة .

ثامناً: لا تعاد البحوث إلى أصحابها، عند عدم قبولها للنشر .

تاسعاً : يُعطى الباحث نسختين من المجلة، وعشر مستلات من بحثه .

عنوان المجلة :

جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة العلوم العربية

الرياض ١١٤٣٢- ص ب ٥٧٠١

هاتف : ٢٥٨٢٠٥١ - ناسوخ (فاكس) ٢٥٩٠٢٦١

www. imamu.edu.sa

E.mail: Arabicjournal@imamu.edu.sa

المحتويات

كتاب رصف المباني للمَالَقِيّ وكتاب الجَنَى الدَانِي للمُرَادِيّ دراسة موازنَة د. عبد الله محمد حيَّاني	١٣
الاستدلال بعدم الدليل عند ابن مالك في شرح التسهيل د. حمادة محمد حسين أحمد بودي	٨٥
بنية الفعل الثلاثي اللازم وعلاقتها بالمشتقات الوصفية دراسة تحليلية دلالية د. أسماء بنت علي الموزان	١٩٣
التَّنْمِيطُ الْفَخْرِيُّ الْحَمَاسِيُّ بَيْنَ ذَاتِيَّةِ الارْتِقَاءِ وَجَمْعِيَّةِ الانْتِمَاءِ دَرْسٌ اسْتِقْرَائِيٌّ لِشِعْرِ عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ د. طه غالب عبد الرَّحيم طه	٢٥١
ملامح المجتمع السوداني في قصص: "دومة ود حامد" للطيب صالح أ.د. عبدالرحمن بن أحمد السبت	٣٥٣

كتاب رصف المباني للمَالَقِيِّ وكتاب الجَنَى الدَانِي للمُرَادِيِّ
دراسة موازِنَة

د. عبد الله محمد حيَّاني
قسم اللغة العربية– كلية الآداب
جامعة الملك فيصل

كتاب رصف المباني للمَالَقِيّ وكتاب الجَنَى الدَانِي للمُرَادِيّ
دراسة موازِنَة

د. عبد الله محمد حيَّاني

قسم الآداب – كلية الآداب
جامعة الملك فيصل

تاريخ تقديم البحث: ١٠/ ٢/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٣/ ٧/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

أجرت الدراسة موازنة بين كتاب رصف المباني في شرح حروف المعاني لِلمَالَقيّ الأندلسي (ت:٧٠٢هـ) وكتاب الجنى الداني في حروف المعاني لِلمُرادِيّ المشرِقي (ت: ٧٤٩هـ) لإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما. واشتملت الدراسة بعد المقدمة على تعريف موجَز بالمؤَلِّفَين، ثم الكلام عن الكتابين بصورة عامة، وتلا ذلك الموازنة بينهما في المنهج: في اللغة، والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر، والمصادر. ثم اتجه الدرس إلى الموازنة بين الكتابين في المادة العلمية: في عرض المادة العلمية، والاعتراض في المصَنَّفَين، واعتراضات المرادي على المالقي. وخُتِم البحث بخلاصة أوجزت أهم نتائج الدراسة. وذُيِّل البحث بقائمة مصادر الدراسة ومراجعها.

الكلمات المفتاحية: الجنى الداني، رصف المباني، المالقي، المرادي، حروف المعاني، موازنة.

A Comparative Study for Almalqi,s book Composing Structures with Almuradi,s book Oncoming Produce

Dr. ABDULLAH MOHAMMAD HAYANI
Arabic Department - Faculty of Arts
King Faisal University

Abstract:

Rasfu'l Ma'ani (by Al-Malaqui) and Al-Jana Ad-Dani (by Al-Muradi): A Comparative Study between "Rasfu'l Ma'ani" (a book by Al-Malaqui, 702H, on particular linguistics - Huruf al-Ma'ani) and "Al-Jana Ad-Dani" (a book by Al-Muradi, 749 Hijri of the same theme The study includes an introduction, followed by a briefing on the biography of the two authors. It provides a general explanation of both books and a methodological comparison in terms of linguistics and the sources from the holy Quran, Hadith, and poetry. The comparative study also addresses the debates between the two authors and ends with a conclusion and remarks.

key words: ALjinaa ALdaani، Rasaf ALmabani ،ALmalaqiu ،ALmuradi ، Huruf ALmaeani ،Muazana.

المقدِّمــة:

أحمد الله تعالى الذي وجهني لخدمة لغة كتابه الكريم، وأصلِّي وأُسلِّم على خِيرة خلْقه ورُسِله؛ سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه. وبعد:

فقد بدأت الدراسات النحوية الموازنة بالظهور بعد نضج علمي النحو والصرف؛ وذلك بعد تأصل المذهبين الرئيسين: البصري والكوفي، وتمثَّل ذلك في النقولات عن المتقدمين من البصريين والكوفيين، والموازنة بين آرائهم، والترجيح بينها أحياناً. وتجسد هذا في معظم كتب العربية المصنَّفة وقتئذٍ؛ منها: كتاب (الإيضاح في علل النحو) للزجَّاجي (ت: ٣٣٧هـ)، و(الحجَّة في القراءات السبع) لأبي علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)، و(الخصائص) لابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، وغيرها من الكتب التي تسرد آراء الفريقين لتقف مع أحدهما مع تبيان ما له، وما على الرأي الآخر. لكنَّ هذه المصنفات لم تقصد إبراز وجوه الاتفاق والاختلاف بين المذهبين قصداً، بل أرادت تأصيل الحكم النحوي أو الصرفي، ولا يتمُّ ذلك إلا بعرض الآراء المتخالفة للخلوص إلى رأي يراه صاحب المصنَّف.

وهناك كتب للقدماء قصدت الخلاف النحوي والصرفي بين المذهبين، وهي من قبيل الدراسات الموازنة، وإنْ لم يسمِّها أصحابها بذلك؛ منها: كتاب (اختلاف النحويين) لأبي العباس ثعلب (ت: ٢٩١هـ)، و(المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون) لابن كيسان (ت: ٢٩٩هـ)، و(المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين) لأبي جعفر النحاس (ت: ٣٣٨ هـ)، و(الخلاف بين النحويين) لأبي الحسن الرماني (ت:

٣٨٤هـ)، و(الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين) لأبي البركات الأنباري (ت: ٥٧٧ هـ)، و(التبيين في اختلاف البصريين والكوفيين) لأبي البقاء العكبري (ت: ٦١٦ هـ)، و(نزهة العين في اختلاف المذهبين) لأبي الحسن علي بن عدلان (ت: ٦٦٦ هـ)، و(الإسعاف في مسائل الخلاف) لابن إياز البغدادي (ت: ٦٨١ هـ)، و(ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة)

لأبي عبد الله عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي (ت: ٨٠٢ هـ) الذي اقتفى فيه أثر الأنباري في إنصافه؛ فوزَّع كتابه على مسائل، وأفاد من الإنصاف وزاد عليه مسألة واحدة ومئة(١٠١) وكَثُرما وافق فيه الأنباريَ في موافقاته أو مخالفاته للمذهبين[1].

أمَّا مصطلح (الموازنة) فقد استعمله من القدماء الأدباءُ ليس النحويين وأهلَ اللغة ــ فيما أعلم ــ ومنهم: أبو الفرج الأصبهاني (ت: ٣٥٦هـ) في كتابه (الموازنة)، و أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت: ٣٧١هـ) في كتابه (الموازنة بين الطائِيَّين).

وقد نشطت هذه الدراسات في معظم جامعاتنا العربية وغيرها.

(١) انظر مقدمة كتاب ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة لعبداللطيف بن أبي بكر الشرجي لمحققه الدكتور طارق الجنابي(ص١٢) عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ.

وشغل الحديث عن الأدوات ساحة واسعة من كتب النحويين؛ فلا يخلو مُصَنَّف من الخوض فيها؛ من حيث كونها حرفاً أو اسماً أو فعلاً، مع بيان عملها وأحكامه. وتصدَّر هذا مؤلفاتٌ خُصَّ الكلام فيها على الأدوات، الموسومة بكتب حروف المعاني. وكان مادةَ هذا البحث سِفْرَان، لهما ذيوع كبير بين فقهاء العربية؛ هما: رصفُ المباني في شرح حروف المعاني، للإمام أحمد ابن عبد النور المالقي (ت: ٧٠٢هـ)، والجنى الدانِي في حروف المعاني، للإمام الحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ). وإن القرب الزمني بين مؤَلِفَيهِما، ووحدة الموضوع بين دفتيهما، ثم اختلاف البيئة المكانية بين المالقي الأندلسي، والمرادي المشرقي، وإفادة الثاني من الأول بكثرة؛ كان ذلك كلُّه الداعيَ إلى الموازنة بين هذين الكتابين؛ إيضاحاً لأوجه الاتفاق والافتراق بينهما، وبياناً لأثر رصف المباني في كتاب الجنى الداني. وسلكتُ طريق الوصف والمقارنة، وقمت بعد هذا التقديم بالتعريف الموجَز بالمالقي والمرادي، ثم تحدثت عن الكتابين معرِّفاً بهما تعريفاً عاماً، ثم ولجتُ للموازنة بين الكِتابين؛ لغَتِهما، ومنهجهما في التعامل مع آيات القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر. وأعقبت ذلك بالكلام على مصادرهما. ثم شرعت في الموازنة بين المؤَلِّفَين في عرض المادة العلمية. وكان لزاماً عليَّ الحديث عن الاعتراض عندهما؛ لكونه غنيًّاً في الكتابين، وتلا ذلك كلامٌ عن اعتراضات المرادي على المالقي. ثم سطَّرتُ أهم نتائج البحث في الخلاصة. وصنعت ثبتاً بمصادر البحث ومراجعه التي أفدتُ منها، سائلاً مولاي الكريم أن يجزي أصحابها أوفى جزاء عن العلم وأهله.

اللهم تقبَّل مني ما كتبتُ، وتجاوز عن زَلَّتي، وارضَ عني بكرمك يا رحمن.

يتوجه الباحث بالشكر الجزيل لعمادة البحث العلمي، بجامعة الملك فيصل، على دعمها المادي والمعنوي في تمويل هذا المشروع البحثي، رقم (١٨٠٠٦٧).

التعريف بالمالقي[١]:

هو أبو جعفر؛ أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد المالقي، نسبة إلى مَالَقَة التي وُلد فيها سنة (٦٣٠هـ) ثلاثين وستمئة للهجرة. عُرِف عنه عزوفه الشديد عن الدنيا، وعيشه حياة الفقراء، وانشغاله بالعلم. واقتصرت رحلاته على البيئة الأندلسية؛ فرحل إلى سِبْتَة والمرِيَّة وبَرْجَة وغرناطة.

لم يُعرف بوفرة الشيوخ؛ ومن أبرز مَنْ أخذ عنهم: أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مفرج المالقي (ت:٦٥٧هـ) والخطيب أبو الحجاج يوسف بن إبراهيم بن يوسف الأنصاري المالقي المربلي (ت: ٦٧٢هـ) وأبو الحسن بن الأخضر

---

(١) ترجم له في: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص ٧٨) تحقيق محمد المصري، دار سعد الدين للنشر والتوزيع بدمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني (١: ٢٢٨) مراقبة محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف بحيدر أباد بالهند، الطبعة الثانية:١٣٩٢، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي (١: ٣٣١-٣٣٢) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية ببيروت، والدكتور أحمد محمد الخراط في تحقيقه كتاب رصف المباني في شرح حروف المعاني (ص١٣-١٩) دار القلم بدمشق، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ، وفداء حمدي رفيق فتوح في أطروحتها لدرجة الماجستير (الشاهد النحوي بين كتابي معاني الحروف للرماني ورصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، دراسة مقارنة): (ص١١-١٣) جامعة النجاح الوطنية بنابلس: ٢٠٠٦م.

المقرِئ العروضي. وضنَّت علينا مصادر ترجمته بذكر مَنْ أخذوا عنه عدا أبي حيَّان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ).

كان ذا ثقافة متلونة؛ فله معرفة في المنطق والفقه وأصوله وعلم القراءات، ونَظَمَ بتكلف بيّنٍ بعضَ الأشعار.

أمَّا آثاره العلمية فلم نرَ منها سوى رصف المباني في شرح حروف المعاني. وله غيره؛ ثمانية مؤلفات غيَّبها الزمن؛ وهي: إملاء على مقرِّب ابن عصفور، وتقييد على الجمل، وجزء في العروض، وجزء في شواذه، الحلية (أو التحلية) في ذكر البسملة، وشرح الجزولية، وشرح الجمل الكبيرة للزجاجي، وشرح الكامل للجزولي، وكتاب شرح مقرِّب أبي عبد الله ابن هشام الفهري.

وكانت المرِيَّة المحطة الأخيرة في حياته؛ فقد لقي فيها ربه سنة (٧٠٢هـ) اثنتين وسبعمئة للهجرة، ودُفن خارج باب بجاية. فرحمه الله، وأثابه عن العلم وأهله خيراً.

التعريف بالمرادي[١]:

هو بدر الدين الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المالكي المرادي، نسبة إلى قبيلة مراد، وعُرف بابن أم قاسم، نسبة إلى جدته لأبيه؛ زهراء

---

(١) ترجم له ابن حجر في الدرر الكامنة (٢: ١٣٨ -١٤٠)، والسيوطي في بغية الوعاة (١: ٥١٧)، وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٦: ١٦٠-١٦١) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وزميله، دار ابن كثير بدمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ، والدكتور فخر الدين قباوة وزميله في مقدمة تحقيقهما كتابه الجنى الداني في حروف المعاني (ص٦-١٠) دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ، والدكتور عبدالرحمن علي سليمان في مقدمة تحقيقه كتاب توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (١: ٦٢-٩٠)، دار الفكر العربي بمصر، الطبعة الأولى: ٢٠٠١م.

المشهورة بأم قاسم، وقيل بأنها ليست جدته، بل من بيت الإمارة، ونُسب إليها لتبنيها له.

ولد في مصر، وتلقى علومه عن عدد كبير من العلماء؛ منهم: مجد الدين التستري (ت:٦٤٨هـ)، وأبو زكرياء الغماري (ت:٧٢٤هـ)، وأبو حيَّان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، وشمس الدين ابن اللبَّان (ت:٧٤٩هـ)، والسراج الدمنهوري (ت:٧٥٢هـ). ولم يذكر مترجموه من تلاميذه سوى جلال الدين بن أحمد التباني (ت: ٧٩٣هـ).

أجاد في علوم العربية، وأتقن التفسير وعلم الفقه وأصوله، وعلم القراءات. عُرِف عنه الصلاح، ونُقلت عنه كرامات عدة.

له أعمال علمية كثيرة عدا كتابه الجنى الداني في حروف المعاني؛ منها: شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، وشرح ألفية ابن مالك، وشرح باب وقف حمزة وهشام على الهمز من الشاطبية، وشرح المقصد الجليل في علم الخليل (مقدمة ابن الحاجب في العروض)، ورسالة في الجمل التي لا محل لها من الإعراب، وشرح المفصل للزمخشري، وغيرها.

توفي المرادي بمصر، عام (٧٤٩هـ) وكان هذا العام انتشر فيه الطاعون بكثرة مخيفة، ودُفِنَ –رحمه الله–بسَرْياقَوس[١].

(١) بُليدة في نواحي القاهرة بمصر . معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي (٣: ٢١٨) دار الفكر ببيروت.

لم تذكر التراجم شيئاً عن رحلاته ولا عن رحلات المالقي؛ فهما متعاصران، لكنْ ليس بين أيدينا من دليل عن اجتماعهما. لكنَّ أبا حيَّان الأندلسي تَلمَذ للمالقي في الأندلس، وعندما ارتحل إلى مصر، أخذَ المرادي عنه، فكان حلقة وصل بين العالِمين، فضلاً عن كتاب الرصف الذي أفاذ المرادي منه كثيراً.

بين يدي الكتابيـــن

صدَّر كلٌّ من المالقي والمرادي كتابه بمقدمة. وجاءت مقدمة رصف المباني ثرَّة، بدأها بحمد الله تعالى، والثناء على النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ وآله وصحبه، ثم عرض لفضل اللسان العربي، وكثرة دوران حروف المعاني فيه؛ فصنَّف كتابه ليكون خِلواً من هنَاتٍ وقع فيها سالفوه. ثم قال(١):" وسمَّيته: رصف المباني في شرح حروف المعاني؛ ليكون اسمه وفق معناه، ولفظه مترجماً على فحواه"

وذكر أنه رتَّبه على حروف المعجم، ثم أبان عن قصده من كتابه في أمرين؛ **المقصد الأول**: الكلام على حروف المعاني بالإجمال، ثم فصَّل القول في هذا المقصد؛ فأشار إلى جعله في **فصول ثلاثة؛ أولها**: الكلام على الحروف المفردة، كالهمزة والباء والتاء. والكلام على المركبة منها؛ نحو: أجل وإذ وإذن. **ثانيها**: قسَّم فيه الكلام على الحروف إلى ثلاثة أقسام؛ العاملة، وغير العاملة، وما يجوز أن يكون عاملاً وغير عاملٍ منها، وساق في كل قسم

(١) رصف المباني (ص٩٨).

حروفه. أما **ثالثها** فخصَّ القول فيه على معانيها، مثل: حروف الكف، حروف الإشباع، حروف الإطلاق؛ مع سرد حروف كل معنىً منها على الإجمال.

أمَّا **المقصد الثاني** فالكلام فيه على الحروف بالتفصيل، وتحقُّقُهُ منوطٌ بصفحات الكتاب كلِّه.

واستهلَّ المرادي تقديمه لكتابه بما سار عليه سابقوه ومعاصروه؛ من حمد الله تعالى، والصلاة والتسليم على المصطفى ــ صلَّى الله عليه وسلَّم ــ والآل والصحب الكرام. ثم ألمح إلى أهمية فهم معاني الحروف، وحضورها القوي في كلام العرب. وذكر أنه صنع كتابه جواباً لسؤال بعض إخوانه، وصرَّح بما اشتمل عليه مُصَنَّفه من مفاصل، فجعله في مقدمة وأبواب خمسة، وحوت المقدمة خمسة فصول (في حدِّ الحرف، في تسميته حرفاً، في جملة معانيه وأقسامه، في بيان عمله، في عِدَّة الحروف). أمَّا أبواب الكتاب الخمسة فكانت (في الأحادي، في الثنائي، في الثلاثي، في الرباعي، في الخماسي) واستغرقت هذه الأبواب الكتاب كلَّه.

والجدول الآتي يوضح الحروف في كل منهما:

رصف المباني في شرح حروف المعاني	الجنى الداني في حروف المعاني
باب الألف والهمزة، ص١٠٣-١٤٧	الباب الأول، في الأحادي: الهمزة، ص٣٠-٣٦
باب أجل، ص١٤٧-١٤٨	الباب الثالث؛ في الثلاثي: أجل، ص٣٥٩-٣٦١
باب إذْ، ص١٤٨-١٤٩	الباب الثاني؛ في الثنائي: إذْ ١٨٥-١٩٢
باب إذْ، ص١٤٨-١٤٩(تكلم فيه عن: إذما)	الباب الثالث؛ في الثلاثي: إذما، ص٥٠٨
باب إذا، ص١٤٩-١٥١	الباب الثالث؛ في الثلاثي: إذا، ص٣٦٧-٣٨٠

رصف المباني في شرح حروف المعاني	الجنى الداني في حروف المعاني
باب إذَنْ، ص١٥١-١٥٧	الباب الثالث؛ في الثلاثي: إذَنْ، ص٣٦١-٣٦٦
باب أل، ص١٥٨-١٦٥	الباب الثاني؛ في الثنائي: أل، ص١٩٢-٢٠٤
باب ألا المفتوحة المخففة، ص١٦٥-١٦٦	الباب الثالث؛ في الثلاثي: ألا، ص٣٨١-٣٨٥
باب إلى، ص١٦٦-١٧١	الباب الثالث؛ في الثلاثي: إلى، ص٣٨٥-٣٩٠
باب ألاَّ المفتوحة المشدَّدة، ص١٧٠-١٧١	الباب الرابع؛ في الرباعي: ألاَّ، ص٥٠٩-٥١٠
باب إلاَّ المكسورة المشدَّدة، ص١٧١-١٧٨	الباب الرابع؛ في الرباعي: إلاَّ، ص٥١٠-٥٢٢
باب أَم، ص١٧٨-١٨٠	الباب الثاني؛ في الثنائي: أَم، ص٢٠٤-٢٠٧
باب أَمَا المفتوحة المخففة، ص١٨٠-١٨١	الباب الثالث؛ في الثلاثي: أمَا، ص٣٩٠-٣٩٣
باب أَمَّا المفتوحة المشدَّدة، ص١٨١-١٨٣	الباب الرابع؛ في الرباعي: أَمَّا، ص٥٢٢-٥٢٨
باب إمَّا المكسورة المشدَّدة، ص١٨٣-١٨٦	الباب الرابع؛ في الرباعي: إمَّا، ص٥٢٨-٥٣٦
باب إنْ المكسورة المخففة، ص١٨٦-١٩٣	الباب الثاني؛ في الثنائي: إنْ، ص٢٠٧-٢١٥
باب أَنْ المفتوحة الخفيفة، ص١٩٣-١٩٨	الباب الثاني؛ في الثنائي: أَنْ، ص٢١٥-٢٢٧
باب إنَّ المكسورة المشددة، ص١٩٨-٢٠٤	الباب الثالث؛ في الثلاثي: إنَّ، ص٣٩٣-٤٠٢
باب أنَّ المفتوحة المشددة، ص٢٠٥-٢٠٧	الباب الثالث؛ في الثلاثي: أنَّ، ص٤٠٢-٤١٨
باب أنا وأنتَ وأنتِ وأنتما وأنتم وأنتنَّ، ص٢٠٧-٢١٠	الباب الثالث؛ في الثلاثي: أنا وأنتَ وأنتِ، ص٤١٨ الباب الرابع؛ في الرباعي: أنتم ص٥٣٦ الباب الخامس؛ في الخماسي: أنتما، أنتنَّ ص٦٢٠-٦٢٢
باب نحن. باب هو، هي، هما، هم، هنَّ. تكلم عنهم في باب أنا وأنتَ وأنتِ وأنتما وأنتم وأنتنَّ، ص٢٠٧-٢١٠	الباب الثالث؛ في الثلاثي: نحن وهما وهنَّ، ص٥٠٧ الباب الثاني؛ في الثنائي: هو وهي وهم، ص٣٥٠-٣٥١
باب أَو، ص٢١٠-٢١٣	الباب الثاني؛ في الثنائي: أَو، ص٢٢٧-٢٣٢
باب أيْ المفتوحة الخفيفة، ص٢١٣-٢١٤	الباب الثاني؛ في الثنائي: أيْ، ص٢٣٣-٢٣٤
تكلم عن آيْ في باب أيْ المفتوحة الخفيفة، ص٢١٣-٢١٤	الباب الثالث؛ في الثلاثي: آيْ، ص٤١٨-٤١٩

رصف المباني في شرح حروف المعاني	الجنى الداني في حروف المعاني
باب إيْ المكسورة الخفيفة، ص٢١٤	الباب الثاني؛ في الثنائي: إيْ، ص ٢٣٤-٢٣٥
باب أَيَا المفتوحة الخفيفة، ص٢١٥	الباب الثالث؛ في الثلاثي: أَيَا، ص٤١٩
باب إِيَّا المكسورة المشدَّدة، ص٢١٥-٢١٨	الباب الرابع؛ في الرباعي: إِيَّا في إِيَّاك وأخواته، ص٥٣٦-٥٣٨
باب أصبح وأمسى، ص ٢١٨-٢١٩	ــــــــــــــــ
باب الباء المفردة، ص٢٢٠-٢٢٩	الباب الأول؛ في الأحادي: الباء، ص ٣٦-٥٦
باب بَجَل، ص٢٢٩-٢٣٠	الباب الثالث؛ في الثلاثي: بجل، ص٢٢٩-٢٣٠
باب بَل، ص٢٣٠-٢٣٣	الباب الثاني؛ في الثنائي: بل، ص٢٣٥-٢٣٧
باب بلى، ص٢٣٤	الباب الثالث؛ في الثلاثي: بلى، ص٤٢٠-٤٢٤
باب التاء، ص٢٣٤-٢٤٨	الباب الأول؛ في الأحادي: التاء، ص٥٦-٥٨
باب الثاء، ص٢٤٩-٢٥١	الباب الثالث؛ في الثلاثي: ثُمَّ، ص ٤٢٦-٤٣٢
باب جَلَل، ص٢٥٢	الباب الثالث؛ في الثلاثي: جَلَل، ص٤٣٢-٤٣٣
باب جَيرِ، ص٢٥٢-٢٥٤	الباب الثالث؛ في الثلاثي: جَيرِ، ص٤٣٣-٤٣٥
باب حاشى، ص٢٥٥-٢٥٦	الباب الرابع؛ في الرباعي: حاشى، ص٥٥٨-٥٦٨
باب حتَّى، ص ٢٥٧-٢٦١	الباب الرابع؛ في الرباعي: حتَّى، ٥٤٢-٥٥٨
باب خلا، ص ٢٦٢-٢٦٣	الباب الثالث؛ في الثلاثي: خلا، ص٤٣٦-٤٣٨
باب ذا، ص ٢٦٤-٢٦٥	الباب الثاني؛ في الثنائي: ذا، ص٢٣٨-٢٤٢
باب ربَّ، ص٢٦٦-٢٧١	الباب الثالث؛ في الثلاثي: ربَّ، ص٤٣٨-٤٥٨
باب الكاف المفردة، ص٢٧٢-٢٨٤	الباب الأول؛ في الأحادي: الكاف، ص٧٨-٩٥
باب كأنَّ، ص٢٨٤-٢٨٧	الباب الرابع؛ في الرباعي: كأنَّ، ص٥٦٨-٥٧٦
باب كلاَّ، ص٢٨٧-٢٨٨	الباب الرابع؛ في الرباعي: كلاَّ، ص٥٧٧-٥٧٩
باب كَمَا، ص٢٨٨-٢٨٩	الباب الثالث؛ في الثلاثي: كَمَا، ص٤٨٠-٤٨٥
باب كي، ص٢٩٠-٢٩٢	الباب الثاني؛ في الثنائي: كي، ص٢٦١-٢٦٥
باب اللام المفردة، ص٢٩٣-٣٢٩	الباب الأول؛ في الأحادي: اللام، ص٩٥-١٣٩
باب لا، ص٣٢٩-٣٤٥	الباب الثاني؛ في الثنائي: لا، ص٢٩٠-٣٠٣
(لاتَ) تكلم عليها في باب لا، ص٣٢٩-٣٤٥	الباب الثالث؛ في الثلاثي: لاتَ، ص٤٨٥-٤٩١

رصف المباني في شرح حروف المعاني	الجنى الداني في حروف المعاني
باب لَكِنْ الخفيفة، ص٣٤٥-٣٤٨	الباب الرابع؛ في الرباعي: لَكِنْ، ص٥٨٦-٥٩٢
باب لَكِنَّ المشدَّدة، ص٣٤٨-٣٥٠	الباب الخامس؛ في الخماسي: لَكِنَّ، ص٦١٥-٦٢٠
باب لم، ص٣٥٠-٣٥١	الباب الثاني؛ في الثنائي: لم، ص٢٦٦-٢٦٩
باب لَمَّا، ص٣٥١-٣٥٥	الباب الرابع؛ في الرباعي: لَمَّا، ص٥٩٢-٥٩٧
باب لَنْ، ص٣٥٥-٣٥٨	الباب الثاني؛ في الثنائي: لَنْ، ص٢٧٠-٢٧٢
باب لَو، ص٣٥٨-٣٦١	الباب الثاني؛ في الثنائي: لَو، ص٢٧٢-٢٩٠
باب لولا، ص٣٦١-٣٦٥	الباب الرابع؛ في الرباعي: لولا، ص٥٩٧-٦٠٨
باب لَومَا، ص٣٦٥-٣٦٦	الباب الرابع؛ في الرباعي: لَومَا، ص٦٠٨-٦٠٩
باب ليتَ، ص٣٦٦-٣٦٨	الباب الثالث؛ في الثلاثي: لَيت، ص٤٩١-٤٩٣
باب ليس، ص٣٦٨-٣٧٠	الباب الثالث؛ في الثلاثي: ليس، ص٤٩٣-٤٩٩
باب الميم المفردة، ص٣٧١ -٣٧٧	الباب الأول؛ في الأحادي: الميم، ص١٣٩-١٤١
باب مَا، ص٣٧٧-٣٨٥	الباب الثاني؛ في الثنائي: مَا، ص٣٢٢-٣٤١
باب مُذْ، ص٣٨٥-٣٨٧	الباب الثاني؛ في الثنائي: مُذْ، ص٣٠٤-٣٠٥
باب مِنْ المكسورة الميم، ص٣٨٨-٣٩١	الباب الثاني؛ في الثنائي: مِنْ، ص٣٠٨-٣٢١
باب مُنْ المضمومة، ص٣٩١-٣٩٣	الباب الثاني؛ في الثنائي: مُنْ بضم الميم، ص٣٢١-٣٢٢
باب مُنذُ، ص٣٩٣	الباب الثالث؛ في الثلاثي: مُنذُ، ص٥٠٠-٥٠٤
باب مع، ص٣٩٤	الباب الثاني؛ في الثنائي: مع، ص٣٠٥-٣٠٨
باب النون المفردة، ص٣٩٥-٤٢٥	الباب الأول؛ في الأحادي: النون، ص١٤١-١٥١
باب نَعَمْ، ص٤٢٦-٤٢٧	الباب الثالث؛ في الثلاثي: نَعَمْ، ص٥٠٥-٥٠٦
باب عَدا، ص٤٢٨-٤٢٩	الباب الثالث؛ في الثلاثي: عَدا، ص٤٦١
باب عن، ص٤٢٩-٤٣٢	الباب الثاني؛ في الثنائي: عن، ص٢٤٢-٢٥٠
باب على، ص٤٣٣-٤٣٤	الباب الثالث؛ في الثلاثي: على، ص٤٧٠-٤٨٠
باب علَّ، ص٤٣٤-٤٣٧	الباب الرابع؛ في الرباعي: لعلَّ، ص٥٧٩-٥٨٦
باب الغين، ص٤٣٨-٤٣٩	ــــــــــــــــــــ
باب الفاء المفردة، ص٤٤٠-٤٥٠	الباب الأول؛ في الأحادي: الفاء، ص٦١-٧٨

رصف المباني في شرح حروف المعاني	الجنى الداني في حروف المعاني
باب في، ص٤٥٠-٤٥٤	الباب الثاني؛ في الثنائي: في، ص٢٥٠-٢٥٣
باب قد، ص٤٥٥-٤٥٦	الباب الثاني؛ في الثنائي: قد، ص٢٥٣-٢٦٠
باب السين المفردة، ص٤٥٧-٤٦١	الباب الأول؛ في الأحادي: السين، ص٥٩-٦٠
باب سوف، ص٤٦١-٤٦٢	الباب الثالث؛ في الثلاثي: سوف، ص٤٥٨-٤٦٠
باب الهاء المفردة، ص٤٦٣-٤٦٨	الباب الأول؛ في الأحادي: الهاء، ص١٥٢-١٥٣
باب ها، ص٤٦٨-٤٦٩	الباب الثاني؛ في الثنائي: ها، ص٣٤٦-٣٥٠
باب هل، ص٤٦٩-٤٧١	الباب الثاني؛ في الثنائي: هل، ص٣٤١-٣٤٦
باب هلاَّ، ص٤٧١-٤٧٢	الباب الرابع؛ في الرباعي: هلاَّ، ص٦١٣-٦١٤
باب هيا، ص٤٧٢	الباب الثالث؛ في الثلاثي: هيا، ص٥٠٧
باب الواو المفردة، ص٤٧٣-٥٠٢	الباب الأول؛ في الأحادي: الواو، ص١٥٣-١٧٤
باب وا، ص٥٠٣-٥٠٤	الباب الثاني؛ في الثنائي: وا، ص٣٥١-٣٥٢
باب وَيْ، ص٥٠٤	الباب الثاني؛ في الثنائي: وَيْ، ص٣٥٢-٣٥٤
باب الياء المفردة، ص٥٠٥-٥١٢	الباب الأول؛ في الأحادي: الياء، ص١٨٠-١٨٤
باب يا، ص٥١٣-٥١٥	الباب الثاني؛ في الثنائي: يا، ص٣٥٤-٣٥٨
_____	الباب الأول؛ في الأحادي: الشين، ص٦١
_____	الباب الثاني؛ في الثنائي: آ، ص٢٣٢
_____	الباب الثاني؛ في الثنائي: كَمْ، ص٢٦١
_____	الباب الثالث؛ في الثلاثي: بَلْه، ص٤٢٤-٤٢٦
_____	الباب الثالث؛ في الثلاثي: عسى، ص٤٦١-٤٧٠
_____	الباب الثالث؛ في الثلاثي: متى، ص٥٠٥
_____	الباب الرابع؛ في الرباعي: مهما، ص٦٠٩-٦١٣

ذكر المالقي عدد الحروف التي اشتمل عليها رَصْفُه؛ فقال في مقدمته[1]: "اعلم أنَّ جملة الحروف في هذا الكتاب خمسة وتسعون حرفاً، منها ثلاثةَ

(١) رصف المباني (ص٩٩).

عشرَ مفردةٌ، واثنان وثمانون مركبة" فالمفردة ما ذكر؛ لكنَّ المركبة التي عَدَّدَها في مقدمته، وتكلم عن كلٍ منها في صفحات مُصَنَّفه كانت سبعة وثمانين حرفاً؛ وهذا تعداده لها حرفاً حرفاً؛ يقول[1]: " أمَّا المركبة فهي: أجل، وإذ، وإذا، وإذن، وأل، ولا، وألاَ، وإلى، وألاَّ، وإلاَّ، وأم، وأمَا، وإمَّا، وأمَّا، وإنْ، وإنَّ، وأنْ، وأنَّ، وأنا، وأنت، وأنتما، وأنتم، وأنتنَّ، وأو، وأيْ، وإي، وأَيا، وإيَّا، وأصبح، وأمسى، وبجَل، وبل، وبلى، وثمَّ، وجلَل، وجَيْرِ، وحتى، وحاشى، وخلا، وذا، وربَّ، وكأنَّ، وكَلاَّ، وكمَا، وكي، ولا، ولكنْ، ولكنَّ، ولم، ولما، ولنْ، ولو، ولوما، ولولا، وليت، وليس، وما، ومُذ،، ومِنْ، ومُنْ، ومنذ، ومع، ونحن، ونَعَم، وعَدَا، وعلَّ، وعلى، وعن، وغن، وفي، وقد، وسوف، وها، وهل، وهلاَّ، وهيا، وهو، وهي، وهما، وهم، وهنَّ، ووا، ووَيْ، ويا" فيكون مجموع حروفه سبعة وتسعين حرفاً (٩٧).

أمَّا المراديّ فتكلم في جناه على خمسة ومئة حرفٍ (١٠٥)؛ فرَبَتْ حروف الجنى الداني على رصف المباني بـ: الشين، آ، كم، بله، عسى، متى، مهما. وعرض المالقي حروفاً أهملها لاحِقُه المراديُّ؛ هي: أمسى، أصبح، الغين.

طُبع كتاب الرصف مرتين، الأولى في سنة: ١٣٩٥هـ بمجمع اللغة العربية بدمشق، والثانية سنة: ١٤٠٥هـ بدار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق،

(١) رصف المباني (ص٩٩-١٠).

وهذه الطبعة التي اعتمدتها في هذا البحث. وحظيت الطبعتان بتحقيق بارع من الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخرَّاط.

أمَّا الجنى الداني فقد حققه شيخي العلاَّمة الأستاذ الدكتور فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، وطُبِع في دار الكتب العلميَّة ببيروت، عام: ١٤١٣هـ. وهي الطبعة الأولى والوحيدة للكتاب.

***

الموازنة بينهما في النهج:

أولًا: في اللغة:

اتسمت العبارة في الرصف والجنى بالمرونة المتزنة؛ فلا يتلكأُ قارئهُما في فهم المراد؛ فقد ابتعدا عن غريب الألفاظ والتراكيب، وعزز هذا المطمحَ التعليميَ لكليهما؛ الذي تجلَّى في مظاهر عدة؛ منها: تقريرهما لكثير من مسائل كتابيهما بالفعل الطلبي (اعلم) ونحوه، وبرز هذا عند المالقي أكثر من المرادي؛ فلا تكاد تخلو مسألة في الرصف من هذا التقرير؛ فهو يستعمل الفعل (اعلم)(١)، و(فاعلمه)(٢)، و(فاعرفه)(٣)، و(فتفهمه)(٤)، و(فافهم)(٥).

أمَّا صاحب الجنى فاستعمل الفعل (اعلم)(٦).

ومن مظاهر القصد التعليمي سلوكهما طريق اللفِّ والنشر المرتب في عرض معظم مسائل كتابيهما؛ فانظر عمل المالقي به في كلامه على الباء المفردة، قال(١): " هي على ثلاثة أقسام: قسم لا يمكن أنْ تكون زائدة قطعاً، وقسم لا تكون إلا زائدة قطعاً، وقسم يحتمل أنْ تكون زائدة وأنْ لا

---

(١) انظر رصف المباني (ص ٩٩، ١٠٥، ١٧٨، ٣٢٥، ٣٦١، ٣٩٥، ٤٢٦، ٤٥٥، ٤٧٣، ٥٠٣).

(٢) انظر رصف المباني (ص١١٧، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٤).

(٣) انظر رصف المباني (ص١٤٦).

(٤) انظر رصف المباني (ص١٧٦).

(٥) انظر رصف المباني (ص٢٤٦).

(٦) انظر الجنى الداني (ص١١٨، ١٦٤، ١٨٧، ٣٨٠، ٤٧٥، ٥٩٥).

تكون.....القسم الأول: الذي لا يمكن أن تكون فيه زائدة....."

ومن صنيع المرادي هذا ما جاء في الكلام على الباء؛ قال[٢]: " حرف مختصٌّ بالأسماء، ملازم لعمل الجرِّ. وهي ضربان: زائدة، وغير زائدة. فأمَّا غير الزائدة فقد ذكر النحويون لها ثلاثة عشر معنىً....."

وعزَّزا الهدف التعليمي في مُصَنفيهِما بافتراض سؤال والإجابة عنه؛ لتقرير معنى أو حكم في المتلقي، ففي حديث المالقي عن لام الأمر يقول[٣]: " هل تدخل على المتكلم وحده أو مع غيره؟ فيه خلاف، والصحيح جوازه لوروده من كلام العرب".

وفي بسط المرادي الكلامَ على حدِّ الحرف قال[٤]: " فإنْ قيل: ما معنى قولهم: الحرف يدل على معنى في غيره؟ فالجواب: معنى ذلك أنَّ دلالة الحرف على معناه الإفرادي متوقفة على ذكر مُتعلَّقِه، بخلاف الاسم والفعل؛ فإنَّ دلالة كل منهما على معناه الإفرادي، غير متوقفة على ذكر متعلَّق"

---

(١) رصف المباني (ص٢٢٠-٢٢١)، وانظر (ص١٥٢، ٢٦٦، ٣٤٥، ٣٧١، ٤٢٥، ٤٣٣، ٤٥٧).

(٢) الجنى الداني (ص٣٦)، وانظر (ص٧٨، ١٥٣، ١٩٢، ٢٣٥، ٢٩٠، ٤١٩).

(٣) رصف المباني (ص٣٠٢)، وانظر (ص٢٧٨، ٣١٩).

(٤) الجنى الداني (ص٢٢)، وانظر (ص٢٤، ٣٧، ١٤٤، ١٧٩، ٢٧١).

وربط كلٌّ منهما كتابه بعضه ببعض؛ بالإحالة إلى سابق منه أو إلى لاحق[١].

ونجد صاحب الرصف يستعمل لغة (أكلوني البراغيث) بقلة؛ فهو يقول في باب (أل)[٢]: " اعلم أنَّ هذه اللفظة هي التي يسمونها النحويون الألفَ واللامَ، وهما اللتان للتعريف" مع أنه وصفها باللغة القليلة[٣].

(١) انظر رصف المباني (ص١٣٥، ١٦٦، ٢٣٣، ٣٠٠، ٣٣١، ٣٣٧)، والجنى الداني (ص٧٠، ٩٢، ١٣٩، ٣٠٥).

(٢) رصف المباني (ص١٥٨).

(٣) انظر رصف المباني (ص١١١). لي بحث بعنوان: لغة يتعاقبون فيكم ملائكة، في الميزان. أفضت الكلام فيه في الحكم على هذه اللغة، أُجيز للنشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، في تاريخ: ١٠ / ٩ / ١٤٤١هـ

يُنظر مبحث دراسة وتحليل في البحث المذكور.

ثانياً: القرآن الكريم:

كانت سُنَّة المؤَلِفَين في التعامل مع آي الذكر الحكيم تعاملَ السواد الأعظم من الكتَبَة في هذا الفنِّ؛ من الاقتصار على موطن الشاهد في معظم الآيات المحتج بها. وقد بلغ عدد الآيات التي ساقها المالقي في رصفه اثنتين وعشرين وأربعمئة آية (٤٢٢)، أمَّا ما أورده المرادي في جناه فبلغ الخمسين وأربعمئة آية (٤٥٠). فزاد المرادي على المالقي بثمانٍ وعشرين آية (٢٨)؛ فالفرق بينهما يسير.

ونجد في رصف المباني والجنى الداني عناية واضحة بالقراءات القرآنية، فالمالقي ذو ثقافة مكِينَة بها، اهتم بها منذ بدء تكوينه المعرفي. أمَّا المرادي فله شرح على الشاطبية، اسمه: شرح باب وقف حمزة وهشام[١]. وتجسدت عنايتهما بها في كثرة ذكرها في مُؤَلَّفيهما، وهما ينسبان بعضها لأصحابها؛ نحو عزو قراءة تسكين الهاء في (هو) من قوله تعالى{ثُمَّ هْوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ }القصص٦١ قال في الرصف[٢]: " على قراءة قالون والكسائي

(١) انظر تقديم مُحَقِّقَي الجنى الداني (ص٩).

(٢) رصف المباني (ص٣٠٤)، وانظر(ص١١٨، ٣٩٢، ٤٣٥، ٤٤٤، ٤٩٩)، وانظر القراءة في حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ص٥٨٤) تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٨: ٦٨٨) تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، الطبعة الثانية، دار القلم بدمشق: ١٤٢٩هـ.

من السبعة، بالإسكان في الفتح". وقال المرادي في كلامه على الكاف[1]: " وعلى ذلك خرَّج الزمخشري وغيره، قراءة حمزة {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ}آل عمران١٧٨ ".وقد يكتفيان بالإشارة إلى القراءة دون عزو[2].

أمَّا موقفهما من القراءات الشاذة فهو موقف جمهور النحويين، فهي حجة في اللغة، ولا يعني هذا القياسَ على كل قراءة شاذة؛ فهي عندهم مصدر مكين من مصادر الاحتجاج اللغوي، ولكن القياس له ضابط يجب تحققه؛ وهو الكثرة، فلا عجب أن نراهم يمنعون القياس على قراءة متواترة، لأن شواهدها قليلة في اللسان العربي، والحال نفسها في الشاذة، وشعر الفصحاء، وكلام العرب.

فرأينا النحويين حكموا بفصاحة (نستحوذ) في قوله تعالى {أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ} النساء١٤١. وبعدم القياس عليه لشذوذه، والقياس فيه: نستَحِذ، مع أنَّ القراءة متواترة[1]. وغير ذلك[2].

---

(١) الجنى الداني (ص٩٤) وانظر (ص٣٥، ٣٨، ٧٤، ١١٢، ٢٢٩، ٤٧٨، ٥٥٥)، وانظر القراءة في الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي(٣: ١٠١) تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي، مراجعة وتدقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث بدمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ. وخرَّج الزمخشري هذه القراءة على سدِّ البدل مسد المفعول الثاني لفعل الحسبان؛ فالذين كفروا: مفعول أول، وأنما نملي لهم خير: بدل سدَّ مسد المفعول الثاني، لأنَّ المعوَّل عليه البدل. انظر الكشاف للزمخشري (١: ٤٧٨) تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث ببيروت.

(٢) انظر رصف المباني (ص١٢١، ١٣٤، ٣٢٥، ٣٣٥) والجنى الداني (ص ١٤٢، ٢٢٠، ٤٨٩، ٥٦٨).

فهذا المالقي يُدلل على زيادة (لا) بين ناصب الفعل المضارع ومنصوبه بقراءة شاذة، أهمل نسبتها إلى قارئها؛ أُبي بن كعب[٣]، قال تعالى {وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُوا خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً }الإسراء٧٦ . واستدلَّ بها المرادي أيضاً دونما نسبة؛ لكن على جواز الإعمال في (إذن) إذا تقدمها عطف[٤]. واحتجَّ في الرصف على جواز حذف النون من اسم الفاعل والصفة المشبهة به للتخفيف إذا طال الكلام؛ بقراءة أبي السمَّال الشاذة[٥]؛ قال تعالى {إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابَ الْأَلِيمَ }الصافات٣٨. وفي كلامه على (لما) استدلَّ بقراءة ابن مسعود–رضي الله عنه–{وَإِنْ مِنَّا لَمَّا لَهُ مَقَام مَّعْلُومٌ}الصافات١٦٤.بالقول[٦]: " فهذا نصٌّ على أنَّ (لما) بمعنى (إلاَّ) وكذلك حكى اللغويون".

واتخذ المرادي الطريق نفسها؛ فهو في حديثه عن زيادة (مِنْ) في الحال أخذ بقراءة زيد بن ثابت، وأبي الدرداء، وأبي جعفر الشاذةِ قولَه تعالى {مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نُّتَّخَذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء} الفرقان١٨. بضم النون وفتح

---

(١) انظر التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (١: ٤٠٠)، والدر المصون (٤: ١٢٤)، (١٠: ٢٧٤).

(٢) انظر التبيان (١: ٢٢٦، ٢٧٤).

(٣) انظر رصف المباني (ص٣٤٣)، وشواذ ابن خالويه (ص٧٧).

(٤) انظر الجنى الداني (ص٣٦٢).

(٥) انظر رصف المباني (ص٤٠٥–٤٠٦)، وشواذ ابن خالويه (ص١٢٧).

(٦) رصف المباني (ص٣٥٣). وانظر القراءة في شواذ ابن خالويه (ص١٢٨).

التاء في الفعل[١]. وفي قوله في (حتى) لغاتِها الثلاث ذَكَرَ إبدال حائها عيناً (عتَّى) مورداً قراءة ابن مسعود {لَيَسْجُنُنَّهُ عَتَّى حِينٍ} يوسف٣٥[٢].

ونراهما يحكمان بعدم القياس على قراءة {فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُواْ} يونس٥٨. بالتاء للمخاطب، وهي شاذة، لكونها قليلة. والقياس المجيء بغير اللام[٣].

وكذا تعاملهما مع قراءة {وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ} إبراهيم٤٦[٤].

---

(١) انظر الجنى الداني (ص٣٢٠).وانظر شواذ ابن خالويه (ص١٠٤)، والمحتسب (٢: ١١٩).

(٢) الجنى الداني (ص٥٥٨) وانظر شواذ ابن خالويه (ص٦٣) ونسبها للحسن أيضاً، وانظر المحتسب (١: ٢٧٠).وانظر صنيعه في الجنى (ص٥٦١).

(٣) انظر رصف المباني (ص٣٠٢) والجنى الداني (ص١١١)، وانظر القراءة في شواذ ابن خالويه (ص٥٧) والمحتسب (١: ٣١٣) وفيه أنها قراءة النبي عليه الصلاة والسلام، وعثمان بن عفان، وأُبي بن كعب، والحسن، وأبي رجاء، وابن سيرين، والأعرج، وأبي جعفر، وغيرهم. وانظر رصف المباني (ص٣١٢).

(٤) انظر رصف المباني (ص٣٢٥)، والجنى الداني (ص١١٧)، وانظر القراءة في حجة القراءات (ص٣٧٩).

ثالثاً: الحديث النبوي الشريف:

حوى رصف المباني أربعة عشر حديثاً (١٤) واشتمل الجنى الداني على سبعة عشر حديثاً (١٧) واتفق الكتابان في ثلاثة أحاديث ذُكِرت فيهما[١].

وإنَّ ورود حديث واحد احتجاجاً في مُصَنَّف نحوي كفيل بالقول بحجِّيَّة الحديث الشريف عند مؤلِّفِه، أمَّا مسألة الإقلال والإكثار فلها ظروف وأحكام، يحسن عرضها في غير هذا المقام.

كان موقف المالقي والمرادي من الأحاديث التي ساقاها في كتابيهما موقفَهما من كلام العرب، فهو حجة، كثيره يُقاس عليه، وقليله مقبول، لكونه مسموعاً، لكن من غير القياس عليه. فهذا المالقي يحكي أنَّ الأفصح إسقاط الهمز من أمرِ الفعل (أمر) ويستدلُّ على ذلك بحديث النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-" مروهم بالصلاةِ لسبعٍ"[٢].

---

(١) هي: "ليس من أم بر أم صيام في أم سفر" الرصف (ص١٨٠، ٣٧٦) والجنى (ص١٤٠)، " لِتأخذوا مصافكم" الرصف (ص٣٠٢) والجنى (ص١١١)، " وإنا إن شاء الله بكم لاحقون " الرصف (ص١٩٢) والجنى (ص٢١٣).

(٢) انظر رصف المباني (ص١٣١). والحديث رواه الدارقطني في سننه في كتاب الصلاة (١: ٢٣١) تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، ١٣٨٦هـ. دار المعرفة ببيروت، والهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الصلاة (١: ٢٩٤) دار الريان للتراث، بيروت والقاهرة. والحديث في الكشاف للزمخشري (١: ٥٠٤). وذهب النحويون إلى حذف الهمزة من أمر الفعل (أمرَ) إن لم يُسبق بواو أو فاء. انظر كتاب العين للخليل (أ م ر) (٨: ٢٩٧)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، واللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري، تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان، دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى: ١٩٩٥م.

وفي عرضه معانيَ (لو) ذكر مجيئها حرف تقليل، مثل (ربَّ) واستشهد بحديثين شريفين؛ قوله –صلَّى الله عليه وسلَّم–: "لا ترُدُّوا السائلَ ولو بِظِلْفٍ مُحْرَق" و" لا ترُدُّوا السائلَ ولو بشقِّ تمرة"(١). وفي كلام المرادي على معاني الباء أورد منها البدلَ؛ ودلَّل عليه بقوله–عليه الصلاة والسلام–" ما يسرني بها حُمْرُ النعمِ" أي: بَدَلَها(٢).

---

(١) انظر رصف المباني (ص٣٦٠–٣٦١). والحديث الأول رواه عبد الرزاق في المصنف (١١: ٩٤) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ. والطبراني في المعجم الأوسط في كتاب فضائل الصحابة (١: ٢١٩) تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين بالقاهرة: ١٤١٥هـ. والبيهقي في شعب الإيمان (٣: ٢٢٨) تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، ، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ. وهو في لسان العرب لابن منظور (ردد) (٣: ١٤٧). وانظر رصف المباني (ص١٢١، ١٢٢، ٣٦٠، ٤٢١). والحديث الثاني رواه الشهاب القضاعي في مسنده (٢: ٨٢) تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ. والبيهقي في شعب الإيمان (٣: ٢٢٨). وقال ابن هشام الأنصاري عن مجيئها للتقليل:" وفيه نظر" مغني اللبيب (ص٣٥٣) وذهب بعضهم إلى أن التقليل جاء مما دخلت عليه، لا منها. انظر موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب للشيخ خالد الأزهري (ص١٣٥)تحقيق عبد الكريم مجاهد، دار الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م. وانظر الجنى الداني (ص٢٩٠).

(٢) انظر الجنى الداني (ص٤٠–٤١). والحديث من كلام لعلي –رضي الله عنه – في حديث عن النبي–عليه الصلاة والسلام– قال" لما مات أبو طالب أتيت النبي–صلى الله عليه وسلم– فقلت: إنَّ عمك الشيخ قد مات، فقال لي: اذهب فوارِه، ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتيني، فاغتسلت ثم أتيته، فدعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بها حمر النعم...." وهو في سنن سعيد بن منصور (٥: ٢٨٢) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية بالهند، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ، وفي مسند أحمد بن حنبل (١:١٠٣) مؤسسة قرطبة بمصر.

وفي بيانه معانيَ اللام؛ أنها بمعنى (بَعْدَ) احتجَّ له بقوله-عليه الصلاة والسلام-: "صوموا لِرؤيته، وأفطروا لِرؤيته" أي: بعد رؤيته[1].

ونجد لهما رأياً واحداً في ثلاثة أحاديث اتفق ورودها في كتابيهما؛ فقوله-صلّى الله عليه وسلَّم: "ليسَ مِنْ أم برٍّ أم صيامٌ في أم سَفرٍ" ذكره في الرصف مرة في الكلام على (أم)؛ وأخرى في حديثه عن الميم المفردة؛ في مجيء (أم) بمعنى أل التعريف في الأداتين. وأورده صاحب الجنى في معاني الميم، فيما ساقه سالِفُه، وكلاهما يرى أنَّ القول بأنها بدل من أل التعريف غير مقيس؛ لندرته[2].

وتناولا في مصنفيهما، حديثَه-صلَّى الله عليه وسلَّم-:" لِتَأخذوا مَصافَّكم" في كلامهما على اللام المفردة، وحكما على دخول اللام في فعل المخاطب بالقلة، فهذا الحديث مسموع فصيح؛

---

(١) انظر الجنى الداني (ص١٠١) والحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصوم (٢: ٦٧٤) تحقيق: الدكتور مصطفى البغا. الطبعة الثالثة. دار ابن كثير. اليمامة ببيروت: ١٤٠٧هـ، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً في الصيام (٢: ٧٦٢) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث ببيروت. وانظر الجنى الداني أيضاً (ص٤١، ٤٢٣، ٥٤٠، ٥٨٠).

(٢) انظر رصف المباني (ص١٨٠، ٣٧٦-٣٧٧)، والجنى الداني (ص١٤٠). والحديث في المعجم الكبير للطبراني (١٩: ١٧٢) تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء بالموصل، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ، وتخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي (٢: ٦٣). دار ابن خزيمة.

لكن لا يُقاس عليه؛ للندرة[1].

أمَّا قوله-عليه الصلاة والسلام-"وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بكم لاحقون" فورد عند المالقي في بيانه معاني (إنْ) وأحكامها، ونقض مذهب بعضهم كون (إنْ) فيه بمعنى (إذْ) بل هي للشرط، وتابعه المرادي من بعده؛ فقال نحواً من قوله، وعزاه لمذهب المحققين[2].

(١) انظر رصف المباني (ص٣٠٢)، والجنى الداني (ص١١١) وانظر شرح الألفية للمرادي (٢:١٥١)تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار مكتبة المعارف ناشرون ببيروت، الطبعة الثانية:٢٠١٧م. والحديث في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي (٢: ١٢٧). دار ابن خزيمة، والكشاف للزمخشري (٢: ٣٣٦). وذكره الخليل في الجمل (ص ٢٦٧) تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة. دار الفكر بدمشق. الطبعة السادسة: ١٤٣٠هـ، وأبو البركات الأنباري في أسرار العربية (١: ٢٨٠). تحقيق الدكتور فخر صالح قدارة. دار الجيل ببيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ، وابن الأنباري في الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين (٢: ٥٢٥) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الفكر بدمشق، وابن هشام في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص ٢٩٧، ٣٠٠) تحقيق: الدكتور مازن المبارك وعلي حمد الله. دار الفكر بدمشق. الطبعة السادسة: ١٩٨٥

(٢) انظر رصف المباني (ص١٩٢)، والجنى الداني (ص٢١٢-٢١٣). والحديث رواه مالك في الموطأ، كتاب الصدقة (١: ٢٩) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث بمصر، ومسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (١: ٢١٨) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث ببيروت.

رابعاً: الشعر:

كان للشعر القِدْح المعلَّى في كِتابَينا؛ حاله في معظم كتب العربية. فقد ساق المالقي في رصفه

ثلاثة وعشرين وخمسمئة بيت (٥٢٣)[١]. وأورد المرادي في جناه ستة وثمانين وثلاثمئة بيت (٣٨٦)، والمكرر منها تسع وعشرون بيتاً (٢٩) ، واشتمل كتابه أيضاً على سبعة وثلاثين بيتاً (٣٧) من نَظْمِه التعليمي؛ ولعلها من منظومته في معاني الحروف التي ذكرها ابن حجر في ترجمته[٢].

كان من سنتهما في عرض معظم الأبيات ذكر البيت كاملاً في معظم ما حوى مصنَّفَاهما من أشعار، وكان هذا السلوك عند المرادي آكد منه عند المالقي؛ حيث نجد البيت الواحد في الكتابين؛ اقتُصِر فيه في الرصف على الشطر موطنِ الشاهد، وهو في الجنى مسطور بشطريه؛ من ذلك قوله[٣]:

مِنَ القومِ الرسولُ الله منهم لهم دانتْ رقابُ بني مَعَدِّ

وقوله[٤]:

فلا تطمعْ أبيتَ اللعنَ فيها ومنعُكَها بشيءٍ يُستَطاعُ

---

(١) ذكر محقق رصف المباني الدكتور أحمد الخراط أنَّ شواهد الرصف الشعرية تربو على ستمئة بيت، وهذا الرقم يشتمل على المكرر ذِكْرُهُ من الأبيات؛ فعددها (٥٢٣) وتكرر منها (٧٩) فيصبح مجموع المذكور مع المكرر (٦٠٢). انظر رصف المباني (ص٥٧).

(٢) انظر الدرر الكامنة (٢: ١٣٩).

(٣) من الوافر. انظر رصف المباني (ص١٦٢) والجنى الداني (ص٢٠١).

(٤) من الوافر. انظر رصف المباني (ص٢٢٧) وروايته فيه (فمَنْعُكَها)، والجنى الداني (ص٥٥).

أمَّا منهجهما في نسبة الشعر لقائله فلم تكن له سمة عند أيٍ منهما؛ فتارة يعزوانه لشاعره، وكان صاحب الجنى أوفر عدداً من صاحبه فيما نسبه لقائله، وتارة أخرى يغفلان اسم الشاعر الوافر الشهرة.

فمن القليل الذي سمَّى المالقي قائلَه قولُ العجَّاج[1]:

فَخِنْدِفٌ هَامَةُ هذا العَأْلَمِ

وقول ذي الرمة[2]:

فقلتُ لها: لا إنَّ أهْلِيَ جيرةٌ لأكثبةِ الدَّهْنَا جميعاً ومَالِيَا

وإذا قرنَّا فعل المرادي بفعل المالقي في عزو الشعر؛ فنجد أنَّ المرادي متقدم على قرينه في ذلك كثيراً؛ فقد توافقا في ذكر أبيات، أغفل المالقي نسبتها، ونجدها عند المرادي معزوة لقائليها،

من ذلك قول النابغة الذبياني[1]:

---

(١) انظر رصف المباني (ص١٤٥) والرجز في ديوان العجاج برواية الأصمعي (١: ٤٦٢) تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، توزيع مكتبة أطلس بدمشق: ١٩٧١م، ولسان العرب (ب ي ت) (٢: ١٤) و(ع ل م) (١٢: ٤٢٠). والخندفة: التبختر في المشي خيلاء، ولعله أراد رجلاً بعينه. انظر (خ ن د ف) في لسان العرب (٩: ٩٨-٩٩). وانظر رصف المباني (ص١٧٨، ٢٢٦).

(٢) انظر رصف المباني (ص٣٣١) واقتصر على الشطر الأول منه، وقد تقدم البيت بشطريه دون عزو في كلامه على (أم) (ص١٧٩).والبيت من الطويل، في ديوان ذي الرمة (ص٤٥٢) شرح الخطيب التبريزي، عناية مجيد طراد، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ. وانظر رصف المباني (ص٣٤٦، ٣٦٧، ٣٨٧، ٣٩٢، ٤٠٩، ٤٣٢).

أزفَ الترحلُ، غيرَ أنَّ ركابَنَا لما تزُلْ برحالِنا، وكأنْ قدِ

وقول طرفة بن العبد[٢]:

رأيتُ بني غبراءَ لا يُنكرونني ولا أهلَ هذاكَ الطِّرافِ الممَددِ

ونرى أشعاراً معروفاً قائلها أهملا تسمية أصحابها؛ نحو قول جميل[٣]:

فقالتْ: أكلَّ الناسِ أصبحتَ مانحاً لسانَك، كيما أنْ تَغُرَّ، وتَخْدَعَا

وكذا قول عبيد بن قيس الرقيات[٤]:

ويقلنَ: شيبٌ قد عَلا كَ، وقد كَبِرْتَ، فقلتُ: إنَّهْ

ونلحظ عندهما عناية بروايات بعض الأبيات وتوجيهها؛ فهذا قول طرفة:

لنا هَضْبَةٌ لا ينزلُ الذلُّ وَسْطَها ويأوي إليها المستجيرُ لِيُعصَمَا

---

(١) انظر رصف المباني (ص١٥٩) والجنى الداني (ص١٤٦، ٢٦٠). والبيت من الكامل، في ديوان النابغة (ص٨٩) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.

(٢) انظر رصف المباني (ص٤٦٨-٤٦٩) والجنى الداني (٣٤٦-٣٤٧). والبيت من الكامل، في ديوان طرفة (ص٤٥) شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، الطبعة الثانية:٢٠٠٠م. والطراف: البيت من الجلد. انظر لسان العرب (ق ش ع) (٨: ٢٧٣)، وانظر أيضاً رصف المباني (ص١٦٦، ٤٥٠) والجنى الداني (ص٧٥، ٣٨٤).

(٣) انظر رصف المباني (ص٢٩١-٢٩٢) والجنى الداني (ص٢٦٢). والبيت من الطويل، في ديوان جميل بثينة (ص٧٩) تقديم بطرس البستاني، دار صادر ببيروت.

(٤) انظر رصف المباني (ص١٩٩-٢٠٠) والجنى الداني (ص٣٩٩). والبيت من الكامل، في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات (ص٦٦) تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر ببيروت.

أورداه في اللام المفردة؛ مجيئها بمعنى العاقبة، وعقَّب المالقي بالقول[١]: " فقال بعضهم: إنَّ اللام لام العاقبة، كالتي في الآيتين، وقال بعضهم: هي بمعنى الفاء؛ لأنَّ أصله: فيُعْصَما، وقد رُوي كذلك ". ثم ردَّ كونها في البيت للعاقبة فقال[٢]: " والصحيح أنها لام (كي) المتقدمة الذكر، لأنَّ فيها معنى العلة، ويصح تقديرها بـ(كي) ويدل على ذلك أنَّ الرواية قد صحَّت بالفاء في موضعها، وهي فاء السبب الجوابية، إلاَّ أنَّ نصبَ بعضهم بها وقع في الواجب، فقال بعضهم: ذلك ضرورة. والصحيح عندي أنَّ نصبها–وإنْ كان في ظاهر الواجب–على معنى الشرط المقدَّر؛ لأنَّ التقدير: إنْ يأوِ إليها المستجير يُعصَمْ، والفاء تنصِبُ في معنى جواب الشرط، على ما يُبيَّن في بابها إنْ شاء الله مستقصىً"

وعرض المرادي لبيت طرفة، وقال فيه نحو ما قاله صاحب الرصف[٣].

ونراهما يوردان قول ابن صريم اليشكري غفلاً من العزو:

ويوماً، توافينا بوجهٍ مُقسَّمٍ كأنْ ظبيةٍ تعطُو، إلى وارقِ السَّلَمْ

(١) رصف المباني (ص٣٠١) ومراده بالآيتين قوله تعالى في القصص٨ (فالتطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحَزَناً) وقوله في يونس٨٨ (ربَّنَا لِيُضلوا عن سبيلك).وذكر البيت دونما نسبة، وهو من الطويل، في ديوان طرفة (ص١٨٣).

(٢) رصف المباني (ص٣٠١).

(٣) انظر الجنى الداني (ص١٢٣-١٢٤)

في بيانهما معاني (أنْ) المفتوحة الخفيفة؛ فيشيران إلى رواية الجر في (ظبيةٍ) مع التوجيه، ويسوقانه في شرحهما معاني (كأنَّ) مع تفصيلهما القول في رواياته الثلاث؛ النصب والرفع والخفض[1]

ومما ضمَّه مُصَنَّفاهما بعضٌ من أشعار المولَّدين؛ فهذا المالقي يتحدث عن (لكنْ) الخفيفة، وعن دخول حرف العطف عليها، وأنه لا يبعد بقاؤها عاطفة مع وجود الواو، واستشهد على دخول حرف العطف على حرف عطف آخر بقولٍ للأعشى، وآخر لزُهير، وأردفهما بشعر لأبي نُوَاس جمع في الثاني بين حرفي العطف (الواو، بل):

البدرُ أشبهُ ما رأيتُ بها حين استوى وبَدَا من الحُجُبِ

وَبَلِ الرَّشا لم يُخْطِها شَبَهاً في الجِيدِ والعينينِ واللَّبَبِ

وأعقب ذلك قائلاً[2]: " وأبو نواس وإنْ لم يكن حجة؛ فهو معاصر للعرب، الأُلى تقوم بهم الحجة، ولم يَنْقُدْ أحدٌ من النقاد عليه جمع حرفي العطف إذا اختلف معنياهما" وهذا صريح في أنَّه لا يحتج بشعر المولدين، بل

(١) من الطويل، انظر رصف المباني (ص١٩٧-١٩٨، ٢٨٦-١٨٧)، والجنى الداني (ص٢٢٢، ٥٧٦)، وانظر صنيعهما أيضاً في رصف المباني (ص١٠٦، ١٩٤، ٣١٧) و الجنى الداني (ص٤٢٥، ٤٦٢، ٥٥٣، ٥٦٢-٥٦٣).

(٢) رصف المباني (ص٣٤٦) وبيتا أبي نواس من الكامل، في ديوانه (ص٩٦) تحقيق محمود أفندي واصف، المطبعة العمومية بالقاهرة، الطبعة الأولى: ١٨٩٨م، وفي سر صناعة الإعراب لابن جني (١: ٣٨٦) تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ.

ساق شعره تعضيداً لأسلوب استعمله الفصحاء، ويشاكه هذا ذكره قول المتنبي:

بادٍ هواكَ صبرتَ أو لم تصبِرا ....

في كلامه على الألف المبدلة عن النون الخفيفة في الوقف، وذكر أنَّ دخول النون على الفعل في الواجب يكون في الضرورة، ولا يُقاس عليه، وأشار إلى قياس الكوفيين عليه، وأنَّ المتنبي سار على مذهبهم في قوله هذا؛ فهو لم يجعل قوله حجة(١).

وقد ذهب محقق كتاب الرصف إلى أنَّ المؤلف يحتج أحياناً بشعر المولدين؛ فقال(٢): " نجد المالقي يحتج ببعض أبياتٍ قالها المولدون، وذلك لا على سبيل الاستئناس كما يفعل بعضهم، وإنما على سبيل الاحتجاج " وساق ثلاثة أبيات وردت في الرصف؛ هي قول فضل الشاعرة ؛ جارية المتوكل(٣):

فعاتبوه فزادَ عشقاً وماتَ عشقاً فكان ماذا

(١) انظر رصف المباني (ص١٢٥) وبيت المتنبي من الكامل، وعجزه: وبُكَاكَ إنْ لم يجرِ دمعُكَ أو جَرَى، وهو في ديوانه (ص٥٣٧) تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٢) رصف المباني (ص٦١).

(٣) ذكر في الرصف شطره الثاني، ولم يعزه. انظر (ص٢٦٥)، والبيت من البسيط، في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١: ٢٦٣) تحقيق الدكتور محمود الطناحي والدكتور عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية:١٤١٣هـ.

وبيت المعري[١]:

وما كُلْفَة البدرِ المنير قديمةً ولكنها في وجهه أثرُ اللطمِ

وشعر البحتري[٢]:

أَأَفاقَ صبٌّ مِن هوىً فأُفيقا أم خانَ عهداً أم أطاعَ شفيقا

قال في الأول[٣]: " استشهد ببيت لفضل الشاعرة:.....وذلك على أنَّ اتصال(ذا) بـ(ما) أخرجها عن حكم أدوات الاستفهام؛ بأنَّ لها الصدارة " فتقدمت عليها (كان) وصيَّرتها في محل نصب خبراً لها.

وقال في بيت المعري[٤]: " وهو يستشهد ببيت المعري في سياق اللغة:.....وذلك على أنَّ قوله (الكلفة) معناه شامة الأرنب في وسطه" وهذا في الكلام على معنىً وليس على قاعدة نحوية أو صرفية؛ والمعنى الذي تحدث عنه المالقي مقرر في معاجم اللغة[٥]، والمعري لم يأت في شعره بمعنىً جديد لم يستعمله الفصحاء، فذكره المالقي اعتماداً، بل ساق بيت

---

(١) ذكره بشطريه وعزاه في الرصف. انظر (ص٢٦٦-٢٦٧). والبيت من الطويل، في ديوان المعري (٣٩٣)، تحقيق علي المصري، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ببيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.

(٢) ذكر شطره الأول في الرصف دونما نسبة. انظر (ص٤٤٥). والبيت من الكامل، في ديوان البحتري (ص١٩)، وقف على طبعه وضبطه وتصحيحه عبد الرحمن أفندي البرقوقي، المطبعة الهندية بالموسكي بمصر، الطبعة الأولى: ١٣٢٩هـ.

(٣) رصف المباني (ص٦٢).

(٤) رصف المباني (ص٦٢).

(٥) انظر (ك ل ف) في لسان العرب(٩: ٣٠٧).

المعري لكونه موافقاً له، ولذلك نرى في كتب المعاجم ذكراً لعدد من الشعراء المولدين، منهم: أبو تمام(١)، وأبو نواس(٢)،

والمتنبي(٣)، والمعري(٤). فأقوالهم تعني التزامهم معاني أهل الفصاحة في تلك الأبيات المذكورة.

و قال في قول البحتري قال(٥): "احتجاجه ببيت البحتري:..... على النصب لما بعد الفاء في الاستفهام " وهذا من باب التمثيل أيضاً لا التقعيد ، فانتصاب الفعل بعد الفاء المسبوقة باستفهام على الجواب منصوص عليه في كتب الصناعة(٦)، وليس حُكماً نظَّره المالقي محتجاً له بشعر البحتري.

أمَّا ما عرضه المرادي من أبيات المولدين فكان للتمثيل والاستئناس أيضاً، لا للاحتجاج، شأن سالِفه المالقي؛ فهو في كلامه على (ثُمَّ) ذكر عن بعضهم

---

(١) انظر (م ض ر) في لسان العرب (٥: ١٧٨).

(٢) انظر (خ ض ر) في لسان العرب (٤: ٢٤٥).

(٣) انظر (ق ر ط، ب ذ ر ق) في لسان العرب (٧: ٣٧٥، ١٠: ١٤).

(٤) انظر (ج و ن) في لسان العرب (١٣: ١٠٤).

(٥) رصف المباني (ص٦٢).

(٦) انظر الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي (ص٣٢٩-٣٣٠)، وشرح المفصل لابن يعيش (٤: ٤٦-٤٧) تحقيق الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع بالكويت، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ، وشرح التسهيل لابن مالك (٤:٢٧-٢٨) تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.

مجيئها بمعنى الفاء العاطفة، وموافقة ابن مالك له، ودلَّل على ذلك ببيت لأبي دُؤَاد الإيادي، ثم قال بعد أن نقل عن ابن مالك قوله بأنَّ ثم تقع في عطف المقدم بالزمان، اكتفاء بترتيب اللفظ، وساق بيتاً لأبي نواس؛

فقال[1]: " ومن ذلك قول الشاعر:

إنَّ مَنْ سادَ، ثمَّ سادَ أبوهُ ثمَّ قد سادَ قبلَ ذلك جَدُّهْ"

***

(١) الجنى الداني (ص٤٢٨) وانظر شرح التسهيل لابن مالك (٣: ٣٥٣-٣٥٤). والبيت من الخفيف، في ديوان أبي نواس (ص٢٩٤) والرواية فيه: قل لمن ساد، ثم ساد أبوه.....قبله، ثم قبل ذلك جده، و في رصف المباني (ص٢٥٠)، ومغني اللبيب (ص١٥٩)، وشرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر البغدادي (٣: ٣٩) تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية بدمشق، الطبعة الثانية: ١٩٩١م. وانظر الجنى الداني أيضاً (ص٥٣، ١٠٣، ٢٩٤، ٦٠٠).

خامساً: في المصادر:

اتسمت المادة العلمية عند المؤَلِفين بالغنى؛ ومن مظاهره في الكتابين وفرة المصادر التي أفادا منها.

فنجد أقوال سيبويه-رحمه الله- الأكثر حضوراً وذكراً في رصف المباني؛ حيث ورد اسمه أكثر من ست وعشرين مرة(٢٦)، وهو ينقل معنى قول سيبويه، ولم ينقل نصه، إلا أنه أشار في بعض إفادته منه إلى الباب من كتاب سيبويه[١]. وفي معظم إفادته عن صاحب الكتاب يجعل آراءه الفيصل في كثير من المسائل؛ فانظره يقول[٢]: " والصحيح من هذه المذاهب مذهب سيبويه ومَنْ تَبِعَه " لكنَّه لم يرتضِ منه كل أقواله؛ فنقض بعضها، وسوف أتحدث عن هذا في الاعتراض عنده وعند المرادي.

ونقل عن الخليل[٣]، والفرَّاء[٤]، والأخفش كثيراً[٥]، وكان في معظم نقولاته غير موافق له فيما ذهب إليه. ونجد في رصفه نقله عن المبرد[٦]، والجرمي[٧]،

---

(١) انظر رصف المباني (ص١٢٦، ٢٤٠).

(٢) رصف المباني (ص٣٥٥)، وانظر (ص٣٥٤، ٣٩٨، ٣٩٩).

(٣) انظر رصف المباني (ص١٣١، ٢١٧، ٤٦٥).

(٤) انظر رصف المباني (ص١١١، ٢٥٦، ٣٩٢).

(٥) انظر رصف المباني (ص١١٤، ٣٨١، ٤٧١).

(٦) انظر رصف المباني (ص١٥٥، ١٩٠).

(٧) انظر رصف المباني (ص١١٥، ٤٠٩).

والزجَّاج[١]، والزجاجي[٢]، وأبي علي الفارسي[٣]،وابن جني[٤]، والسهيلي[٥]، والشلوبين[٦]، وابن عصفور[٧]، والمازني[٨]، وغيرهم.

وهو ينقل المعنى لا النص إلا ما ندر[٩]. ومن سنته في النقل عن مصادره اكتفاؤه بذكر مؤلفيها، وقلما يصرح باسم الكتب.[١٠]

أمَّا مصادره التي لم يصرّح بالأخذ عنها فيقول محقق الرصف[١١]: " يبدو أنَّ المؤلف قد قرأ قراءة واعية كتابَي ابن الأنباري: الإنصاف وأسرار العربية، لذلك نجد في رصفه كثيراً من الردود على الكوفيين، والعللَ والأقيسة التي نرجح أنه اقتبسها من ابن الأنباري في كتابيه المذكورَين، بل إنَّ التشابه بين بعض النصوص يكاد يكون حرفياً؛ في باب (ما) وفي باب (لا) وباء القسم

---

(١) انظر رصف المباني (ص١١٥، ٢٥٢، ٤١٥).

(٢) انظر رصف المباني (ص٣٠٩، ٣٥٠).

(٣) انظر رصف المباني (ص١١٧، ١٨٣، ٣٥٧).

(٤) انظر رصف المباني (ص١١٥، ٢١٧، ٤٦٦).

(٥) انظر رصف المباني (ص٣٤٧، ٤٠٣، ٤٧٥).

(٦) انظر رصف المباني (ص١٥١، ١٥٢).

(٧) انظر رصف المباني (ص٢٢٧).

(٨) انظر رصف المباني (ص١٢٦، ١٥٥).

(٩) انظر نقله نص الزجاجي (ص٣٤٩).

(١٠) انظر ذكره التبصرة للصيمري (ص١٨٣)، والخصائص لابن جني (ص٣١٠)، والبصريات لأبي علي الفارسي، ومشكل إعراب القرآن لأبي محمد مكي ابن أبي طالب (ص٣٥٣)، والإيضاح لأبي علي الفارسي (ص٣٦٩).

(١١) رصف المباني (ص٢٥-٢٦).

من أسرار العربية " ومع أنَّ المؤلف–رحمه الله–لم يذكر ابن عصفور غير مرة واحدة في كتابه؛ فنجد محقق الرصف يقول[١]: " ولعل (المقرّب) هو الكتاب الأول الذي تأثر به المالقي في رصفه، حتى إنَّ اطِّلاعه على هذا الكتاب يتجاوز مرحلة التأثر إلى مرحلة النقل الحرفي لبعض أبوابه كاملة، وهذا ما نجده مثلاً في بحث (إلاَّ والفاء وحتى) " فهو وغيره من الأندلسيين نرى لهم أثراً بيّناً في الرصف، وهذا طبيعي؛ فالمالقي ابن هذه البيئة.

أما مصادر صاحب الجنى الداني فكانت ثرية جداً؛ فقد صرَّح بنحو خمسين كتاباً (٥٠) في متن كتابه. ومن مصادره التي رجع إليها ونقل عنها كثيراً كتاب سلَفِه رصف المباني، فضلاً عن إفادته من مؤلفات وفيرة جداً، اقتصر على ذكر أصحابها دونها؛ منهم: الخليل[٢]، وسيبويه[٣]، والفرَّاء[٤]، والكسائي[٥]، والمبرد[٦] ، والأخفش[٧]، وابن السراج[٨]، والسيرافي[٩]، وأبو علي الفارسي[١٠]، وابن الشجري[١]، والزمخشري[٢]، والشلوبين[٣]، وابن

---

(١) رصف المباني (ص٢٦).
(٢) انظر الجنى الداني (ص١٢٢، ٢٥٦، ٣٠٧، ٤١٧، ٥٣٦، ٦١٢).
(٣) انظر الجنى الداني (ص٤٦، ١٠٧، ٢٠٨، ٣٠٦، ٤٠٩، ٥١٦، ٦١١).
(٤) انظر الجنى الداني (ص٦٢، ١٦٠، ٢٨٨، ٣٤٨، ٤٩٠، ٥١٠، ٦٠٥).
(٥) انظر الجنى الداني (ص٩٣، ١٣٠، ٢٣٢، ٣١٨، ٤٠٧، ٥٠٦، ٦٠١).
(٦) انظر الجنى الداني (ص٥٢، ١٨٤، ٢٠٩، ٢٩٣، ٣٦٥، ٤٥١، ٥٤٥، ٦٠٥).
(٧) انظر الجنى الداني (ص ٥٥، ١٣٠، ٢٢٢، ٣١٣، ٤٠٨، ٥٠٢، ٦٠٠).
(٨) انظر الجنى الداني (ص١٩١، ٢٠٩، ٣١٥، ٤٩٤، ٥١١).
(٩) انظر الجنى الداني (ص٦١، ١٤٧، ٢٣١، ٣١٥، ٤٣٨، ٥١٦، ٥٦٣).
(١٠) انظر الجنى الداني (ص٤٣، ١٠٦، ١٥٩، ٢٠٦، ٣٨٨، ٤٢٥، ٥٠٢، ٥٩٥).

عصفور[٤]، وابن يعيش[٥]، وابن مالك[٦]، وكثيرون غيرهم. واشتمل جناه على مصادر مبهمة، يذكرها بـ:[٧]"بعض النحويين "، أو[٨] " بعضهم "

كان اهتمام المرادي بالإفصاح عن مصادره أكثر من المالقي، ونجد عند معظم المتقدمين إغفالاً لذكر جميع مصادرهم، على تفاوت بينهم في ذلك، ولعلَّ هذا لا يمثل مغمزاً من قناتهم، فلكل عصر أعراف تسوده؛ ولذلك لا نشهدهم في ردودهم وتعقباتهم واستدراكاتهم يجرحون أحداً لهذا.

وهو يفيد من مصادره بنقل النص وهذا كثير[٩]؛ فحرصه في ذلك أكثر من المالقي، ونراه يذكر المعنى وهذا كثير أيضاً[١٠].

والمرادي كالمالقي ذو مكانة علمية ناقدة، لا يأخذ عن مصادره مقرَّاً كل ما ينقله عنها، بل ينقض ويرجح، ويُظهر فكره النحوي بخطىً ثابتة، ولغة هادئة.

---

(١) انظر الجنى الداني (ص١٠١، ٢٨٦، ٢٩٣، ٦٠٠).
(٢) انظر الجنى الداني (ص٥٣، ١٨٨، ٢٨٢، ٣١٦، ٤١٤، ٥٥٠، ٦١٠).
(٣) انظر الجنى الداني (ص٤٢، ١٩٠، ٣٠٥، ٤٣٥، ٤٩٩، ٥٣٩، ٦٠٥).
(٤) انظر الجنى الداني (ص٧٦، ١٠٣، ٢٢٩، ٣٥١، ٤٢٨، ٥١٦، ٥٩٨).
(٥) انظر الجنى الداني (ص٥٣، ١٤٠، ٣٠٩، ٤٥٤، ٦١٧،٥٠٢).
(٦) انظر الجنى الداني (ص٤٠، ١١١، ٢٠٢، ٣١١، ٤١٨، ٥٥١، ٦٠١).
(٧) انظر الجنى الداني (ص٢٥، ١١٨، ٢٦٦، ٤٠٠).
(٨) انظر الجنى الداني (ص١٩٢، ٢٦٤، ٤٠٠، ٦٠٥).
(٩) انظر الجنى الداني (ص٤١، ١٥٦، ٢٥٧، ٣٦١، ٤٧٢، ٥٠٠، ٦٠٩).
(١٠) انظر الجنى الداني (ص٥٣، ١١٩، ٢٦٩، ٣٧٨، ٤٧٣، ٥٨٩، ٦٠٠).

الموازنة بين الكتابين في المادة العلمية:

أولاً: في عرض المادة العلمية:

سأفصل القول في أدوات تكلَّم المؤَلفان عنها؛ لإبراز الفروقات بين الكتابين. من هذه (إِذْ).

ركَّز المالقي حديثه عنها كونها حرفاً، ومجيئها للشرط، وذكر اسميتها وورودها ظرفية بمعنى (حين)، وذهب إلى ترجيح الحرفية فيها(١).

أمَّا المرادي فساق فيها نحواً مما ساقه المالقي، وزاد عليه مجيئَها للتعليل، كما قوله تعالى {وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ} الزخرف٣٩. وقوله {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ} الأحقاف١١.

وكونها للمفاجأة، وأن تكون زائدة عند بعضهم، وكذا أن تكون بمعنى(قد)(٢).

وفي حديثهما عن (إنَّ) نجد المالقي وزَّع الكلام عليها على موضعين؛ الأول: كونها للتوكيد، وساق فيها ستة أحكام؛ هي: جواز حذف اسمها، وعدم جواز دخولها على مبتدأ فيه معنى الاستفهام، ودخول اللام في خبرها أو ما قام مقامه، وجواز الرفع في المعطوف على اسمها إذا جاء بعد الخبر،

---

(١) انظر رصف المباني (ص١٤٨-١٤٩).

(٢) انظر الجنى الداني (ص١٨٥-١٩٢).

وجواز تخفيفها، وجواز دخول نون الوقاية عليها. الموضع الثاني: مجيئها حرف جواب بمعنى (نعم)[1].

ونجد ما حكاه المالقي عنها موجوداً عند المرادي، بيد أنه زاد على الرصف بذكر ثمانية استعمالات (٨) لـ(إنَّ) تحت عنوان (فائدة) خلا رصف المباني منها؛ هي: ورودها لأمر الواحد المذكر، من الأنين، ووقوعها فعلاً ماضياً للمجهول، على لغة مَنْ كَسَرَ فاءَه، نحو: رِدَّ، مثل: إنَّ في الدارِ، واستعمالها لأمر جماعة الإناث، نحو: إنَّ، يا نساءُ، بمعنى اتْعَبْنَ، وإعرابها فعلاً ماضياً في محل رفع خبراً عن المبتدأ؛ نحو: النساءُ إنَّ، بمعنى تعِبْنَ. وكذلك مجيئها لأمر المؤنثة من (وَأَى): وَعَدَ، وأنْ تكون لأمر جمع المؤنث، مِنْ آنَ يَئِينُ، أي قرب، نحو: إنَّ يا نساءُ؛ أي اقْرَبْنَ، ووقوعها فعلاً ماضياً مُخبَراً به عن الإناث؛ نحو: النساءُ إنَّ، أي قَرِبْنَ، وآخرها كونها مركبة من (إنْ) النافية و(أنا) كقولهم: إنَّ قائمٌ؛ أي: إنْ أنا قائمٌ[2].

وفي كلامهما على (أنَّ) المفتوحة المشددة؛ نجدهما يُبَيِّنَانِ أن لها موضعين اثنين؛ الأول: أنها للتوكيد كالمكسورة، والثاني: كونها بمعنى (لعلَّ). إلاَّ أنَّه في الجنى الداني عقد مقارنة بينها وبين (إنَّ) ليدلل على صحة مذهب سيبويه؛ أنَّ المفتوحة الهمزة فرع عن المكسورة، خلافاً لزاعمي العكس، وكذا القائلين بأصالة كلٍّ منهما، وجعل موازنته بينهما في ستة (٦) وجوه.

---

(١) انظر رصف المباني (ص١٩٨-٢٠٤).

(٢) انظر الجنى الداني (ص٤٠٠-٤٠٢).

ونلحظ أنَّهما عدَّدا مواطن كسر همزة (إنَّ) مع أنَّ الكلام في المفتوحة الهمزة. وزاد المرادي؛ فسرد ثمانية مواضع يجب فيها فتح الهمزة، وكلامه فيها يلتئم وموضوع (أنَّ)، وأردف ذلك بعرض ثمانية مواضع يجوز فيها الفتح والكسر[١].

وعرض كلاهما للحرف (في)؛ واشتمل حديث المالقي على ستة معانٍ(٦) لها: الظرفية، وبمعنى (إلى)، وبمعنى (على)، وبمعنى الباء، وبمعنى (مِنْ)، وبمعنى (مع) وهو لم يحصرها فيما ذَكَره، بل قال[٢]: " من ذلك مجيئها " ثم فصَّل في معانيها الستة.

أمَّا المرادي فأضاف إلى الستة معانيَ أُخرَ، هي: المصاحبة، والتعليل، والمقايسة، ومجيئها زائدة، وختم كلامه عنها بتنبيهٍ إلى أنَّ مذهب سيبويه ومحققي البصريين أنها في كل تلك المعاني الواردة تؤول إلى الظرفية حقيقةً أو مجازاً[٣].

وجعل صاحب الرصف (يا) آخر ما تكلَّم عنه في كتابه، فذكر وقوعها حرف نداء، وحرف تنبيه،

وفرَّق بين استعْمَالَيْها، وبيان ما لكلٍ منهما[٤]. أمَّا في الجنى فقال ما قاله المالقي، بيد أنَّه توسَّع في بيان مجيئها للتنبيه؛ وذلك بذكر ما يليها؛ الأمر،

---

(١) انظر رصف المباني (ص٢٠٥-٢٠٧)، والجنى الداني (ص٤٠٢-٤١٨).

(٢) رصف المباني (ص٤٥١) وانظر (ص٤٥٠-٤٥٢).

(٣) انظر الجنى الداني (ص٢٥٠-٢٥٣).

(٤) انظر رصف المباني (ص٥١٣-٥١٥).

والدعاء، وليت، ورُبَّ، وحبَّذا، ونقل عن بعض النحويين قوله بأنها للنداء في ذلك كلِّه، ونقَضَه بكلام صاحب الرصف، لكن دون تصريح بالمصدر؛ فاكتفى بالقول: " وضُعِّف بوجهين " وساق كلام المالقي مختصراً[1]. وزاد على الرصف بما نُقِل عن أهل الكوفة، من ورودها وباقي حروف النداء أسماء أفعال، متحملة ضمائر مستكنة فيها[2].

وهذا النهج من المرادي غالب على معظم الأدوات التي ضمَّها جَنَاه، وهذا سلوك طبيعي أنْ يزيد اللاحق على السابق، تفصيلاً أو استدراكاً.

***

(١) انظر الجنى الداني (ص٣٥٤-٣٥٨).

(٢) انظر الجنى الداني (ص٣٥٥). وانظر كتابه توضيح المقاصد (١: ٦٤٣)، وهمع الهوامع للسيوطي (٢: ٣٣) تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية بمصر.

ثانياً: الاعتراض عندهما:

نجد في الكتابين اعتراضات كثيرة؛ لكنها في الرصف أكثر منها في الجنى. والمالقي صاحب ذهنية ناقدة بصيرة، تجلت في كثير من مسائل رصفِهِ، وهو في نقضه واثق الخُطَا، عَفُّ اللسان، فهو مع كثرة وقوفه مع البصريين لم يُسلِّم لهم كلَّ أقوالهم؛ فهذا سيِّدهم الخليل لم يبرأ من مخالفة المالقي له؛ ففي كلامه على انتصاب الفعل بعد (إذن) حكى نقلَ أبي عبيدة (ت: ٢٠٩هـ) عن الخليل أنه بإضمار (أنْ) بعدها، وردَّه في الرصف بنقض قياسها على حتى وكي ولام التعليل ولام الجحود[١] قال: " ولا يصحُّ القياس على ذلك؛ لأنَّ حتى وكي ولامها ولام الجحود، إنما تنصب بإضمار (أنْ) لجواز دخولها على المصادر.....ولما كانت (إذن) لا يصح دخولها على مصدر ملفوظ به ولا مُقَدَّر، ولا يصحُّ إظهار (أنْ) بعدها في موضع من المواضع؛ لم يجز القياس في نصب ما بعدها على ما ذُكِر" وردَّ المرادي أيضاً ما نُسب إلى الخليل، دونما تفسير[٢].

وفي عرضه في الرصف أحكام (أل) دفع مذهب الخليل فيها أنها حرف واحد، ورأى قول الجمهور بأنها لام التعريف دخلتها همزة الوصل، التي تسقط

(١) رصف المباني (ص١٥٦-١٥٧)

(٢) انظر الجنى الداني (ص٣٦٣-٣٦٤).

في الدرج، وفصَّل القول في المسألة وبيّنَ؛ فأجاد. ورجَّح المرادي مذهب الجمهور كما فعل المالقي[1].

وذكر في الرصف أنَّ الخليل وبعض متأخري البصريين يقولون بتركب (كأنَّ) من كاف التشبيه

و(أنَّ)، ووافقهم ابن جني، وذهب المالقي مذهب القائلين بأنها بسيطة، ودلَّل على ذلك وأفاض، وأقرَّه المرادي على ما ذهب إليه، ونقل كلامه في التدليل على ذلك دونما اعتراض. إلاَّ أنه ردَّ عليه نسبته البساطة في (كأنَّ) إلى أكثرهم؛ فقال[2]: " وفي نسبة القول بالبساطة إلى أكثرهم نظر؛ فإنَّ الظاهر أنَّ الأكثر يقولون بالتركيب، ولعدم اشتهار القول بالبساطة، قال ابن هشام: لا خلاف في أنَّ (كأنَّ) مركبة من (أنَّ) وكاف التشبيه" ونظر المرادي صواب؛ فالقول بالتركيب غالبٌ[3]. وقد عزا القول بالبساطة إلى الأكثرين

(١) انظر رصف المباني (ص١٥٨-١٥٩) و الجنى الداني (ص١٩٣). وانظر كتاب اللامات للزجاجي (ص١٧-١٩) تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار صادر ببيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ.

(٢) الجنى الداني (ص٥٧٠) وانظر (ص٥٦٨-٥٦٩) ورصف المباني (ص٢٨٤-٢٨٥)، وانظر تخطئته للخليل في رصف المباني (ص٤٦٥-٤٦٦).

(٣) انظر كتاب سيبويه (٣: ١٥١) الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل ببيروت، الطبعة الأولى، وسرُّ صناعة الإعراب (١:٣٠٤-٣٠٥)، وشرح المفصَّل لابن يعيش (٨: ١٤٧-١٤٨)، ومغني اللبيب (ص٢٥٢-٢٥٣)، وتحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب لبدر الدين الدماميني (٢: ٦٦٩) تحقيق الدكتور محمد مختار اللوحي، عالم الكتب الحديث

علاء الدين الإربلي (ت: ٧٤١هـ) أيضاً؛ قال في كتابه: جواهر الأدب في معرفة كلام العرب[١] قال: " وحكم الأكثر بإفرادها، قال ابن الحاجب: وهو الصحيح؛ لأنَّ التركيب خلاف الأصل ".

وفي كلامهما على (لَنْ) ردَّ صاحب الرصف قول الخليل بتركبها من (لا) النافية و(أنْ) الناصبة، بوجوه عدة، ذكرها المرادي مقرَّاً بها، لكنه أغفل نسبتها للمالقي، وبنى فعل الرد للمجهول؛ فقال[٢]: " ورُدَّ القول بالتركيب بأوجه: الأول:..."

أمَّا سيبويه فكلاهما يجعل رأيه ميزاناً بين الأقوال المختلفة، وما كان من مخالفة ما ذهب إليه قليلٌ جداً؛ ففي مبحث التاء، في كلام المالقي على كونها للإقحام، استشهد بقول النابغة الذبياني:

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصبِ وليلٍ أُقاسيه بَطيءِ الكواكبِ

فقد جاءت (أُمَيمَةَ) بالفتح للترخيم، ولو لم تكن كذلك لجاء بها مضمومة، فيُحكم على التاء

بالأردن، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ، ومعاني النحو للدكتور فاضل السامرائي (١: ٢٨٢) دار الفكر، الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ.

(١) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب لعلاء الدين الإربلي (ص٤٨٧) شرح وتحقيق الدكتور حامد أحمد نيل، مكتبة النهضة المصرية: ١٤٠٤هـ، وانظر الإيضاح في شرح المفصَّل لابن الحاجب (٢: ١٩٧) تحقيق موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، العراق.

(٢) الجنى الداني (ص٢٧١)، وانظر رصف المباني (ص٣٥٥-٣٦٥).

بالإقحام. قال في الرصف[١]: " على أنَّ سيبويه –رحمه الله– جعل الإقحام هنا للتاء بين الحرف الذي قبلها وحركته، وهذا توهم بعيد؛ لأنَّ الحرف لا يُتصور دخوله بين حركة وحرف، إذ لا إلحاق فيها في حال تحريكه، فلا يُحتمل دخول شيء بينهما"

وفي حديثهما عن (ليس) ذكر المالقي قول سيبويه فيها بأنها فعل، ورأيَ أبي علي الفارسي أنها اسم، وهو يجدها غير متمحضة في الفعلية ولا في الحرفية، وفصَّل الحديث في ذلك؛ فهو مخالف لسيبويه ولأبي علي الفارسي فيما ذهبا إليه. أمَّا المرادي فذكر أقوالاً فيها، منها قول صاحب الرصف، فنقل بعضه بنصه دونما اعتراض أو تحفظ[٢].

وفي كلامه على (لولا) ذكر المالقي أنه إذا دخلت على الضميرَ المخفوض، نحو: لولاك ولولاه ولولاي؛ فسيبويه ومتابعوه يجعلونها حرف جرٍّ، والأخفش وبعض الكوفيين يبقونها حرف ابتداء، وصاحب الرصف وافقهم فقال[٣]: " والأظهر عندي من هذين القولين قول الأخفش" وساق ما يؤيد ما ذهب إليه. أمَّا المرادي فرأى رأيَ سيبويه[٤].

---

(١) رصف المباني (ص٢٣٧)، وانظر دراسة الرصف لمحققه (ص٣٩).وبيت النابغة من الطويل، في ديوانه (ص٤٠). وانظر الخصائص لابن جني (١: ٣٠٨) تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العلمية ببيروت، وهمع الهوامع (٢: ٩١).

(٢) انظر رصف المباني (ص٣٦٨-٣٧٠)، والجنى الداني (ص٤٩٣-٤٩٤).

(٣) رصف المباني (ص٣٦٤).

(٤) انظر الجنى الداني (ص٦٠٢-٦٠٤).

وكانت للمالقي اعتراضات على كثير من النحويين؛ منهم: عيسى بن عمر(ت: ١٤٩هـ)[١]، والفرَّاء(ت: ٢٠٧هـ)[٢]، وأبو علي الجرمي (ت:٢٢٥هـ)[٣]، والمبرِّد (ت: ٢٨٥هـ)[٤]، والزجَّاج (ت:٣١٠هـ)[٥]، والأخفش(ت: ٣١٥هـ)[٦]، والزجاجي (ت: ٣٤٠هـ)[٧]،وأبو علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ)[٨] والسهيلي (ت: ٥٨١هـ)[٩].

ومن منهجه في الاعتراض بسط القول، مع كثرة الحجج المؤيدة لما يذهبُ إليه في نقضه في كثير من المسائل؛ ففي الكلام على النون المفردة، ذكر أنَّ التنوين يكون عوضاً من الحرف بحركته، نحو: جوارٍ وغواشٍ، ونقل عن أبي إسحاق الزجَّاج قوله بأنَّ هذا التنوين عوض من حركة الياء فقط؛ لكونها استُثْقِلت عليها، فعُوِّض عنها بالتنوين، فالتقى التنوين الساكن مع الياء، فثقُل اجتماعهما، فحُذفت الياء.

---

(١) انظر رصف المباني (ص١٥٣).

(٢) انظر رصف المباني (ص٤٥٨).

(٣) انظر رصف المباني (ص٢٦٣).

(٤) انظر رصف المباني (ص٤٥٨).

(٥) انظر رصف المباني (ص٤١٥).

(٦) انظر رصف المباني (ص٢٧٦، ٣٩٩).

(٧) انظر رصف المباني (ص٣٠٩، ٣٤٩، ٣٥٠).

(٨) انظر رصف المباني (ص١٨٣).

(٩) انظر رصف المباني (ص٤٠٣).

ودفع المالقي هذا بردٍّ مُفَصَّل؛ فقال[1]: " وهذا فاسد من أوجه: أحدها: أنَّ الكسرة والضمة في الياء لا تظهران أبداً، سواء كان في الكلمة تنوين أو لم يكن لاستثقالهما، فلمَّا لم تظهرا في موضع دلَّنا على أنَّ التنوين إنما هو عوض من الياء، وتبعتها الكسرة، إذ ليس على ما تحلُّ تقديراً، فلمَّا كانت الياء كالضمة والكسرة في التقدير، حكمنا بأنه عوض منها. الثاني: أنَّا قد وجدنا ما لا يدخله حركة أصلاً، نحو: حبلى وذكرى وسلمى، ولم نجد فيه تنويناً، لذلك فلو كان التنوين عوضاً من حركة لَلَزم في هذه الأسماء ونحوها، فدلَّ على أنَّ التنوين في مسألتنا عوض من الحرف لا من الحركة. والثالث: أنَّ التنوين حرف والياء حرف فتناسبا، فعُوِّض أحدهما من الآخر، ولا تناسُب بين الحركة والتنوين، فيُجعَل عوضاً منها، لأنه حرف، وهي بعض حرف عند المحققين" وعرض المرادي لهذا التنوين، وذكر أنَّ المبرِّد وأبا إسحاق الزجاجي يذهبان إلى أنه عوض من حركة الياء فقط، ولم يردَّه أو يعرض لدفع المالقي له[2].

---

(١) رصف المباني (ص٤١٥-٤١٦). وانظر المسألة عند الزجاج في كتابه ما ينصرف وما لا ينصرف (ص١١٢) تحقيق هدى محمود قراعة، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكتاب الخامس والعشرون، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، القاهرة:١٣٩١هـ، وسر صناعة الإعراب (٢: ٥١٣). وانظر مسائل أخرى في رصفه (ص١٥٧، ١٧٨، ٣٠٩).

(٢) انظر الجنى الداني (ص١٤٥) والإيضاح في علل النحو للزجاجي (ص٩٧-٩٨) تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الخامسة: ١٤٠٦هـ.

وكانت للمرادي اعتراضات على كثيرين من أسلافه؛ منهم: الفرَّاء (ت: ٢٠٧هـ)[١]، ،والأصمعي (ت:٢١٥هـ)[٢]، وأبو جعفر النحاس (ت: ٣٢٨هـ)[٣]، والمبرِّد (ت: ٢٨٥هـ)[٤]، وابن الطراوة (ت: ٥٢٨هـ)[٥]، والزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)[٦]. وهو في معظم ردوده ينحو إلى الإيجاز في البيان؛ خلافاً لسلفه في رصفه، فانظر من ذلك ما ردَّ به في جناه في مبحث (لا)[٧]: " وزعم بعض النحويين أنَّ أصل (لا) الطلبية لام الأمر، زِيدَ عليها ألف، فانفتحت. وزعم السهيلي أنها (لا) النافية، والجزم بعدها بلام الأمر مضمرة قبلها. وحذفت كراهة اجتماع لامَين في اللفظ. وهما زعمان ضعيفان" ولم يزد على ذلك.

وفي كلامه على (حتَّى) نقل عن ابن مالك قوله بوجوب إعادة الخافض ما لم يتعيَّن العطف، حال العطف بحتَّى على المجرور، وتمثيله بـ: عجبتُ من القومِ

(١) انظر الجنى الداني (ص٢٢٤).

(٢) انظر الجنى الداني (ص٣٧٦).

(٣) انظر الجنى الداني (ص٣٠٦).

(٤) انظر الجنى الداني (ص١٥٤، ٦٠٥).

(٥) انظر الجنى الداني (ص٦٠١).

(٦) انظر الجنى الداني (ص٥٤).

(٧) الجنى الداني (ص٣٠٠)، وانظر كذلك في الجنى (ص٨٠، ٢٦٩، ٤٥٥، ٥٤٨، ٥٩٠).

حتى بَنِيهم. فلم يرتضِ منه ذلك، واكتفى بقوله[1]: " وفيه نظر" ولم يعرب عن هذا النظر.

وانظر نقضه رأي الكوفيين، في حديثه عن الواو، بمَ ينتصب المفعول معه ؟ قال[2]: " وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب بالخلاف. وهو فاسد، لأنَّ الخلاف معنى، والمعاني المجردة لم يثبت النصب بها".

والأقل من هذا النهج تفصيله القول في الردِّ، وهو اعتمد على صاحب الرصف في هذا، في مواطن عدة، أُشيرَ إليها قبلُ.

وقد يكون البيان والشرح منه؛ ففي الحديث عن (لما) أوضح أنَّ فيها مذهبين: مذهب سيبويه بأنها حرف، ومذهب أبي علي الفارسي أنها ظرف بمعنى (حِينَ)، حيث رأى صحة قول سيبويه[3] " لأوجه: أحدها؛ أنها ليس فيها شيء من علامات الأسماء. والثاني؛ أنها تقابل (لو) وتحقيق تقابلهما

---

(١) الجنى الداني (ص٥٥١)، وانظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك (١٧٥-١٧٦) تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر: ١٣٨٧هـ.

(٢) الجنى الداني (ص١٥٥).والخلاف مصطلح كوفي، وهو عامل معنوي، والفرَّاء يذكره بالخلفة. انظر معاني القرآن للفراء (١: ٢٦٠) تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الرابعة: ١٤٣٤هـ، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري، المسألة الثلاثون (١: ٢٤٨) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر: الطبعة الرابعة: ١٣٨٠هـ، والفصول المفيدة في الواو المزيدة لصلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي(ص١٩٥)، تحقيق الدكتور حسن موسى الشاعر، دار البشير بالأردن، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.

(٣) الجنى الداني (ص٥٩٤-٥٩٥).

أنك تقول: لو قام زيد قام عمرو، ولكنه لما لم يقم لم يقم. والثالث؛ أنها لو كانت ظرفاً لكان جوابها عاملاً فيها، كما قال أبو علي. ويلزم من ذلك أنْ يكون الجواب واقعاً فيها، لأنَّ العامل في الظرف يلزم أن يكون واقعاً فيه. وأنت تقول: لما قمتَ أمسِ أحسنتُ إليك اليوم. {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} الكهف٥٩. والمراد أنهم أُهلكوا بسبب ظلمهم، لا أنهم أُهلكوا حين ظلمهم؛ لأنَّ ظلمهم متقدم على إنذارهم، وإنذارهم متقدم على إهلاكهم. والرابع: أنها تشعر بالتعليل، كما في الآية المذكورة، والظروف لا تُشعر بالتعليل. وبهذا استدل ابن عصفور على حرفيتها. والخامس: أنَّ جوابها قد يقترن بـ(إذا) الفجائية، كقوله تعالى{فَلَمَّا جَاءهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ }الزخرف٤٧. وما بعد (إذا) الفجائية لا يعمل فيما قبلها "

ونظير هذا دفعه نقضَ أبي حيَّان الأندلسي مذهبَ الجمهور، بأنَّ (إذا) مضافة للجملة التي بعدها، وأنَّ العامل فيها الجواب[1].

***

(١) انظر الجنى الداني (ص٣٦٩-٣٧٠).

ثالثاً: اعتراضات المرادي على المالقي:

أفاد المرادي من رصف المباني في جناه كثيراً، ناقلاً عنه، بالنص أو المعنى، وهو في ذلك كله، يذكر اسم الكتاب دون ذكر مُؤَلِّفه، فهو لم يورد اسم المالقي في صفحات كتابه أبداً. ونجده ينقل عنه أحياناً مغفلاً نسبة الكلام للرصف[١]، وكان معظم أخذه عنه إقراراً بأقواله في البيان أو الردّ[٢].

أمَّا ما اعترض به عليه فقليل إذا قِيس بما وافقه فيه؛ فمما خالفه ما ذهب إليه المالقي في كلامه على معاني الباء، من أنها تكون بمعنى السؤال، كقوله تعالى{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ }المعارج١

وأنها تأتي للتعجب وللتشبيه أيضاً. قال المرادي[٣]: " وذكر صاحب رصف المباني، في معاني الباء ثلاثة معانٍ، لا تحقيق في ذكرها، وهي السؤال نحو {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ }المعارج١، والتعجب نحو: أحسِن بزيد. قال: ولا يصحُّ أنْ تكون هذه الباء زائدة؛ لِئلاَّ يفسد معناها، ويخرج الكلام عن التعجب. والتشبيه نحو: لقيتُ به الأسدَ، وواجهتُ به الهلالَ. قلتُ: أمَّا الباء التي بعد السؤال فهي بمعنى (عن) عند قوم، وللسببية عند آخرين، كما تقدم، والسؤال مستفاد من الفعل لا منها "

---

(١) انظر في هذا: الجنى الداني (ص٤٣٧) رصف المباني (ص٢٦٣)، الجنى الداني (ص٤٥٩) رصف المباني (ص٤٦١-٤٦٢).

(٢) انظر الجنى الداني (ص١٠٢، ٢٣٦، ٢٤٢، ٣٥٤، ٣٨٣، ٣٩٢، ٤١٩، ٤٣٣، ٤٩٢، ٥٢٣، ٥٨٣، ٥٩٧، ٦٠٢).

(٣) الجنى الداني (ص٤٦-٤٧).

أقول: إنَّ المالقي لم يخرُج عمَّا قاله مُتَقَدِّمُوه، لكنَّ المرادي نقل معنى كلامه، دون تمامه، وسأسوق نصه في الرصف لِيُعرِب عن قصده؛ قال[1]: " المعنى الخامس: السؤال، فتكون بمعنى (عن) نحو: سألتك بزيدٍ، أي عنه، قال تعالى{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ }المعارج١، أي: عن عذاب، وقال الشاعر:

فإنْ تسأَلُوني بالنساءِ فإنني بصيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيبُ

أي: عن النساء " هذا كلامه كاملاً، ونصَّ فيه أنه أراد بالسؤال مجيئها بمعنى (عن)، فكلام المرادي في تعقيبه على المالقي بأنها بعد السؤال بمعنى (عن) عند قومٍ؛ فيه تجاوزٌ لصاحب الرصف، والمرادي قائلٌ بذلك أيضاً، وهذا المعنى فيه تحقيقٌ. والمرادي-رحمه الله-عُرِف بوفرة صلاحه وورعه، وما إخاله عَمَد إلى إسقاط بعض كلام الرصف بغية الغمز؛ لكنْ لعلَّه اعتمد نسخة من رصف المباني فيها بعض النقص، الذي تسببه غفلة الناسخ أحياناً، أو عوامل خارجية؛ من سوء حفظ للكتب، أو تعرض لرطوبة، أو نحوه،

(١) رصف المباني (ص٢٢٢). والبيت من الطويل، لعلقمة بن عبدة، وهو في ديوانه شرح الأعلم الشنتمري (ص٢٤) عناية الدكتور حنَّا نصر الحتي، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الأولى:١٤١٤هـ.وانظر المسألة في تفسير ابن زمنين (٥: ٣٤) تحقيق حسين بن عكاشة ومحمد مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة بالقاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ، والأزهية في علم الحروف للهروي (ص٢٨٢) تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق: ١٤١هـ، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (٢: ٧٥٦-٧٥٧) تحقيق الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ، والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي (٤: ١٤٥) دار الكتاب العربي بالبنان، الطبعة الرابعة: ١٤٠٣هـ، ، والدر المصون (١٠: ٤٤٥-٤٤٧).

وخاصة أنَّ الرصف صُنِع بالأندلس، ومنها رُحِّل إلى بلاد المشرق، التي ألَّف فيها المرادي جناه. وقد يكون سها عن قراءة نص المالقي كاملاً، فوهم في مقصده. والله أعلم.

أمَّا مجيء الباء بمعنى التعجب فذهب في الرصف إلى عدم زيادتها؛ قال[1]: " ولا يصحُّ أنْ تكون هذه الباء زائدة، لئلا يفسد معناها، ويخرج الكلام عن التعجب، وإنْ كان ما بعدها في موضع فاعل عند قوم، وفي موضع مفعول عند آخرين " وكأنَّ المرادي عندما قال قبلُ " لا تحقيق في ذكرها " يخالف المالقي في عدم زيادتها، فهو فصَّل القول في هذه الباء، ورأى أنَّها زائدة، موافقاً لأكثر النحويين[2].

أمَّا باء التشبيه فقال في الجنى[3]: " وأمَّا الباء في: لقيتُ به الأسدَ، وواجهتُ به الهلالَ، فهي عند التحقيق باء السببية، والمعنى: لقيتُ بسبب لقْيه الأسدَ، وواجهتُ بسبب مواجهته الهلالَ. وهي كالباء في قولهم: لئن

(١) رصف المباني (ص٢٢٢).

(٢) انظر الجنى الداني (ص٤٧-٤٨). وانظر المسألة في شرح المفصل لابن يعيش (٧: ٢٤٧)، والتبيان في إعراب القرآن (٢: ٨٤٤)، والدر المصون (٧: ٦٠٢-٦٠٣).

(٣) الجنى الداني (ص٤٨).وانظر في التجريد الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (ص١٣٩) تحقيق الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم ببيروت، الطبعة الرابعة: ١٩٩٨م، وخزانة الأدب وغاية الأرب لتقي الدين الحموي (٢: ٤٣٨) تحقيق عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال ببيروت، الطبعة الأولى: ١٩٨٧م، والخصائص (٢: ٤٧٣-٤٧٥).

سألت فلاناً لتسألنَّ به البحرَ. وهذا من باب التجريد. وهو أن يُنتزع من أمر ذي صفة آخرُ، مثلُه فيها، مبالغة في كمالها فيه. وهو من أبواب علم البديع".

أقول: كلام المالقي يلامس المعنى في المثالين أكثر من توجيه المرادي؛ فالتشبيه الصريح يعرب عن المعنى؛ فهو كما جاء في الرصف[1]: " كأنك قلتَ: لقِيتُهُ فكأني لقيتُ الأسدَ، وواجهته فكأني واجهتُ الهلالَ. قال العجاج:

لاقوا به الحَجَّاجَ والإصحَارا به ابنَ أَجْلَى وافقَ الإسفارا

كأنه قال: وجدوا به ابنَ أجلى ". أمَّا رأي صاحب الجنى فالتكلف فيه بادٍ جلي.

وفي حديث المالقي عن (ثمَّ) ذكر مجيئها حرف ابتداء، وذلك حين مجيء المبتدأ والخبر بعدها، نحو قوله تعالى {قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ} الأنعام٦٤، أو ابتُدِئ بعدها بكلام، نحو قوله سبحانه {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ} المؤمنون ١٤، ١٥، ١٦. ثم أردف قائلاً[2]: " وقد يرجع هذا إلى عطف الجمل، إذا كان الجملتان في كلام واحد، وذلك بحسب إرادة المتكلم.

---

(١) رصف المباني (ص٢٢٤-٢٢٥). والرجز في ديوان العجاج (ص١١١). وانظر المسألة في الأمالي لأبي علي القالي (١: ٢٥١) دار الكتب العلمية ببيروت: ١٣٩٨هـ، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي (١: ٢٥٣) تحقيق محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.

(٢) انظر رصف المباني (ص٢٥٠-٢٥١).

والأظهر في الجمل الانفصال في المراد، إلاَّ حيث يدلُّ الدليل على أنَّ مقصود المتكلِّم واحد ". وردَّ عليه المرادي فقال[1]: " ولا يصحُّ كونها حرف ابتداء، وإنما هي حرف عطف، تعطف جملة على جملة، كما تعطف مفرداً على مفرد".

أقول: إنَّ المالقي قال بأنها حرف ابتداء على الاصطلاح، باعتبار ما يليها، فهو مُبْتَدَأٌ به بعدها، سواء أكان جملة اسمية أم فعلية، فهي في هذا صِنو الواو، التي قال عنها المرادي في جناه[2]:

" واو الاستئناف، ويُقال: واو الابتداء، وهي الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى.."

وذهب القرطبي إلى أنها في قوله تعالى {ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} البقرة١٩٩. للابتداء[3].

وفي كلامهما على الواو، ذهب المالقي[4] إلى وقوعها بدلاً عن همزة الاستفهام، إذا وليها ألف وهمزة مسهَّلة، ومنه قراءة ابن كثير من رواية قُنْبُل

---

(١) الجنى الداني (ص٤٣٢).

(٢) الجنى الداني (ص١٦٣).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢: ٤٢٧-٤٢٨)، دار الشعب بالقاهرة، والأدوات النحوية في كتب التفسير للدكتور محمود الصغير (ص٥٧٧)، دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.

(٤) انظر رصف المباني (ص٤٩٩).وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨: ٢١٦)، وحجة القراءات (ص٧١٦)، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني (ص١١٢) تحقيق

قولَه تعالى {وَامَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ}الأعراف١٢٣. وعلَّق المرادي على ذلك بالقول[١]: " ذكر ذلك صاحب (رصف المباني) ولا ينبغي ذكر مثل هذا؛ إذ لو فُتح هذا الباب لعُدَّت الواو من حروف الاستفهام، والإبدال في ذلك عارض، لاجتماع الهمزتين ".

أقول: ما قاله في الجنى من باب الأَولى؛ للعلة التي ساقها، وصنيع المالقي غايته ذكر كلِّ ما يتعلق بالواو؛ إثراءً للمادة العلمية.

وكانت له اعتراضات على صاحب الرصف دون أنْ يُسميَه؛ ففي كلامه على (سوف)

قال[٢]: " ذكر بعض النحويين لـ(سوف) موضعاً، لا تدخل فيه السين، وهو أنَّ لام الابتداء والتوكيد تدخل على (سوف)، نحو {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}الضحى٥. ولا يكون ذلك في السين. قال: لئلا يجتمع حرفان، على حرف واحد، مفتوحان زائدان على الكلمة. ولشدة اتصال بعضها ببعض، واتصالهما بالكلمة، ربما أدى ذلك، في بعض الكلمات، إلى اجتماع

أوتوتريزل، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٤م، والدر المصون (٥: ٤٢٠-٤٢١، ١٠: ٣٨٩)، واللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (١٩: ٢٤٧-٢٤٨)، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.

(١) الجنى الداني (ص١٧٢). وانظر القراءة في الأحرف السبعة للقرآن لأبي عمرو الداني (ص٢٩٠)، تحقيق عبد المهيمن طحان، مكتبة المنار بمكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ، والدر المصون (٥: ٤٢٠-٤٢١).

(٢) الجنى الداني (ص٤٥٩-٤٦٠). وانظر النص كاملاً في رصف المباني (ص٤٦٠-٤٦١).

أربع متحركات وأكثر، نحو: لَسَيَجِدُ، ولَسَيَتعلَّمُ، فتثقل الكلمة. ولذلك سكّن آخر الفعل مع الفاعل، أو ما في حكمه، نحو: ضربتُهُ. وكثيراً ما يهربون من هذا الثقل. فطرحوا دخول اللام على السين لذلك "

نقل هذا النص عن المالقي مهملاً عزوه إليه، واكتفى بنسبته لبعض النحويين. وعقَّب عليه بالقول[1]: " قلتُ: وقد سُمع وقوع السين في موضع، لم تُسمع فيه (سوف) وهو خبر عسى. فإنه قد ورد فيه وقوع السين موقع (أنْ) لأنها نظيرتها في الاستقبال، في قول الشاعر:

عسى طيئٌ من طيئٍ، بعد هذه ستُطفِئُ غُلَّاتِ الكُلَى، والجوانحِ

وهذا شاذ، لا يقاس عليه، والله أعلم "

أقول: نعم ورد هذا، لكنه بوصف المرادي لا يُقاس عليه لندرته، ولعلَّ هذا دافعُ المالقي لإغفاله، ولو أشار إليه لكان أَوْلَى، جرياً على عادته في كتابه، من ذكر المقيس والشاذِّ، كي يوفي المسألة حقَّها.

وفي كلام المرادي على (لولا) عرض لتلحين بعضهم المعرّيَ في قوله:

يذيبُ الرّعْبُ منه كلَّ عَضْبٍ فلولا الغمدُ يُمْسِكُهُ لَسَالا

---

(١) الجنى الداني (ص٤٦٠). والبيت من الطويل، لقسام بن رواحة، وهو في مغني اللبيب (ص٢٠٣)، والمزج (شرح الدماميني على مغني اللبيب): (٣٠٢:١-٣٠٣) مطبوع بهامش المنْصِف من الكلام على مغني ابن هشام للشمني، المطبعة البهية بمصر، وخزانة الأدب (٩: ٣٤٤).وهمع الهوامع (١: ٤٧٧).

لأنه لا يجوز مجيء الخبر بعد (لولا) إلاَّ مقدَّراً، والمعري أتى به مظهراً (يمسكه). ونقل في الجنى عن بعضهم أنه خرَّجه على أنَّ (يمسكه) حال، ونقضه بما حكاه الأخفش عن العرب أنهم لا يأتون بالحال بعد الاسم الواقع بعد (لولا). والذي قدَّره حالاً المالقي، الذي أهمل المرادي عزوه إليه(١).

أقول: إنَّ المرادي كما المالقي يدفع تلحينهم المعريَ في هذا البيت، لكنه لم يرتض تأويل الرصف الحاليةَ في (يمسكه) ونَقَضَه بما نقله عن الأخفش، ونقل اختيار ابن مالك بأنَّ الخبر إذا كان مقيَّداً وله دليل يدلُّ عليه؛ جاز فيه الإثبات والحذف، وجعل منه قول المعري، وهذا اختيار المرادي أيضاً، كونه لم يعقِّب عليه، وصرَّح باختيار هذا في شرحه للألفية أيضاً(٢).

(١) انظر الجنى الداني (ص٦٠٠)، ورصف المباني (ص٣٦٣). وانظر مغني اللبيب (ص٣٦٠). والبيت من الوافر،
في ديوان المعري (ص٢٩٦)، والدر المصون (١: ٤١٠)، وهمع الهوامع (١: ٣٩٣).

(٢) انظر كتابه شرح الألفية (١: ١٩٣) وانظر الجنى الداني (ص٦٠١)، وشرح التسهيل لابن مالك (١: ٢٧٦)، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري (١: ٢٢١) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ببيروت، الطبعة الخامسة: ١٣٩٩هـ.

الخلاصـــة:

انتهى الدرس الموازن بين الكتابين إلى نتائج، أهمها:

- أنه كانت معاصرة بين المالقي والمرادي، ولا دليل على التقائهما.
- كان أبو حيَّان الأندلسي أداة وصل بين المصَنِّفَين؛ حيث تلمذ للأول، وتلقى عنه الثاني.
- **أمَّا الموافقات: فيلتقي المُصَنَّفان فيما يلي:**
- اتفاقهما في الكلام على معظم الأدوات الواردة فيهما.
- اتسمت العبارة في الكتابين بالوضوح والمرونة المتَّزِنة.
- التقارب الكبير في كثير من معالم منهجيهما.
- الهدف التعليمي كان من مقاصدهما؛ من خلال العبارة، وبسط المادة العلمية وتقريرها.
- كان موقفهما من القراءات الشاذَّة والحديث النبوي الشريف موقفَ جمهور النحويين من كلام العرب؛ كثيرُه حجة يُقاس عليه، وقليله فصيح شاذٌّ لا يُقاس عليه.
- وجود أشعار للمولَّدِين في الكتابين كان للتمثيل والاستئناس، لا للاحتجاج.
- التقاء نظر المؤَلِفَين عند رأي سيبويه – رحمه الله – كثيراً.
- غنى المصادر التي أفادا منها في كتابيهما، مع عدم تسليمهما لكل نقلٍ؛ فكان الاعتراض في كتابيهما ثرَّاً.

- **الاختلافات:**

- وجود زيادات في الجنى الداني على ما في رصف المباني، في بعض الأدوات التي تكلما عنها.
- كان المرادي أكثر من المالقي عناية في عزو الأشعار لقائليها.
- كان المالقي أطول نَفَسَاً في الردِّ على سابِقِيه من المرادي، الذي مال إلى الإيجاز في معظم ردوده.
- كانت شخصية المالقي العلمية أكثر ظهوراً من شخصية المرادي، وهذا في الاعتراض على النحاة خاصَّة.
- كانت اعتراضات المرادي على صاحب الرصف قليلة، مقارنة بموافقاته الكثيرة له ونقله عنه.

***

مصادر البحث ومراجعه

- ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة لعبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي، تحقيق الدكتور طارق الجنابي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- الأحرف السبعة للقرآن لأبي عمرو الداني، تحقيق عبد المهيمن طحان، مكتبة المنار بمكة المكرمة، الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ
- الأدوات النحوية في كتب التفسير للدكتور محمود الصغير، دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
- الأُزهية في علم الحروف للهروي، تحقيق عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق: ١٤١٣هـ.
- أسرار العربية لأبي البركات الأنباري. تحقيق الدكتور فخر صالح قدارة. دار الجيل ببيروت. الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.
- الأمالي لأبي علي القالي، دار الكتب العلمية ببيروت: ١٣٩٨هـ.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر: الطبعة الرابعة: ١٣٨٠هـ.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ببيروت، الطبعة الخامسة: ١٣٩٩هـ.
- الإيضاح في شرح المفصَّل لابن الحاجب، تحقيق موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، العراق.
- الإيضاح في علل النحو للزجاجي، تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الخامسة: ١٤٠٦هـ.
- الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم ببيروت، الطبعة الرابعة: ١٩٩٨م

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. المطبعة العصرية ببيروت.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفروزآبادي، تحقيق محمد المصري، دار سعد الدين للنشر والتوزيع بدمشق، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.
- تحفة الغريب في الكلام على مغني اللبيب لبدر الدين الدماميني، تحقيق الدكتور محمد مختار اللوحي، عالم الكتب الحديث بالأردن، الطبعة الأولى: ١٤٣٢هـ.
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزيلعي. دار ابن خزيمة.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر: ١٣٨٧هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي، دار الكتاب العربي بلبنان، الطبعة الرابعة: ١٤٠٣هـ.
- تفسير ابن زمنين، تحقيق حسين بن عكاشة ومحمد مصطفى الكنز، دار الفاروق الحديثة بالقاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ.
- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، تحقيق أوتوتريزل، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثانية: ١٩٨٤م.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، دار الشعب بالقاهرة.
- الجمل في النحو للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار الفكر بدمشق، الطبعة السادسة: ١٤٣٠هـ،
- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية ببيروت: ١٩٩٢م.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب لعلاء الدين الإربلي، شرح وتحقيق الدكتور حامد أحمد نيل، مكتبة النهضة المصرية: ١٤٠٤هـ.
- حجة القراءات لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ.

- خزانة الأدب وغاية الأرب لتقي الدين الحموي، تحقيق عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال ببيروت، الطبعة الأولى: ١٩٨٧م،
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، تحقيق محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.
- الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب العلمية ببيروت.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني، مراقبة محمد عبد المعيد خان. الطبعة الثانية، مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد بالهند.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي. تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، الطبعة الثانية، دار القلم بدمشق، ١٤٢٩هـ.
- ديوان البحتري، وقفَ على طبعه وضبطه وتصحيحه عبد الرحمن أفندي البرقوقي، المطبعة الهندية بالموسكي بمصر، الطبعة الأولى: ١٣٢٩هـ.
- ديوان جميل بثينة، تقديم بطرس البستاني، دار صادر ببيروت.
- ديوان الحسن بن هانئ، تحقيق محمود أفندي واصف، المطبعة العمومية بالقاهرة، الطبعة الأولى: ١٨٩٨م.
- ديوان ذي الرمة، شرح الخطيب التبريزي، عناية مجيد طراد، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ.
- ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت، الطبعة الثانية:٢٠٠٠م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر ببيروت.
- ديوان العجاج برواية الأصمعي، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، توزيع مكتبة أطلس بدمشق: ١٩٧١م.

- ديوان أبي العلاء المعري، تحقيق علي المصري، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ببيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم بدمشق، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ.
- سرُّ صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم بدمشق، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ.
- سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة ببيروت، ١٣٨٦هـ.
- سنن سعيد بن منصور، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية بالهند، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ.
- الشاهد النحوي بين كتابي معاني الحروف للرماني ورصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، لفداء حمدي رفيق فتوح، دراسة مقارنة. رسالة ماجستير. جامعة النجاح الوطنية في نابلس: ٢٠٠٦م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وزميله، دار ابن كثير بدمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ.
- شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر البغدادي، تحقيق عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية بدمشق، الطبعة الثانية: ١٩٩١م.
- شرح الألفية للمرادي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار مكتبة المعارف ناشرون ببيروت، الطبعة الثانية:٢٠١٧م.
- شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ

- شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل للأعلم الشنتمري، عناية الدكتور حنَّا نصر الحتي، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الأولى:١٤١٤هـ.
- شرح المفصَّل لابن يعيش، تحقيق الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع بالكويت، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ.
- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.
- صحيح البخاري، تحقيق: الدكتور مصطفى البغا. الطبعة الثالثة. دار ابن كثير. اليمامة ببيروت: ١٤٠٧هـ.
- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث ببيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق الدكتور محمود الطناحي والدكتور عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية:١٤١٣هـ.
- الفصول المفيدة في الواو المزيدة لصلاح الدين خليل بن كيكلدي العلائي، تحقيق الدكتور حسن موسى الشاعر، دار البشير بالأردن، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ.
- كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل ببيروت، الطبعة الأولى.
- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- كتاب اللامات للزجاجي، تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار صادر ببيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ.
- الكشاف للزمخشري. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. دار إحياء التراث ببيروت.
- اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري، تحقيق الدكتور عبد الإله نبهان، دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى: ١٩٩٥م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر ببيروت، الطبعة الأولى.

- لغة يتعاقبون فيكم ملائكة، في الميزان، للدكتور عبد الله محمد حياني، بحث مُجاز للنشر في مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، في تاريخ: ١٠ / ٩ / ١٤٤١هـ.
- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ.
- ما ينصرف وما لا ينصرف لأبي إسحاق الزجَّاج، تحقيق هدى محمود قراعة، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكتاب الخامس والعشرون، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، القاهرة: ١٣٩١هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، دار الريان للتراث، بيروت والقاهرة.
- المزج (شرح الدماميني على مغني اللبيب)، مطبوع بهامش المُنْصِف من الكلام على مغني ابن هشام للشمني، المطبعة البهية بمصر.
- مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة بمصر.
- مسند الشهاب، لأبي عبد الله القضاعي، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ.
- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ.
- مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ.
- معاني الحروف للرماني، تحقيق الشيخ عرفان سليم العشَّا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية ببيروت: ١٤٣٠هـ.
- معاني القرآن للفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الرابعة: ١٤٣٤هـ.
- معاني النحو للدكتور فاضل السامرائي، دار الفكر، الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ.

- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين بالقاهرة: ١٤١٥هـ.
- معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر ببيروت.
- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء بالموصل، الطبعة الثانية: ١٤٠٤هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تحقيق: الدكتور مازن المبارك وعلي حمد الله. دار الفكر بدمشق. الطبعة السادسة: ١٩٨٥م.
- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب للشيخ خالد الأزهري، تحقيق عبد الكريم مجاهد، دار الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.
- الموطأ للإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث بمصر.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية بمصر.

***

الاستدلال بعدم الدليل عند ابن مالك في شرح التسهيل

د. حمادة محمد حسين أحمد بودي
قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الاستدلال بعدم الدليل عند ابن مالك في شرح التسهيل

د. حمادة محمد حسين أحمد بودي

قسم النحو والصرف وفقه اللغة – كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٢٣/ ٧/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٢٠/ ٢/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

أكثرَ ابن مالك في "شرح التسهيل" من الاستدلال بعدم الدليل، فقد ينفي وجود الدليل وهو موجود، أو موجود لكنه ضعيف، وقد يُعجب برأي فيرمي الرأي الآخر بأنه لا دليل عليه، رغم أنه مذهب جميع النحويين، وقد ظهر من الدراسة أن بعض شراح التسهيل قد يوافقون ابن مالك في القول بعدم الدليل، وأن أبا حيان اهتم برد دعوى عدم الدليل، وقد انتظم البحث في مبحثين هما: الاستدلال بعدم الدليل في النحو، والاستدلال بعدم الدليل في الصرف، قبلهما المقدمة والتمهيد، وبعدهما الخاتمة والمصادر.

الكلمات المفتاحية: الاستدلال . عدم الدليل . ابن مالك . شرح التسهيل

Inferring the lack of evidence according to Ibn Malik in Sharh al Tasheel

Dr. Hamada Muhammad Hussein Ahmed Boudy
Associate professor of grammar and morphology - College of Arabic Language
Imam Muhammad bin Saud Islamic University

Abstract:

Ibn Malik in “Sharh al-Tasheel” made more inferences by denying the existence of evidence. He may deny the existence of evidence while it exists, or it exists but weakens it. He may admire Fermi's opinion that there is no evidence for it. Even though it is the doctrine of all grammarians, it has emerged from the study that some explainers of facilitation may agree with Ibn Malik in saying that there is no evidence and that Abu Hayyan was concerned with dismissing the claim of lack of evidence. The search was organized in two studies, namely: denying the existence of evidence in grammar, and denying the existence of evidence in the exchange. Before them the introduction and the introduction, and after them the conclusion and the sources.

key words: Inferring - the lack - evidence according - Ibn Malik - Sharh al-Tasheel

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد، اللهم صل عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد

فقد حظيت لغة العرب من الحفظ والانتشار بما لم تحظ به أية لغة أخرى، وذلك منذ أن شرّفها الله واختارها لتكونَ لغةَ القرآن الكريم؛ ولذا فإن مجال البحث فيها لا ينتهي إلى يومنا هذا، فقد تكفل رب العزة بحفظ لغة كتابه، قال تقدست أسماؤه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

وعلم النحو أرفع علوم العربية، وأعلاها شأنًا، وقد ترك النحويون لنا تراثًا ضخمًا أودعوه نتاج فكرهم وعميق نظرهم، ومن أهم هذه الكتب كتاب شرح التسهيل لابن مالك، ولا أدل على ذلك من شدة اهتمام النحويين به، ودراستهم له دراسات شاملة، وقد أكثر ابن مالك في هذا الكتاب من الاستدلال بعدم الدليل، فعمدت إلى الكتاب أتصفحه، فإذا به جملة من المواضع تصلح للدراسة، فعزمت على دراستها؛ فلم تقم على هذا الدليل دراسة فيما أعلم، وقد جاءت تحت عنوان:" الاستدلال بعدم الدليل عند ابن مالك في شرح التسهيل"، وقد اقتضت طبيعةُ البحث أن يأتي في مبحثين، تسبقهما مقدمة وتمهيد، وتعقبهما خاتمة، وقائمة المصادر.

(١) الآية: ٩ سورة الحجر.

المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره.

التمهيد: الاستدلال بعدم الدليل" المصطلح ووردوه في كتب النحو".

المبحث الأول: الاستدلال بعدم الدليل في النحو.

المبحث الثاني: الاستدلال بعدم الدليل في الصرف.

الخاتمة: ذكرت فيها أهم نتائج البحث.

قائمة المصادر: وفيه أهم مصادر البحث ومراجعه.

وقد اتبعت في دراسة مسائل هذا البحث المنهج الآتي:

١- جمعت من كتاب شرح التسهيل ما حكم عليه ابن مالك بعدم الدليل، أو وصفه بذلك.

٢- وضعت عناوين لمسائل البحث، ضمت خمسًا وعشرين مسألة، منها ثلاث وعشرون في النحو، واثنتان في الصرف، وقد سردتها على ترتيب ابن مالك في الألفية؛ لأنه المنهج الشائع في الدراسات النحوية.

٣- وثقت المذاهب والآراء من مصادرها المعتمدة، وعزوت ما لم يعز منها.

٤- ذكرت في نهاية كل مسألة موقفي من الآراء والمذاهب التي أوردتها، وترجيح ما يظهر رجحانه ما أمكن.

وختامًا أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه تعالى، وأن يرزقنا السداد والرشاد، إنه سميع عليم.

وصلى الله وسلم وبارك على معلم الناس الخير.

التمهيد :الاستدلال بعدم الدليل (المصطلح ووردوه في كتب النحو)

تعريف الدليل:

الدَليلُ في اللغة: ما يُسْتَدَلُّ به، وهو الأمارة في الشيء، وقد دَلَّهُ على الطريق يَدُلُّهُ دَلالَةً ودِلالَةً ودُلولَةً، والفتح أعلى[١]، وجمعه أدلة، مثل: شحيح وأشحة، وجليل وأجلة[٢]، وفِي حَدِيثِ عَلي فِي صِفَةِ الصحابَةِ: "ويَخْرجون مِنْ عِنْدِهِ أَدِلَّة"، أَيْ: بِمَا قَدْ عُلِّموه فَيَدُلُّونَ عَلَيْهِ النَّاس، يَعْنِي: يَخْرُجون مِنْ عِنْدِهِ فُقَهاء، فجعَلهم أَنْفُسَهُمْ أَدِلَّةً مُبَالَغَةً[٣]، ومن معاني الدليل البرهان، والبيّنة، والحجّة، والشاهد، والعلامة، وهو صفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت[٤].

وفي الاصطلاح: ما يرشد إلى المطلوب[٥]، أو هو معلوم يُتوصّل بصحيح النَّظَر فيه إلى علم ما لا يُعلم في العادة اضطراراً[٦]، أو هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر[٧].

---

(١) ينظر تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري:٤/ ١٦٩٨، ولسان العرب لابن منظور:١١/ ٢٤٨،٢٤٩.

(٢) ينظر الغريبين في القرآن والحديث للهروي:٢/ ٦٤٨.

(٣) ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير:٢/ ١٣٠،١٣١.

(٤) ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر:١/ ٧٦٤.

(٥) لمع الأدلّة في أصول النّحو لابن الأنباري: ٨١.

(٦) الإغراب في جدل الإعراب لابن الأنباري: ٤٥.

(٧) التعريفات للجرجاني: ١٠٤.

ومعنى الاستدلال بـ "gبعدم الدليل" عند النحويين: أن ينفي المستدل حكمًا، أو يقول: لا يصح هذا الحكم؛ لأنه لم يرد دليل على صحته، ويكتفي بهذا وإن لم يذكر دليلًا على النفي[1].

وقد عد بعض النحويين[2] الاستدلال بعدم الدليل في الشيء على نفيه من أدلة النحو غير الغالبة.

العلاقة بين هذا الدليل وبعض الأدلة النحوية الأخرى

بين عدم الدليل وعدم النظير عموم وخصوص مطلق؛ لشمول عدم الدليل السماع وغيره، واقتصار عدم النظير على السماع، فهو أخص، يظهر ذلك فيما ذكره النحويون من أنه إذا دل الدليل العقلي على ثبوت الحكم حمل عليه، ولم يلزم إيجاد النظير إلا للاستئناس، ولا تأثير له إن عدم، وهي قاعدةٌ في الأصول ثابتة، نحو كلمة "أندلس" فإن همزته ونونه زائدتان فوزنه "أنفعُل،" وهو مثال لا نظير له لكن قام الدليل على ما ذكرنا؛ لأن النون زائدة لا محالة؛ إذ ليس في ذوات الخمسة شيء على "فعللل" فتكون النون فيه أصلًا؛ لوقوعها موقع العين، وإذا ثبت زيادة النون بقي في الكلمة ثلاثة أحرف أصول: الدال واللام والسين، وفي أولها همزة، ومتى وقع ذلك حُكم بزيادة الهمزة، ولا تكون النون أصلًا والهمزة زائدة؛ لأن ذوات الأربعة لا تلحقها الزيادة من أولها إلا في الأسماء الجارية على أفعالها نحو: مدحرج وبابه،

(١) ينظر اعتراض النحويين للدليل العقلي للدكتور: محمد بن عبد الرحمن السبيهين:٩٤.

(٢) ينظر لمع الأدلة: ١٤٢، والاقتراح في أصول النحو للسيوطي:٣٦٥، ٣٦٦.

فعلم بذلك أن الهمزة والنون زائدتان، وأن الكلمة بهما على "أنفعل" وإن كان مثالًا لا نظير له.

وإذا لم يقم دليل عقلي على ثبوت الحكم فإن النحوي محتاج إلى إيجاد النظير، كما قال المازني في الرد على من ادعى أن "السين" و"سوف" ترفعان الأفعال المضارعة: لم نر عاملًا في الفعل تدخل عليه اللام، وقد قال سبحانه: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(١)، فجعل عدم النظير ردًّا على من أنكر قوله.

فإن اجتمع النظير والدليل فهو الغاية كـ نون "عنبر" فالدليل يقتضي كونها أصلًا؛ لأنها مقابلة لعين "جعفر" والنظير موجود وهو "فعلل"(٢).

على أن بعض النحويين يكتفون بالاستصحاب عوضاً عن هذا الدليل؛ لقرب المصطلحين، وتداخلهما؛ إذ الاستصحاب: إبقاء حال اللفظ على ما يستحقه في الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل(٣).

كما أن الاستدلال بـ "عدم الدليل" يختلف عن استقراء كلام العرب، الذي هو تتبع الجزئيات لإثبات أمر كلي، ومثاله: انحصار الكلمة في ثلاثة

---

(١) من الآية: ٤٩ سورة الشعراء.

(٢) ينظر الخصائص:١/ ١٩٨، ١٩٩، وشرح المفصل لابن يعيش:٢/ ١٠٣، والمقاصد الشافية :٦/ ١٢٠، ٨/ ٥٠٥، والاقتراح: ٣٦٩، وفيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح للفاسي: ١٠٧٨، واعتراض النحويين للدليل العقلي:٩٤، ١٠١.

(٣) ينظر الإغراب في جدل الإعراب: ٤٦، والاقتراح: ٣٥٣، وفيض نشر الانشراح: ١٠٧٥، واعتراض النحويين للدليل العقلي: ٦٩.

أنواع: الاسم، والفعل، والحرف، وعلى ذلك فهما ضدان؛ فما ثبت بالاستقراء فقد ثبت بالإيجاب، وما ثبت بعدم الدليل فقد ثبت بالنفي[١].

مطالبة المثبت والنافي بالدليل:

لا خلاف في أن المثبت للحكم محتاج إلى إقامة الدليل، وقد استدل كثير من النحويين لنفي الحكم بعدم ورود الدليل على ثبوته، والنافي لا دليل عليه؛ لأن الأصل في الأشياء النفي والعدم، فمن نفى الحكم فقد تمسك بالبراءة الأصلية، ولهذا عد بعضهم هذا الدليل ضربًا من الاستحسان، فلا يطلب منه حجة، وأما المثبت فيلزمه دليل ينقل عن الأصل، قالوا: وإذا قام النافي بالبحث الشديد عن دليل الإثبات فلم يجد لم يلزمه الدليل على النفي، والواجب على مخالفه أن يريه دليلًا على إثبات ما نفاه[٢].

وقد ذهب ابن الأنباري[٣] إلى أن النافي عليه إقامة الدليل موافقًا في ذلك جمهور الأصوليين[٤] ؛ لأن الحكم بالنفي لا يكون إلا عن دليل كما أن الحكم بالإثبات لا يكون عن دليل، فكما يجب الدليل على المثبت يجب أيضًا على النافي، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ

---

(١) ينظر الكليات للكفوي: ١٠٥، وفيض نشر الانشراح: ١٠٨٧.

(٢) ينظر المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البَصْري: ٢/ ٣٢٤، والبحر المحيط في أصول الفقه للزركشي:٨/ ٣٢، والاقتراح: ٣٦٦، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني :٢/ ١٩١.

(٣) ينظر لمع الأدلة: ١٤٢.

(٤) ينظر شرح مختصر الروضة للطوفي:١٦٣/٣، وكشف الأسرار شرح أصول البزدوي:٣/ ٣٨٧.

نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] فهذه دعوى نافية، فرد عليهم ـ سبحانه وتعالى ـ وأمر نبيه ـ عليه السلام ـ بمطالبتهم بدليل دعواهم النافية[2].

وقد فرق بعض الأصوليين بين الشاك في النفي والقاطع به، فإن كان شاكًا لم يحتج إلى دليل؛ لأنه لم يقطع بشيء فيلزمه الدليل، وإن قطع بنفيه أو نفى الحكم مطلقًا فعليه الدليل، والشأن في الدليل النحوي مختلف، فهو استعمال من العرب الفصيح للحكم الثابت، وإهمال لغير الثابت، فإذا بلغنا استعمال فصيح ثابت لحكم فهو دليل لنا على ثبوته، لكن إن لم يصلنا ذلك الاستعمال الفصيح لم يلزمنا وورود نفي ذلك الحكم عن العرب لنحكم بنفيه، بل نبادر بنفيه مستدلين بعدم ما يدل على ثبوته[3].

ويعد ابن الأنباري أول من تحدث عن هذا الدليل، غير أنه أتى بأمثلة لم توضحه، بل هي بعيدة عنه، وهو في ذلك متأثر بالأصوليين، فقد ساق مثالين افتراضيين، هما: الاستدلال على نفي أن الكلمات أربعة، وعلى نفي أن أنواع الإعراب خمسة، فيقال: لو كانت الكلمات أربعة، وأنواع الإعراب خمسة، وكان على ذلك دليل لعُرف، مع كثرة البحث وشدة الفحص، وتابعه في ذلك السيوطي، والشاوي[4].

---

(١) من الآية: ١١١سورة البقرة.

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة:١/ ٤٥٢، وشرح مختصر الروضة للطوفي:٣/ ١٦٦، والاقتراح: ٣٦٦.

(٣) ينظر البحر المحيط في أصول الفقه: ٨/ ٣٣، واعتراض النحويين للدليل العقلي: ٩٧.

(٤) ينظر لمع الأدلة: ١٤٢، والاقتراح: ٣٦٦، وارتقاء السيادة للشاوي: ١٠٠.

استدلال النحويين بـ " عدم الدليل"

استعان كثير من النحويين ـ متقدمهم ومتأخرهم ـ بهذا الدليل كثيرًا، فهذا السيرافي يقول: "وقد زعم الفراء أن "صمحمح"(١)، وما جري مجراه أصله "صمحح"، وأنهم فصلوا بين الحاءين لاجتماعهما استثقالًا لهما؛ فجعلوا مكان الوسطى منهما ميمًا، فقالوا: صمحمح، وهذا قول لا دليل عليه، بل زيادة عين الفعل ولامه وتكريرها، كتكرير فاء الفعل وعينه في "مرمريس"(٢)؛ ليس لأن أصله المراسة"(٣).

وقال ابن جني: "فأما ما أجازه أبو عثمان في "الحيوان" من أن يكون واوه غير منقلبة عن الياء، وخالف فيه الخليل، وأن يكون الواو فيه أصلًا غير منقلبة، فمردود عليه عند أصحابنا؛ لادعائه ما لا دليل عليه، ولا نظير له، وما هو مخالف لمذهب الجمهور"(٤).

وقال ابن يعيش:" وذهب الفرّاء إلى أنّ "مُنْذُ" مركبة من "مِنْ"، و"ذُو"، فحذفوا الواو تخفيفًا وما بعدها من صلة الذال، وقال غيره: هي مركّبة من

---

(١) رجلٌ صَمَحْمَحٌ وصَمَحْمَحيٌّ: شديد، وفي السِّنّ: ما بين الثَّلاثينَ إلى الأربَعينَ.
ينظر كتاب العين للخليل بن أحمد:٣/ ١٢٩، والجيم للشيباني: ١٦٩/٢، وديوان الأدب للفارابي:٢/ ٨٦.

(٢) المِرْمَريسُ: الصَّعبُ العالي من الجِبال، والداهية، الأَرْض الَّتِي لَا تنْبت. ينظر كتاب العين:٢٥٤/٧، وجمهرة اللغة لابن دريد:٧٢١/٢، وتهذيب اللغة للأزهري:١٣/ ١٠٦.

(٣) شرح الكتاب:٥/ ٢١٩.

(٤) سر صناعة الإعراب:١/ ١٦٤.

"مِنْ" و"إذْ"، فحُذفت الهمزة تخفيفًا، وغُيرت بضمّ أوّلها، وحُرّكت الذال لسكونها، وسكونِ النون قبلها، وضُمتْ إتباعًا لضمة الميم. وهذه دَعاوَى لا دليلَ عليها، والأصلُ عدمُ التركيب"(١).

وقال في موضع آخر:" وزعم بعضُ الكوفيين أن أصل "قُضاةٍ": "قُضى" مثلَ "شُهد"، و"قُرح"، فحذفوا إحدى العينَيْن، وأبدلوا منها الهاءَ، ولا دليل على ذلك"(٢).

وقال أبو حيان:" وزعم الأستاذ أبو الحسن بن عصفور أن من القرائن الصارفة معنى المضارع إلي المضي "لما" المحتاجة إلي الجواب، قال: "نحو قولهم: لما يقوم زيد قام عمرو، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾(٣)، أي: جادلنا، ولا دليل في هذه الآية على مُدَّعاه؛ لأن لما في الآية اتصل بها الماضي، فليست مطابقة للمثال الذي ذكره من قوله: لما يقوم زيد قام عمرو، إنما جاء مضارعا الجواب لا الذي اتصل بـ "لما"، على أنه يحتمل أن يكون الجواب محذوفًا، أي: شرع يجادلنا، أو أخذ يجادلنا، وحذف لدلالة المعنى عليه ولطول الكلام"(٤).

وقال ابن هشام: "وَلَا تفِيد "لن" توكيد النَّفْي، خلافًا للزمخشري فِي كشافه وَلَا تأبيده خلافًا لَهُ فِي أنموذجه، وَكِلَاهُمَا دَعْوَى بِلَا دَلِيل، قيل: وَلَو

(١) شرح المفصل :٣/ ١١٩.
(٢) ينظر السابق:٣/ ٢٩٨.
(٣) الآية: ٧٤ سورة هود.
(٤) التذييل:١/ ١٠٩، ١١٠.

كَانَت للتأبيد لم يُقيد منفيها بِالْيَوْمِ فِي: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾[1]، ولكان ذكر الْأَبَد فِي: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾[2]، تكرَارًا، وَالْأَصْل عَدمه"[3].

وهكذا نرى أن "الاستدلال بعدم الدليل" قد استدل به النحويون المتقدمون والمتأخرون.

***

(١) من الآية: ٢٦ سورة مريم.

(٢) الآية: ٩٥ سورة البقرة.

(٣) المغني: ٣٧٤.

المبحث الأول :عدم الدليل في النحو

١. جزم فعل الأمر

قال ابن مالك:" ... والمشهور عن الأخفش موافقة سيبويه في الحكم على فعل الأمر بالبناء، وعنه ـ أيضًا ـ قول آخر، وهو أن فعل الأمر مجزوم بمعنى الأمر، وهو قول بما لا نظير له، من غير دليل عليه"(١).

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل على قول الأخفش أن فعل الأمر معرب مجزوم بمعنى الأمر(٢)، وجازمه معنوي، وهو كونه أمرًا، كما أن رافع المبتدأ معنوي، وهو الابتداء، قال الأخفش: ".. وقال بعضهم: (فَلْتَفْرَحُوا)، وهي لغة للعرب ردية؛ لأن هذه اللام إنما تدخل في الموضع الذي لا يقدر فيه على "افْعَل"، يقولون: "لِيَقُلْ زَيْدٌ"؛ لأنك لا تقدر على "افْعَل"، ولا تدخل اللام إذا كلمت الرجل فقلت: "قُلْ"، ولم تحتج الى اللام"(٣).

وهو في ذلك متابع للفراء، قال عند قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾(٤): " معناه في الأصل حكاية بمنزلة الأمر،

---

(١) شرح التسهيل:٤/ ٦٢.

(٢) ينظر المغني: ٣٠٠، والتصريح للشيخ خالد الأزهري:١/ ٥١.

(٣) معاني القرآن:١/ ٣٧٥.

(٤) من الآية:١٤ سورة الجاثية.

كقولك: قل للذين آمنوا اغفروا، فإذا ظهر الأمر مصرحًا فهو مجزوم؛ لأنه أمر"[1].

وقد ذكر النحويون أدلة للأخفش، منها:

أولاً: أن الأصل في "قم" و"اذهب": لتقم ولتذهب، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُواْ﴾[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم:" لتأخذوا مصافكم"[3]، وهذا دليل على أن الأصل في: قم لتقم، إلا أنه لما كثر ذلك في كلامهم وجرى على ألسنتهم، استثقلوا مجيء اللام فيه مع كثرة الاستعمال فيه؛ فحذفوها مع حرف المضارعة تخفيفًا، كما قالوا: أيش، والأصل فيه: أي شيء[4].

---

(١) معاني القرآن :٣/ ٤٥.

(٢) من الآية:٥٨ سورة يونس، والقراءة لعثمان بن عفان وأُبي بن كعب والحسن وأبي رجاء ومحمد بن سيرين ورويس والأعرج وأبي جعفر بخلاف والسلمي وقتادة والجحدري، وهلال بن يَسَاف، والأعمش بخلاف وعباس بن الفضل وعمرو بن فائد، ويزيد ابن القعقاع والمطوعي.

ينظر إعراب القرآن للنحاس:١٥١/٢، والمحتسب لابن جني:١/ ٣١٣، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري:٢/ ٢٨٥، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبنا الدمياطي:٣١٥.

(٣) الحديث في مسند أحمد:٣٦/ ٤٢٢ حديث رقم ٢٢١٠٩:" كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ"، وفي سنن الترمذي :٥/ ٣٦٨ بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ ص: "عَلَى مَصَافِّكُمْ كَمَا أَنْتُمْ"، قال محقق أمالي ابن الشجري:٢/ ٣٥٥:"الحديث بهذا اللفظ مما يرويه النحاة والمفسرون، ولم أجده في دواوين السنّة التي أعرفها".

(٤) ينظر شرح كتاب سيبويه للسيرافي: ٣/ ١٩٥، وعلل النحو للوراق: ١٤٩، وأسرار العربية للأنباري: ٢٢٨، والتبيين عن مذاهب النحويين للعكبري: ١٧٧.

ثانيًا: أن فعل النهي معرب مجزوم مثل: "لا تقم"، فكذلك فعل الأمر مثل: "قم"؛ لأنَّ النهيَ ضد الأمر، وهم يحملون الشيء على ضده كما يحملونه على نظيره(١).

وقد رُدّ الدليل الأول بما يأتي:

١. أن الأصل في الأفعال كلها أن تكون مبنية موقوفة الآخر، وسبب إعراب المضارع ما في أوله من الزوائد، وهي مفقودة هنا، والفعل لم يوجد فيه علة الإعراب، وكونه أمرًا لم يوجب إعرابه، بل الموجب لإعراب الفعل شبهه بالاسم، والشبه بالاسم كان بحرف المضارعة، والأمر حاصل باللام(٢).

٢. أن القول بأن الأمر مجزوم بلام محذوفة هي لام الأمر منافٍ للقياس؛ فالجزم في الفعل نظير الجر في الاسم، وحرف الجر أقوى من حرف الجزم، وحرف الجر لا يسوغ إعماله مقدرًا إلا على سبيل الشذوذ، وإذا امتنع هذا في القوي فامتناعه في الضعيف أجدر(٣).

٣. أن الفعل "قم" ـ ونحوه ـ أصل بنفسه، وليس أصله "لتقم"؛ لأنه لو كان كذلك للزم منه حذف العامل، وحرف المضارعة، وتغيير الصيغة، وكل ذلك مخالف للأصل، ولا سماع يدل عليه، وليس الأمر بأنهم حذفوا لكثرة

---

(١) ينظر أسرار العربية: ٢٢٨، والإنصاف للأنباري :٢/ ٤٣٠.

(٢) ينظر التبيين: ١٧٩، وشرح المفصل لابن يعيش:٤/ ٢٩٤، وشرح الجمل لابن عصفور:٢/ ٣٢٧، ٣٢٨.

(٣) ينظر أمالي ابن الشجري:٢/ ٣٥٥.

الاستعمال؛ لأنه لو كان كذلك لوجب أن يختص الحذف بما يكثر استعماله دون ما لا يكثر[١].

ورُدّ الدليل الثاني بأن فعل النهى في أوله حرف المضارعة الذي أوجب المشابهة بالاسم فاستحق الإعراب فكان معربًا، أما فعل الأمر فليس في أوله حرف المضارعة الذي يوجب للفعل المشابهة بالاسم فيستحق الإعراب فكان باقيًا على أصله[٢].

تعقيب:

بعد إيراد الأدلة على قول الأخفش: إن فعل الأمر مجزوم بمعنى الأمر يتبين أمران:

الأول: أن وصف ابن مالك هذا الرأي بأنه ليس عليه دليل قد جانبه الصواب فيه، حتى إن كانت هذه الأدلة ضعيفة ومردودة، فلا يصح إغفالها.

الثاني: أن في قول ابن مالك: "والمشهور عن الأخفش موافقة سيبويه في الحكم على فعل الأمر بالبناء" إشارة إلى ما نُسب إلى الأخفش من غير واحد من النحويين[٣]، من أنه يقول: إنه معرب، وأنّ جزمه بلام الأمر المقدرة على أنه مقتطع من المضارع المجزوم بها.

---

(١) ينظر شرح الكتاب للسيرافي:١/ ٤١، واللباب في علل البناء والإعراب للعكبري:٢/ ١٩.

(٢) ينظر أسرار العربية: ٢٢٩، والإنصاف:٢/ ٤٤٠.

(٣) ينظر المغني: ٣٠٠، والتصريح:١/٥١، وحاشية الصبان:١/ ٨٨.

لكن الاعتداد بما ثبت عنه في معاني القرآن أولى، وهو ما سبقت الإشارة إليه في أول المسألة.

٢ . إبْقَاء ميم" فم" حَال الإِضَافَة

قال ابن مالك:" ... وزعم الفارسي أن قوله:

يُصبِحُ ظمآنَ وَفِي البحرِ فَمُهْ(١)

من الضرورات، بناء على أن الميم حقها ألا تثبت في غير الشعر، وهذا من تحكماته العارية من الدليل، والصحيح أن ذلك جائز في النثر والنظم، وفي الحديث الصحيح: "لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك(٢)"(٣).

المناقشة:

ذكر ابن مالك أن قول الفارسي إن الميم لا تثبت في "فم" إلا في الشعر تحكم بلا دليل، وقد ذكر الفارسي أن الميم في "فم" مبدلة من العين في "فوه" دائمًا جيء بها لحذف الهاء منه، وانقلاب الواو ألفًا، فلو كان حقها التنوين لحذفت لالتقائها به ساكنة، فيصبح الاسم على حرف واحد، وهذا ما لا نظير له.

---

(١) من الرجز، وقبله كالحُوتِ لَا يَرْوِيهِ شيءٌ يَلْهَمُهْ، وهو لرؤبة في ديوانه:١٥٩، والفرق للسجستاني: ٢٢٦، والفرق لابن أبي ثابت:١٨، ولجرير في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني:١/٧٣٢، وبلا نسبة في الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر المستعصمي: ٨/٣٩٠، ومجمع الأمثال للميداني:٢/ ٤٢١، والمثل يضرب لمن عاش بخيلًا مثريًا.

(٢) صحيح البخاري:٣/ ٢٤، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ فَضْلِ الصَّوْمِ، رقم الحديث:١٨٩٤.

(٣) شرح التسهيل:١/ ٤٩،٥٠.

فلما كانت علة التعويض تزول بالإضافة، فلا حاجة لبقاء هذه الميم عند الإضافة، قال الفارسي: " ... وكون الأسماء على حرفين من هذه المحذوفات غير ضيق، فمن ثم قالوا في الأفواه: "فم" فإذا أضفت لم تبدل، وتركت العين على حالها؛ لأن بقاء الاسم على حرف واحد لمعاقبة الإضافة، والتنوين، ومن ثم لم يستعمل في حال الإضافة بالميم، إلا في شعر كقوله:

يُصبِحُ ظمآنَ وَفِي البحرِ فَمُهْ"[1].

وما ذهب الفارسي إليه سبقه فيه النضر بن شميل[2]، وتابعه فيه الأبذي[3]، وابن عصفور[4]، وبعض المغاربة[5]؛ لعدم الحاجة إلى هذه الميم؛ إذ علة اجتلاب الميم مبدلة من الواو؛ لئلا يبقى الاسم على حرف واحد عند تنوينه، والإضافة ملغية لهذا الاحتمال لفقد التنوين حينئذ، فلا حاجة معها للإبدال لذهاب المقصود منها[6].

---

(١) المسائل العسكريات:١٧٣،١٧٤.

(٢) ينظر الفائق في غريب الحديث للزمخشري:٢/ ١٥٤.

(٣) ينظر شرح الجزولية:١٤٩، ١٥٠.

(٤) ينظر رأيه في التذييل:١/١٨٧، وهمع الهوامع للسيوطي:١/ ١٤٣، ولم أقف عليه في كتبه.

(٥) ينظر الهمع:١/ ١٤٣.

(٦) ينظر حاشية الصبان:١/١٠٩، وآراء الفارسي عند ابن مالك في شرح التسهيل لمحمد العمري: ٢٠٢.

ومذهب جمهور النحويين[١] أن الميم المعوضة عن الواو تثبت عند الإضافة في الشعر والنثر؛ لتحملها الحركة، قال سيبويه: "وأمَّا "فم" فقد ذهب من أصله حرفان؛ لأنه كان أصله "فوهٌ"، فأبدلوا الميم مكان الواو؛ ليشبه الأسماء المفردة من كلامهم، فهذه الميم بمنزلة العين نحو: ميم "دمٍ"، ثبتت في الاسم في تصرفه في الجر والنصب، والإضافة والتثنية"[٢]، ودليلهم ورودها مضافة بالميم في الحديث السابق.

تعقيب:

يظهر بعد عرض المسألة ضعف مذهب الفارسي لما يأتي:

١. أن ثبوت الميم عند الإضافة في النثر لغة، يقول ابن السراج:" ...إذَا أَضافوهُ ففيهِ لغتانِ: يقولُ بعضهُم: هذَا فُوكَ، ورأيتُ فاكَ، وفي فيكَ، فيجيئونَ بموضعِ العينِ ويحذفونَ اللامَ، وهيَ لغةٌ كثيرةٌ إذَا أَضافوا، ومنهم مَنْ يقولُ: هَذا فمُكَ، ورأيتُ فَمَكَ، وفي فمِكَ"، فثبت من النص السابق أن إثبات الميم في النثر لغة، وليست ضعيفة؛ بدليل قوله بعد ذلك: "ويجيءُ في الشعرِ لغةٌ ضعيفةٌ علَى غيرِ هذَا، قالوا: هذَانِ فموانِ، ورأيتُ فموينِ، وكذلكَ إذا أَضافوا قالوا: هذانِ فمواكما، ورأيتُ فمويكما"[٣]، فوصف الجمع بين الميم والواو بالضعف، ولو كان الأمر كذلك لوصف به

(١) ينظر المقتضب: ٢/٢٢٦، والأصول في النحو لابن السراج:٣/٢٧٣، وشرح الرضي على الكافية:٢/ ٢٦٩.

(٢) ينظر الكتاب: ٣/ ٣٦٥.

(٣) الأصول:٣/٢٧١.

الإضافة بالميم، بل إن البغدادي جعل ثبوت الْمِيم عِنْد الْإِضَافَة فصيحًا، وذكر أنه لَا الْتِفَات إِلَى قَول أبي عَليّ[1].

٢. أن من منع إثبات الميم في النثر ليس لديه رد ولا تخريج لحديث "لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك"، حيث جاءت "فم" بالميم مع الإضافة.

٣. أن لأبي علي رأيًا آخر يوافق الجمهور، يقول في العضديات: " ... فالإضافة بحرف اللين أكثر في استعمالهم، نحو: هذه فوه، ورأيت فاه، ووضعته في فيه، وقد استعمل بالميم في نحو قوله:

يُصبِحُ ظمآنَ وَفِي البحرِ فَمُهْ"[2].

فقوله: "أكثر في استعمالهم" يفهم منه أن الإضافة بالميم موجودة في كلامهم، وإن كانت أقل من الإضافة بالواو.

وعليه فإن ما ذهب إليه ابن مالك من عدم الدليل صحيح في المسألة.

٣. مجيء (مَن) لما لا يعقل

قال ابن مالك:" ... وزعم محمد بن المستنير الملقب قطْرُبًا أن "مَنْ" تقع على ما لا يعقل دون اشتراط ما يصحح ذلك، وجعل من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[3]، وهذا القول غير مرضي؛ إذ لا دليل عليه ولا محْوج إليه"[4].

---

(١) ينظر خزانة الأدب:٤/٤٥١.

(٢)١٨٦.

(٣) من الآية: ٢٠ سورة الحجر.

(٤) شرح التسهيل:١/٢١٦.

المناقشة:

يرى ابن مالك أنه لا دليل على قول قطرب[١] ومن وافقه[٢]: إن "من" تقع على ما لا يعقل عمومًا دون شرط، واستدل بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾[٣]، قال: يعني بذلك الأوثان والأصنام، واستدل ـ أيضًا ـ بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ ، وكأنه حملها على البهائم، ولا دليل فيه؛ لجواز أن تحمل على الرقيق والبهائم؛ لأن الجميع خُلق للمنافع.

ولا وجه لما ذكره قطرب؛ لاشتراك العاقل وغير العاقل في (من لا يخلق)؛ إذ قد عُبد من دون الله من يعقل ومن لا يعقل، أو لتنزيلها منزلة من يعقل؛ إذ عبدت من دون الله، أو لاعتقاد من عبدها أنها عاقلة فعالة. فهذه الوجوه كلها يحتمل قوله: ﴿ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾، فلا دليل على أنها تقع على آحاد ما لا يعقل[٤]، كما أن قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ يجوز أن يُحمل على الرقيق والبهائم؛ لأن الجميع خلق للمنافع[٥].

---

(١) ينظر رأيه في التذييل:٣/ ١١٦، والهمع:١/ ٣٥١.

(٢) ينظر التذييل: ٣/ ١٢٨، والارتشاف:٢/ ١٠٣٤.

(٣) من الآية: ١٧ سورة النحل.

(٤) ينظر الهمع:١/ ٣٥١.

(٥) ينظر معاني القرآن للنحاس:٤/ ١٨، وتمهيد القواعد لناظر الجيش:٢/ ٧٣٨، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للدماميني:٢/ ٢٥١.

وأكثر النحويين[1] على أنها تقع على ما لا يعقل في مسائل:

الأولى: أن يُنزَّلُ غيرُ العاقلِ مُنزلةَ العاقل كقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[2]، فعبر بـ "من" عن الأصنام لتنزلها منزلة من يعقل، ومثله قول الشاعر:

بكيتُ على سِرْب القَطا إذ مَرَرْنَ بي ... فقلتُ ومثلي بالبكاء جديرُ

أَسِرْبَ الْقَطا، هلْ مَنْ يُعيرُ جَناحَهُ ... لَعلّي إلى من قَد هَويتُ أَطِيرُ[3]

الثانية: أن يندمجَ غيرُ العاقل مع العاقل في حُكمٍ واحدٍ، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كمنْ لا يَخْلقُ﴾ وقوله: ﴿ألم تَرَ أنَّ الله يَسجُدُ لهُ مَنْ في السَّموات ومَنْ في الأرض﴾[4]، فعدم الخلق يشمل الآدميين والملائكة والأصنام من المعبودات من دون الله، والسجود لله يشمل العاقل وغيره ممن في السماوات والأرض.

الثالثة: أن يقترنَ غيرُ العاقلِ بالعاقل في عمومٍ مُفَصَّلٍ بـ "مِنْ"، كقوله عزَّ شأنه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ

---

(١) ينظر التسهيل:٣٦، والارتشاف:٢/ ١٠٣٤، وتوضيح المقاصد للمرادي:١/ ٤٢٨، وأوضح المسالك لابن هشام:١/ ١٥٢.

(٢) من الآية: ٥ سورة الأحقاف.

(٣) البيتان من بحر الطويل، وهما للعباس بن الأحنف في تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام: ١٤١، والتصريح:١/١٥٥، وله ولمجنون ليلى في المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني:١/ ٣٩٦، وبلا نسبة في شرح الكافية الشافية لابن مالك:١/ ٢٧٨.

(٤) من الآية: ١٨ سورة الحج.

يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾[1]، فالدابة تعم أصناف من يدب على وجه الأرض، وقد فصلها على ثلاثة أنواع الزاحف على بطنه، والماشي على رجلين، والماشي على أربع.

تعقيب:

ظهر من دراسة المسألة أن لقطرب ومن وافقه دليلًا على أن "من" تقع على ما لا يعقل عمومًا دون شرط، لكن لا وجه لهم في هذا الدليل؛ لذا نفاه ابن مالك، والراجح ما ذهب إليه الجمهور من تقييده بمواضع.

٤. إعراب(مَن) تمييزًا بعد (نِعم).

قال ابن مالك: " ومما يدل على أنّ فاعل "نعم" قد يكون موصولًا، ومضافًا إلى موصول قول الشاعر:

وكيف أرْهَبُ أمْرًا أو أُراعُ له ... وقد زَكَأتُ إلى بشْر بن مَرْوان

فَنِعم مَزْكأ مَنْ ضاقت مذاهبُه ... ونِعْمَ مَن هو في سرّ وإعْلانِ[2]

فلو لم يكن في هذا إلا إسناد "نعم" إلى المضاف إلى "مَن" لكان فيه حجة على صحة إسناد "نعم" إلى "مَن"؛ لأن فاعل "نعم" لا يضاف في غير

---

(١) من الآية: ٤٥ سورة النور.

(٢) البيتان من بحر البسيط، وهما بلا نسبة في شرح عمدة الحافظ لابن مالك:٢/٧٩٠، وشرح شواهد المغني للسيوطي: ٢/ ٧٤١، والخزانة: ٩/٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٤.

معاني المفردات: أرهب: أخاف، زكأت: لجأت. والمزكأ: الملجأ. بشر بن مروان: أخو عبد الملك بن مروان، وكان جوادًا سمحًا.

والمعنى: لا أخاف شيئًا وبشر ملجأ وملاذ للناس جميعًا، وهو عظيم في كل أموره وحيائه.

ندور إلا إلى ما يصح إسناد "نعم" إليه، فكيف وفيه: نعم مَن هو؟ فـ "مَن" هذه إما تمييز، والفاعل مضمر كما زعم أبو علي، وإما فاعل، فالأول لا يصح؛ لوجهين:

أحدهما: أن التمييز لا يقع في الكلام بالاستقراء إلا نكرة صالحة للألف واللام، و"مَن" بخلاف ذلك، فلا يجوز كونها تمييزًا.

الثاني: أن الحكم عليها بالتمييز عند القائل به مرتب على كون "مَن" نكرة غير موصوفة، وذلك منتف بإجماع في غير محل النزاع، فلا يصار إليه بلا دليل عليه"(١).

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل على إعراب "مَن" تمييزًا بعد "نِعم"، في قول الشاعر:

ونِعْمَ مَن هو في سرّ وإعْلانِ

وهو ما ذهب إليه الفارسي، فـ "من" عنده تمييز بِمَعْنى شخصًا، والْفَاعِل مستتر، أَي: وَنعم شخصًا، و"هُوَ" مخْصُوص بالمدح، فيعرب مُبْتَدأ خَبره مَا قبله، أَو خبر لمبتدأ مَحْذُوف، قال الفارسي:" ويجوز في القياس أن تجعل "من" نكرة، ولا تجعل له صفة، كما فعل ذلك بـ "ما" في قوله: "فنعما هي"، فإذا

(١) شرح التسهيل:٣/ ١١.

جعلتها كذلك كان كأنه قال: فنعم رجلًا فيكون موضع "ما" نصبًا، ويكون "هو" كناية عن المقصود بالمدح "[1].

وقد ذهب ابْن مَالك[2] إلى أن "من" مَوْصُول فَاعل، وَقَوله: "هُوَ" مُبْتَدأ خَبره "هُوَ" آخر مَحْذُوف، على حد قَوْل أبي النجم:

أَنا أَبُو النَّجْم وشعري شعري لله دري مَا أجن صَدْرِي[3]

فالظّرْف مُتَعَلق بـ "هو" المحذوفة؛ لتضمنها معنى الْفِعْل، أَي: وَنعم الَّذِي هُوَ بَاقٍ على وده فِي سره وإعلانه، والْمَخْصُوص مَحْذُوف، أَي: بشر بن مَرْوَان.

تعقيب:

ظهر بعد دراسة المسألة أنه لا دليل على رأي الفارسي كما ذكر ابن مالك، وفيه تكلف ظاهر.

٥. وقوع جملة القسم خبرًا

قال ابن مالك:" ... وروى عن ثعلب منع الإخبار بجملة قسمية، وهو أيضًا منْع ضعيف؛ إذ لا دليل عليه، مع ورود الاستعمال بخلافه، كقول الله

---

(١) كتاب الشعر:٢/٣٨٠، ٣٨١.

(٢) شرح الكافية الشافية:٢/ ١١١٠.

(٣) البيتان من بحر الرجز للشاعر في ديوانه:٩٩، والخصائص لابن جني: ٣/ ٣٣٧، وشرح المفصل لابن يعيش:١/ ٢٤٦، وبلا نسبة في المرتجل في شرح الجمل لابن الخشاب: ٣٢٩، والخزانة:٨/ ٣٠٧، ٦/ ٤١٢.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[1]، وكقول الشاعر:

جَشَأتْ فقلت اللّذْ خشيت ليأتِيَنْ ... وإذا أتاكِ فلاتَ حينَ مَناص[2]»[3].

المناقشة:

يرى ابن مالك أنه لا دليل على منع ثعلب[4] الإخبار بالجملة القسمية، فلا يجوز عنده: زيد والله لأضربنه، ولا زيد ليقومن، واستدل ثعلب على صحة ذلك بأن الْجُمْلَة الْمخبر بهَا لَهَا مَحل من الإِعْرَاب، وَجَوَاب الْقسم لَا مَحل لَهُ فيتنافيان.

قال ابن هشام:" وَلَيْسَ بِشَيْء؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا منع وُقُوع الْخَبَر جملَة قسمية لَا جملَة هِيَ جَوَاب الْقسم، وَمرَاده أَن الْقسم وَجَوَابه لَا يكونَانِ خَبرًا؛ إِذْ لَا تنفك إِحْدَاهمَا عَن الْأُخْرَى، وجملتا الْقسم وَالْجَوَاب يُمكن أَن يكون لَهما مَحل

---

(١) من الآية:٤١ سورة النحل.

(٢) البيت من بحر الكامل، ولم يُعرف قائله، ينظر المغنى: ٢/ ٥٦، والمساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل: ١/ ٢٣١.

معاني المفردات: جشأت: ثارت للقيء، مناص: مهرب أو مفر.

المعنى: لقد على الحزن في نفسي، فقلت لها: مم تخافين، فإذا قضى الله فلا راد ولا مفر من قضائه.

الشاهد: " قوله " اللذّ خَشِيتِ ليأتَيِنْ" حيث جاءت جملة "ليأتين" جوابًا للقسم، وهي وقسمها المحذوف في محل رفع خبر للمبتدأ "اللذ".

(٣) شرح التسهيل:١/ ٣١٠.

(٤) ينظر مذهبه في شرح التسهيل للمرادي:٢٦٧/١، وتمهيد القواعد:٢/ ٩٧٢، وموصل الطلاب إلى قواعد الإعراب للشيخ خالد الأزهري: ٦٦، والهمع:١/ ٣٦٨.

من الْإِعْرَاب، كَقَوْلِك: قَالَ زيد أقسم لَأَفْعَلَنَّ، وَإِنَّمَا الْمَانِع عِنْده إِمَّا كَون جملَة الْقسم لَا ضمير فِيهَا فَلَا تكون خَبرًا؛ لِأَن الجملتين هَا هُنَا ليستا كجملتي الشَّرْط وَالْجَزَاء؛ لِأَن الْجُمْلَة الثَّانِيَة لَيست معمولة لشَيْء من الْجُمْلَة الأولى، وَلِهَذَا منع بَعضهم وُقُوعهَا صلَة، وَإِمَّا كَون الْجُمْلَة . أَعنِي جملَة الْقسم . إنشائية، وَالْجُمْلَة الْوَاقِعَة خَبرًا لَا بُد من احتمالها للصدق وَالْكذب...، وَبعد فعندي أَن كلا من التعليلين ملغى، أما الأول فَلِأَن الجملتين مرتبطتان ارتباطًا صارتا بِهِ كالجملة الْوَاحِدَة وَإِن لم يكن بَينهمَا عمل، وَأما الثَّانِي فَلِأَن الْخَبَر الَّذِي شَرطه احْتِمَال الصدْق وَالْكذب الْخَبَر الَّذِي هُوَ قسيم الْإِنْشَاء لَا خبر الْمُبْتَدَأ؛ للاتفاق على أَن أَصله الْإِفْرَاد، وَاحْتِمَال الصدْق وَالْكذب إِنَّمَا هُوَ من صِفَات الْكَلَام، وعَلى جَوَاز: أَيْن زيد، وَكَيف عَمْرو؟"[1].

ولم يُتابع ثعلب على ما ذهب إليه[2]، فجمهور النحويين على خلاف ذلك[3]؛ لورود السماع، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4]، وقال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[5]، وقال

(١) المغني:٥٣١، ٥٣٠.

(٢) ينظر شرح الرضي على الكافية:١/٢٣٨، والارتشاف:٣/ ١١١٥، والتذييل:٤/ ٢٧.

(٣) المقاصد الشافية:١/٦٣٠.

(٤) من الآية: ٦٩ سورة العنكبوت.

(٥) من الآية: ٤١ سورة النحل.

تقدست أسماؤه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾[1].

تعقيب:

بعد دراسة عدم الدليل يظهر أن:

١. نفي ابن مالك الدليل على ما ذهب إليه ثعلب لضعف هذا الدليل عنده.

٢. الراجح جواز وقوع الجملة القسمية خبرًا، فما المانع من أن نقول: القوى والله ليهزمن عدوه، محمد والله ليكرمنه زَيْدٌ، وَاللهِ إِنْ أَعْطَيْتَهُ لَيُعْطِيَنَّك، زَيْدٌ وَاللهِ إِنْ أَكْرَمْتَهُ لَيُكْرِمَنَّك.

٣. أن بعض النحويين قد ذكر تأويلًا لما وقع خبره جملة قسمية، فقد قالوا في قَوْله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: أن الْخَبَر فِي الْحَقِيقَة هُوَ مَجْمُوع جملَة الْقسم الْمقدرَة، وَهِي: أقسم بِاللَّه، وَجُمْلَة الْجَواب الْمَذْكُورَة، وَهِي﴿ لنهدينهم﴾ لَا مُجَرّد جملَة الْجَواب فَقَط، فَلَا يلْزم التَّنَافِي؛ إِذْ لَا يلْزم من عدم محلية الْجُزْء عدم محلية الْكل[2].

٦. تحمل الاسم الجامد ضميرًا

قال ابن مالك:" وإذا ثبت تحمل الجامد ضميرًا، ورفعه ظاهرًا لتأوله بمشتق، لم يرتب في أن المشتق أحق بذلك، وقد حكم الكسائي وحده بذلك للجامد المحض، كقولك: هذا زيد، وزيد أنت. وهذا القول وإن كان مشهورًا

(١) من الآية: ٩ سورة العنكبوت.

(٢) ينظر موصل الطلاب: ٦٧.

انتسابه إلى الكسائي دون تقييد، فعندي استبعاد في إطلاقه، إذ هو مجرد عن دليل، ومقتحم بقائله أوعر سبيل، والأشبه أن يكون الكسائي قد حكم بذلك في جامد عرف لمسماه معنى لازم لا انفكاك عنه، ولا مندوحة منه، كالإقدام والقوة للأسد، والحرارة والحمرة للنار، فإن ثبت هذا المذكور فقد هان المحذور، وأمكن أن يقال: معذور، وإلا فضعف رأيه في ذلك بيّن، واجتنابه متعين"(١).

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل على قول الكسائي بتحمل الجامد المحض ضميرًا، وقد تبعه في ذلك الفراء والرماني(٢)، قال الفراء:" ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾(٣) هي شجرة الزَّقوم، نصبتها بـ ﴿جَعَلْنا﴾، ولو رُفعت تُتْبَع الاسم الَّذِي فِي﴿فِتْنة﴾ من ﴿الرُّؤيَا﴾ كَانَ صوابًا، ومثله فِي الكلام: جعلتك عاملًا وزيدًا وزيد(٤)"، وعلى ذلك لو قلت: زيد أخوك، وهذا زيد، فكأنك نظرت إلى أن معناهما: متصف بالأخوة، ومتصف بالزيدية أو محكوم عليه بكذا(٥).

وقد استدل الكسائي والفراء بأمرين:

---

(١) شرح التسهيل:١/ ٣٠٧.

(٢) ينظر شرح المفصل لابن يعيش:١/٢٢٩، والارتشاف:٣/١١١٠، والمقاصد الشافية:١/ ٦٤٥.

(٣) من الآية ٦٠ سورة الإسراء.

(٤) معاني القرآن:٢/ ١٢٦.

(٥) ينظر شرح الرضي على الكافية:١/ ٢٥٥.

الأول: أن الخبر غير المبتدأ فيحتاج إلى رابطة بينهما كالجملة[١].

والآخر: أن الجامد يتضمن ضميرًا ـ وإن كان اسمًا غير صفة ـ لأنه في معنى ما هو صفة؛ ألا ترى أن قولك: "زيد أخوك" في معنى زيد قريبك، و"عمرو غلامك" في معنى: عمرو خادمك، وقريبك وخادمك يتضمن كل واحد منهما الضمير، فلما كان خبر المبتدأ ههنا في معنى ما يتحمل الضمير وجب أن يكون فيه ضمير يرجع إلى المبتدأ[٢].

والدليلان مردودان للأسباب الآتية:

الأول: أن الدليل الأول مردود بأن الربط قد حصل؛ لكون الثاني هو الأول في المعنى، ففي قَوْلنا: هَذَا زيدٌ لَا يصحُّ تحمُّل "زيد" الضَّمِير، كَمَا أنه لا يعْمل فِي الظَّاهِر، ولَا يَقع صفة، فَلا يكون فِيهِ ضمير، وقد يُخَالف الْمُبْتَدَأ فِي الْعدَد كَقَوْلِك: زيد الْعمرَان أَخَوَاهُ، وَالضَّمِير أبدًا يكون على وفْق الْمظهر، وَلَيْسَ كَذَلِك اسْم الْفَاعِل[٣].

ثانياً: أنه لو تحمل ضميرًا لجاز العطف عليه مؤكدًا، فقلت: هذا أخوك هو وزيد، كما تقول: زيد قام هو وعمرو، ولصح أن يكون صفة، والجامد لا يكون صفة[٤].

---

(١) التبيين:٢٣٧.

(٢) ينظر الإنصاف:١/ ٤٨، والبديع في علم العربية:١/ ٦٨.

(٣) شرح الكافية الشافية:١/ ٣٣٨.

(٤) التذييل:٤/ ١٥.

ثالثاً: إنما جاز أن يكون "قريبك وخادمك" متحملًا للضمير لأنه يشابه الفعل لفظًا، ويتضمنه معنى، وهو الأصل في تحمل الضمائر، ولا شبهة في مشابهة اسم الفاعل والصفة المشبهة به للفعل، فـ "خادم" على وزن "يخدم" في الحركة والسكون، وفيه حروف "خدم"، ولهذا تحمل الضمير، أما أخوك وغلامك فليس بينه وبين الفعل مشابهة، فينبغي أن لا يتحمل ضميرًا، وكونه في معنى ما يشبه الفعل لا يوجب شبهًا به، فـ"أخوك" و"غلامك" لم يشابه الفعل، ولم يتضمن لفظه، ولهذا لم يجز أن يتحمل ضميراً[١].

قال العكبري: "ولا يقال: قولك: زيد أخوك في معنى مناسبك؛ لأنه لو كان كذلك لعمل في الاسم الظاهر، ولوقع وصفًا، وإنما هذا في المعنى صحيح، والضمير يعتمد الفعل أو ما كان مشتقاً منه، ألا ترى أن قولك: مروري بزيد حسن، وهو بعمرو قبيح، وضربي زيدًا حسن وهو عمًرا قبيح جائز أن تُعمل المصدر ولا تعمل ضميره؛ لأن ضمير المصدر ليس فيه ضمير لفظ الفعل، وإن كان معناها واحدًا[٢].

وذهب البصريون[٣] إلى أنه لا يتضمّن ضميرًا؛ لأنه اسم محض غير صفة، وإذا كان عاريًا عن الوصفية فينبغي أن يكون خاليًا عن الضمير؛ لأن الأصل في تضمن الضمير أن يكون للفعل، وإنما يتضمن الضميرَ من الأسماء

---

(١) الإنصاف: ١/٤٩.

(٢) اللباب: ١ / ١٣٧.

(٣) ينظر البديع: ١/ ٦٨، والمغني: ٦٤٢.

ما كان مُشَابِهًا له، ومتضمّنًا معناه كاسم الفاعل والصفة المشبهة به نحو: "ضارب، وقاتل، وحَسَن، وكريم"، وما أشبه ذلك، وما وقع الخلاف فيه ليس بينه وبين الفعل مشابهة بحال؛ ألا ترى أنك إذا قلت: "زيدٌ أخُوكَ" كان أخوك دليلًا على الشخص الذي دل عليه زيد، وليس فيه دلالة على الفعل، فكذلك إذا قلت: "عمرو غلامك" كان غلامك دليلًا على الشخص الذي دل عليه عمرو، وليس فيه دلالة على الفعل؛ فوجب أن لا يجوز الإضمار فيه، كما لا يجوز في زيد وعمرو(١).

تعقيب:

يجدر بعد إيراد ما سبق ذكر أمرين:

الأول: أن القول بتحمل الجامد للضمير نقله أكثر النحويين عن الكوفيين كلهم(٢).

ثانيًا: تابع أبو حيان وابنُ عقيل ابنَ مالك في قوله بعدم الدليل على رأي الكسائي والفراء، قال أبو حيان:" ومن الأقوال ما هو ضعيف جدًا كهذا القول، وكم للكوفيين من قول ضعيف، ودعاوٍ لا يقوم على شيء منها دليل"(٣)، وقال ابن عقيل: "وهو دعوى لا دليل عليها"(٤).

---

(١) الإنصاف:١/ ٤٨،٤٩.

(٢) ينظر شرح المفصل لابن يعيش:١/٢٢٩، والارتشاف:٣ /١١١٠، وائتلاف النصرة للشرجي الزبيدي:٣١.

(٣) التذييل:٤/ ١٤.

(٤) المساعد:١/٢٢٧.

والآخر: ذكر ابن مالك أن الأشبه أن يكون الكسائي قد حكم بذلك لجامد عُرف لمسماه معنى لازم، كالإقدام والقوة للأسد، والحرارة والحمرة للنار.

والذي حكاه النحويون عن الكوفيين القول بأن كل جامد مؤول بمشتق، فـ "أخوك" بمعنى قريبك، وغلامك بمعنى خادمك، والتأويل بالمشتق يوجب تحمل الضمير كأسد بمعنى شجاع إذا قلت: زيد أسد، فكذلك زيد أخوك أو غلامك"[١].

لكن الحقيقة أن الكوفيين مفتقرون إلى سماع من العرب يبين أن الجامد المحض يتحمل الضمير، وذلك بأن يجدوا مثل: مررت برجل أخ أبوه، وصاحبك أخوه، ومررت برجل أبي عبد الله غلامه، وهذا غير جائز البتة، فكذلك لا يجوز رفعه للمضمر، وأيضًا لو تحمل ضميرًا لكان من جملة العوامل التي ترفع وتنصب، ويتعلق بها الظرف والمجرور، وليس الأمر كذلك، فدل على خلاف ما ذهبوا إليه[٢].

قال ابن مالك:

والخبر المفرد إن يجمد فلا ... ضمير فيه في الأصح فاقبلا[٣]

(١) ينظر الإنصاف: ١/ ٤٨، والمقاصد الشافية: ١/ ٦٤٥.

(٢) المقاصد الشافية: ١/ ٦٤٦.

(٣) شرح الكافية الشافية: ١/ ٣٣٨.

٧. حذف الخبر في نحو قولهم: أول ما أقول إني أحمد الله

قال ابن مالك:" والصحيح في قولهم: أول ما أقول: إني أحمد الله، بالكسر، أن يكون كلامًا تامًا، فيجعل "أول ما أقول" مبتدأ، و"إني أحمد الله" خبره، كأنه قال: مبتدأ كلامي هذا الكلام، ولا يصح أن يقدر "ثابت" خبرًا؛ لأن ذلك يقتضي ثبوت أول هذا القول، وأول الشيء غير جميعه، فيكون الثابت أول حرف من الجملة إن نويت حروفها، وأول كلمة منها إن نويت كلماتها، وكلاهما ليس مقصودًا، فتعين كونه مردودًا، وأيضًا فإن تقدير "ثابت" خبرًا بعد "إني أحمد الله"، وبعد: ضربي زيدًا قائمًا، وأمثالهما تقدير ما لا دليل عليه، إذ ليس هو بالتقدير أولى من غيره من المقدرات الممكنة، وحذف ما كان في حذفه ذلك ممنوع "[١].

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل على تقدير الخبر محذوفًا في أول ما أقول: إني أحمد الله، بالكسر، وهو رأي أبي علي الفارسي، حيث قال:": "... تقول: أول ما أقول: إني أحمد الله فتكسر الهمزة من "إني" وتفتحها، فإذا كسرتها كان قولك: أول ما أقول مبتدأ محذوف الخبر تقديره: أول قولي: إني أحمد الله ثابت أو موجود"[٢].

---

(١) شرح التسهيل:٢٨٢/١.

(٢) الإيضاح العضدي:١٣١.

والذي جعل الفارسي يقول بهذا التقدير أن ابن السراج[١] ذكر أن كسر الهمزة على الْحِكَايَة، فَتوهم أَنه أَرَادَ الْحِكَايَة بالْقَوْل الْمَذْكُور؛ فَقدر الْجُمْلَة مَنْصُوبَة الْمحل فَبَقيَ لَهُ الْمُبْتَدَأ بِلَا خبر فقدره، والذي أراده ابن السراج أَنه حكى لنا اللَّفْظ الَّذِي يفْتَتح بِهِ قَوْله[٢].

وقد رد النحويون مذهب الفارسي، قال أبو حيان:" ولأبي علي الفارسي فيه ارتباك وخبط، زعم أن" إني أحمد الله" معمول لـ "أقول" في قوله: " أول ما أقول: إني أحمد الله" فكسرت من أجل أنها معمولة للقول محكية به، فاحتاج من أجل ذلك إلى تقدير خبر للمبتدأ الذي هو "أول" فقدره "ثابت" فصار المعنى: أول قولي إني أحمد الله ثابت"[٣].

ومما رُدّ به تقدير الفارسي ـ أيضًا ـ أنه يغير معنى الكلام، والكلام تام دونه، وهو تقدير غير معقول؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون أول قوله: إني أحمد الله، وهو مثلًا قوله: إني موجود، ويفهم من دليل الخطاب أن آخره غير موجود، وهذا بلا شك لا يمكن أن يقصده عاقل[٤].

وزعم بعض النحويين أن "إني أحمد الله" معمول لـ "أقول"، لكنه خبر للمبتدأ من حيث المعنى، وسد المفعول مسد الخبر؛ لأنه في معنى ما لا يحتاج إلى خبر، والتقدير: أقول قبل كل شيء: إني أحمد الله، ونظير ذلك: أقائم

---

(١) الأصول:١/ ٢٧٢.

(٢) المغني: ٧٨٦.

(٣) التذييل:٥/٨٠.

(٤) ينظر المقاصد الشافية:٢/ ١٢٣، والتذييل:٥/٨٠.

الزيدان، فقد سد الفاعل مسد الخبر وأغنى عنه، فكذلك هذا، سد فيه المفعول مسد الخبر، وأغنى عنه.

وأضاف: لم يرد أبو علي أن هناك ثابتًا أو موجودًا، وإنما أراد: أن " أول ما أقول إني أحمد الله" كله بمنزلته لو كان ثم "ثابت" أو "موجود"، قال: فذلك تمثيل منه وإن لم يتكَلّم به ليتحقق وجه الانفراد(١).

وهذا الذي ذهب إليه ليس بشيء؛ لأنه إنما سد في" أقائم الزيدان"؛ لاجتماع المسند والمسند إليه في هذا الكلام، فالمعنى متفق وإن اختلفت جهتا التركيب، وأما في تلك المسألة فإن قوله: "إني أحمد الله" جعله مفعولًا لـ "أقول" فضلة في الكلام، فلم يجتمع فيه مسند ومسند إليه ولم تكن الفضلة لتنوب عما هو أحد جزأي الكلام الذي يتوقف عليه معقولية المحكوم عليه والمحكوم به، ثم إن هذا التأويل الذي تأوله على أبي علي لا ينزل عليه لفظ أبي علي؛ لأنه صرح بأن "أول ما أقول" مبتدأ محذوف الخبر، وزعم أن تقدير ذلك الخبر المحذوف "ثابت" أو "موجود" ولو أُريد هذا الكلام لقيل: "أول ما أقول إني أحمد الله" مفرد بمنزلته لو كان هناك "ثابت" أو "مستقر" ملفوظًا به(٢).

والصواب أن "أول": مبتدأ، و"ما" موصولة بمعنى "الذي"، أو نكرة موصوفة، أو مصدرية أريد بها المفعول كما قالوا: درهم ضرب الأمير، أي:

---

(١) ينظر شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٤٦٦، والتذييل:٥/ ٨١،٨٠.

(٢) ينظر التذييل:٥/ ٨١، وشرح الجمل لابن عصفور:١/ ٤٦٥.

مضروبه، وكذلك هذا، تقديره: أول قولي، أي: مقولي، ومعمول "أقول" إذا كانت "ما" بمعنى "الذي" أو موصوفة محذوف كما قدرناه إذا فتحت "أن"، والخبر عن المبتدأ الذي هو "أول": إني أحمد الله كما تقول: أول ما أقرأ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾(١)،﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ خبر عن "أول"، ولا تحتاج هذه الجملة إلى رابط؛ لأنها نفس المبتدأ في المعنى(٢).

تعقيب:

تبين بعد دراسة كلام ابن مالك أنه لا دليل على تقدير الخبر بـ "ثابت" أو "موجود" كما قال، إذ ليس هو بالتقدير أولى من غيره من المقدرات الممكنة، وحذفُ ما كان في حذفه كذلك ممنوع، وهذا يلزم في قولك: ضربي العبد مسيئًا، لو قَدرت معه "ثابت" أو "مستقرّ"، وأيضًا لا مانع يمنع من قولك: ضربي زيدًا قائمًا حَسَنٌ، بإظهار الخبر، فكيف يُجعَلُ ملتزم الحذف؟ فهذا خلافُ كلام العرب(٣).

٨ ـ عامل النصب في الظرف الواقع خبرًا

قال ابن مالك:" ...الوجه الثالث: ما ذهب إليه ابن خروف من أن عامل النصب في الظرف المذكور المبتدأ نفسه، واحتماله أظهر من الوجهين المتقدمين، وهو أيضًا مخالف لمراد سيبويه، وسأبين ذلك إن شاء الله تعالى،

---

(١) الآية: ١ سورة الأعلى.

(٢) ينظر التذييل:٥/٧٩، والتصريح:١/ ٣٠٧.

(٣) ينظر المقاصد الشافية:٢/ ١٢٤.

ولو قصد ذلك سيبويه نصًا لم يُعَوَّل عليه؛ لأنه يبطل من سبعة أوجه: أحدها: أنه قول مخالف لما اشتهر عن البصريين والكوفيين، مع عدم دليل، فوجب اطراحه"[١].

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل لابن خروف على ما ذهب إليه من أن عامل النصب في الظرف في قولك: زيد خلفك المبتدأ نفسه، ولَا تَقْدِير فِي نَحْو: زيد عنْدك، وَعَمْرو فِي الدَّار، قال ابن خروف:" وجميع هذه الأخبار العامل فيها المبتدأ في قول سيبويه، عمل في الظرف نصبًا، كما عمل في المفرد رفعًا، وليس عمله النصب بأبعد من عمله للرفع، ونص على ذلك في عدة مواضع، وشبه عمله في الظرف بـ "عشرين درهمًا"، وبقولهم: "أنت الرجل علمًا"، منها قوله في ما باب ما ينتصب من الأماكن والوقت، قال: "فصار هو خلفك، وزيد خلفك بمنزلة ذلك، والعامل في "خلفك" الذي هو موضع له، والذي هو في موضع خبره، كما أنك إذا قلت: عبد الله أخوك، فالآخر قد رفعه الأول، وعمل فيه، وبه استغنى الكلام "وكرر ذلك في غير موضع"[٢].

وقد نُسب قولُ ابن خروف إلى ابن طاهر[٣].

---

(١) شرح التسهيل:١/ ٣١٥.

(٢) الكتاب:١/ ٤٠٦، ولم أقف على كلام ابن خروف فيما وقفت عليه من كتبه.

(٣) ينظر المغني: ٥٦٦، والتصريح:١/ ٢٠٧.

وقد انتقد أبو حيان ما ذكره ابن مالك من أن ما ذهب إليه ابن خروف مخالف لما شُهر عن البصريين والكوفيين، فقال رادًا عليه: " ... فليس كما ذكر؛ ألا ترى إلى نقل ابن خروف وغيره أنه مذهب متقدمي أهل البصرة[١]!

وما ذكره أبو حيان صحيح؛ أمّا مذهب ابن خروف فهو عنده رأيُ سيبويه، وكذلك قال السيرافي: "إنه ظاهر كلامه. وهو كالنص له في باب "ما ينتصب من الأماكن والوقت"، وفي أبواب الصفات[٢].

وقد ذكر الشيخ خالد الأزهري دليلًا على مذهب ابن خروف فقال: "ووجه بأن الخبر إذا كان هو الأول في المعنى رفع، وإن كان غيره نصب"[٣].

وَرُدّ بِأَنَّهُ يلْزم مِنْهُ تركيب كَلَام من ناصب ومنصوب بِدُونِ ثَالِث، والناصب يكون فعلًا أو شبهه، والمبتدأ لا يشترط فيه ذلك[٤].

تعقيب:

رد أبو حيان ما ذكره ابن مالك من عدم وجود الدليل على مذهب ابن خروف، فقال: "وأما قوله: "مع عدم دليل" فليس كما ذكر، بل الدليل يدل عليه، فكما أعملنا المبتدأ في الخبر إذا كان إياه رفعًا، كذلك أعملناه فيه

---

(١) التذييل:٤/ ٥١، وينظر الارتشاف:٣/١١٢١.

(٢) ينظر شرح الكتاب للسيرافي: ٢/ ٢٩٣، والمقاصد الشافية:٢/ ٨.

(٣) موصل النبيل: ١/٢٣٠، وينظر شرح التسهيل للمرادي:٢٧٢.

(٤) ينظر المساعد :١/٢٣٦، وتعليق الفرائد:٣/ ١٠٦، والهمع:١/ ٣٧٥.

نصبًا، ومتى أمكن نسبة العمل إلى ملفوظ به كان أولى من المقدر، وقد أمكن ذلك بما ذكرناه[١].

٩ . مجيء "عسى" عاملة عمل "إنّ"

قال ابن مالك:" ... وقال السيرافي: وأما عساك وعساني ففيه ثلاثة أقوال: أحدها: قول سيبويه، وهو أن "عسى" حرف بمنزلة "لعل"، وذكر القولين الأخيرين، وفي هذا القول ـ أيضًا ـ ضعف؛ لتضمنه اشتراك فعل وحرف في لفظ واحد بلا دليل، إلا أن فيه تخلصًا من الاكتفاء بمنصوب فعل عن مرفوعه في نحو: عللك أو عساك، في نحو: عساك تفعل بغير أن، ولا مخلص للمبرد من ذلك"[٢].

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل على قول السيرافي[٣]: إن "عسى" حرف إذا اتصل بها ضمير نصب، وهو مذهب سيبويه في أحد قوليه، حيث قال:" ...وأما قولهم: عساك فـ "الكاف" منصوبة، قال الراجز، وهو رؤبة:

يا أَبَتَا عَلَّكَ أو عَساكَا[٤]

---

(١) التذييل:٤/ ٥١.

(٢) شرح التسهيل:١/ ٣٩٨.

(٣) ينظر شرح الكتاب:٣/ ١٣٩.

(٤) الرجز للشاعر في ملحقات ديوانه:١٨١، وشرح المفصل لابن يعيش:٢/ ٣٤٥، والمقاصد النحوية:١٧٢٩/٤، وبلا نسبة في سر صناعة الإعراب:٨٣/٢، وشرح التصريف للثمانيني: ٤٠٧.

والدليل على أنها منصوبة أنك إذا عنيت نفسك كانت علامتُك بي"[١]، وشرط اسمها أن يكون ضمير نصب متصلًا، وما بعده يكون الخبر، والدليل أنها حينئذ بمعنى "لعل" في الترجي والإشفاق، فحملت في العمل عليها، كما حملت "لعل" على "عسى" في إدخال "أنْ" في خبرها[٢]، كما أنه ينطبق عليها معنى الحروف؛ حيث لا يظهر معناها إلا بانضمام غيرها إليها[٣].

وقد غلط المبرد سيبويه فقال:" فَأَما قَول سِيبَوَيْه: إِنَّهَا تقع في بعض الْمَوَاضِع بِمَنْزِلَة "لَعَلَّ" مَعَ الْمُضمر فَتَقول: عساك وعساني . فَهُوَ غلط مِنْهُ؛ لِأَن الْأَفْعَال لَا تعْمل في الْمُضمر إِلَّا كَمَا تعْمل في الْمظهر، فَأَما قَوْله:

تَقول بنتي: قد أَنى إناكا... يَا أبتى علك أَو عساكا

وَقَالَ آخر:

ولي نفس أَقُول لَهَا إِذا مَا... تخالفني: لعلى أَو عساني[٤]

الشاهد:"عساكا"، حيث استعملت "عسى" حرفًا بمعنى "لعل"، وجاء اسمها ضميرًا للمخاطب، فنصب محلًا بها، ورفع ما بعده على الخبرية.

(١) الكتاب:٢/ ٣٧٤، ٣٧٥.

(٢) التصريح:١/ ٢٩٧.

(٣) النحو المصفى للدكتور محمد عيد:٢٨٠.

(٤) البيت من بحر الوافر، وهو لعمران بن حطان في الكتاب:٢/ ٣٧٥، والتذييل:٤/ ٣٥٨، وبلا نسبة في المقتضب:٣/ ٧٢، وشرح الرضي على الكافية:٢/ ٤٤٧.

فَأَما تَقْدِيره عندنَا: أَن الْمَفْعُول مقدم، وَالْفَاعِل مُضْمر، كَأَنَّهُ قَالَ: عساك الْخَيْر أَو الشَّرّ، وَكَذَلِكَ: عساني الحَدِيث، وَلكنه حذف؛ لعلم الْمُخَاطب بِهِ، وَجعل الْخَبَر اسْمًا على قَوْلهم: "عَسى الغوير أبؤسا"(١).

فمذهب المبرد أن "عسى" باقية على أصلها، والضمير خبر "عسى" مقدمًا، وما بعده اسمها مؤخرًا. ورُدّ قوله بأمرين:

أحدهما: أنه يلْزم مِنْهُ جعل خبر "عَسى" اسْمًا مفردًا، وهو ضرورة، أو شاذ.

والثاني: أن من قال "أو عساها" فقط اقتصر على فعل ومنصوبه دون مرفوعه، ولا نظير لذلك، ولا يرد هذا على سيبويه؛ لأنه يرى أن "عسى" الذي ينصب الاسم حرف، فهو نظير: إن مالًا وإن ولدًا(٢).

وقد ضعف ابن مالك أيضًا القول بحرفيتها؛ لتضمنه اشتراك فعل وحرف في لفظ واحد بلا دليل، إلا أنه أجاب بأن فيه تخلصًا من الاكتفاء بمنصوب فعل عن مرفوعه في نحو: علك أو عساك، في نحو: عساك تفعل بغير "أن".

تعقيب:

تبين بعد إيراد كلام ابن مالك ومناقشة المسألة أمور منها:

أولًا: أن من جعل "عسى" حرفًا بمعنى "لعل" له دليل، وليس كما زعم ابن مالك.

---

(١) المقتضب:٣/ ٧١، ٧٢.

(٢) ينظر شرح الرضي على الكافية:٢/ ٤٤٧، والتذييل:٤/ ٣٦٢، والتصريح:١/ ٢٩٨.

ثانيًا: جعل أبو حيان[١] فعلية "عسى" وحرفيتها مسألة خلاف، قال ناظر الجيش:" ولا يخفى أن مثل هذا الخلاف لا يعتد به، وأن القول بحرفية الكلمة المذكورة قول لا ينبغي التشاغل به لقيام الدلائل القطعية على بطلانه"[٢].

ثالثًا: قال أبو حيان بعد أن أورد الخلاف بين سيبويه والمبرد: "...وبقي الترجيح بين مذهب سيبويه وأبي العباس؛ إذ في كليهما خروج عما استقر في "عسى"، لكن ينبغي مراعاة المعنى إذا تعارض مع اللفظ، ففي مذهب سيبويه خروج عما استقر لها من العمل، وهو أمر لفظي، وفي مذهب أبي العباس الخروج عما استقر لها من جعل المخبر عنه خبرًا، والخبر مخبرًا عنه، وهذه إحالة للمعنى، فكان مذهب سيبويه أرجح لذلك"[٣].

رابعًا: محل الخلاف في "عسى" الجامدة، أما "عسى" المتصرفة فإنها فعل باتفاق، ومعناها اشتد[٤]، قال عدي بن الرقاع:

لولا الحَياءُ وأنّ رأْسِيَ قد عسى... فيه المَشِيبُ لزُرْتُ أُمَّ القاسِمِ[٥]

---

(١) التذييل: ٤/ ٣٢٧.

(٢) تمهيد القواعد:٣/ ١٢٦٣.

(٣) التذييل:٤/ ٣٦٣.

(٤) التصريح:١/ ٢٩٩.

(٥) البيت من بحر الكامل، وهو للشاعر في الكامل للمبرد:١/١٢٧، والمغني:٢٢٩، والتصريح:١/ ٢٩٨، وبلا نسبة في كتاب اللامات للزجاجي:١٢٩.

خامسًا: أن إعمال "عسى" عمل "لعل" لغة لبعض العرب حكاها الناسُ، وليس بِمقصُورٍ على السماع، قال محمد بن مسعود الغزني[1]: "ولما أفرط في كثرة استعماله أخرجته من الفعلية إلى الحرفية حتى صار مثل "لعل" في اقتضاء الاسم والخبر كقولهم: عساه يخرج، وعساهما خارجان، وعساهم خارجون، وعساك، وعساكما، وعساكم، أي: لعله يخرج[2]، والمشهور أنه إذا اتصل بها ضمير أن يكون بصورة المرفوع، وهو الذي نزل به القرآن، قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾[3][4].

١٠. مجيء لام التوكيد بمعنى "إلا"

قال ابن مالك:" ... وقال الأخفش: زعموا أن بعضهم يقول: إنْ زيدًا لمنطلق، وهي مثل: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[5] يقرأ بالنصب والرفع، وأما قولهم: إنّ اللام بمعنى "إلا" فدعوى لا دليل عليها، ولو كانت بمعنى "إلا" لكان استعمالها بعد غير "إنْ" من حروف النفي أولى؛ لأنها أنص على النفي

---

(١) هو محمد بن مسعود الغزني، صاحب كتاب البديع، أكثر أبو حيان من النقل عنه، وذكره ابن هشام في المغني، توفي سنة ٤٢١هـ.

تنظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي: ١/٢٤٥، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة:١٢/ ١٩.

(٢) ينظر الارتشاف:٣/ ١٢٣٤.

(٣) من الآية: ٢٤٦ سورة البقرة.

(٤) ينظر شرح التسهيل لابن مالك:١/٣٩٦، والتذييل:٤/ ٣٥٨، والمقاصد الشافية:٢/ ٢٩٨.

(٥) الآية: ٤ سورة الطارق.

من "إنْ"، فكان يقال: لم يقم لزيد، ولن يقعد لعمرو، بمعنى لم يقم إلا زيد، ولن يقعد إلا عمرو، وفي عدم ذلك دليل على أن اللام لم يقصد بها إيجاب، وإنما قصد بها التوكيد، كما قصد مع التشديد(١).

المناقشة:

ذهب ابن مالك إلى أنه لا دليل على قول من ذهب إلى أنّ لام التوكيد تأتي بمعنى "إلا" ، وهم الكوفيون(٢)، والناظر في كتبهم يرى أن لهم دليلًا على كلامهم، فقد جاء ذلك كثيرًا في كتاب الله وكلام العرب، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾(٣) ، أي: وما كادوا إلا يستفزونك، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِم﴾(٤)، أي: وما كادوا إلا يزلقونك، وقال تعالى: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾(٥) أي: ما كان وعد ربنا إلا مفعولًا، وقال الشاعر:

شَلَّت يمينُك إن قَتَلْت لَمُسْلِمَا... كُتِبَتْ عليك عُقُوبةُ المُتَعَمِّدِ(٦)(١)

---

(١) شرح التسهيل :٢/ ٣٥.

(٢) ينظر مذهبهم في معاني القرآن للفراء: ٢/ ٢٩، ٣٠، وشرح الكتاب للسيرافي:٥/ ١١٠، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب: ١/ ٢٩٧، وأمالي ابن الشجري:٢/ ٥٦٤.

(٣) من الآية: ٧٦ سورة الإسراء.

(٤) من الآية: ٥١ سورة القلم.

(٥) من الآية: ١٠٨ سورة الإسراء.

(٦) البيت من بحر الكامل، وهو لعاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية، ترثي زوجها الزبير بن العوام ﷺ، وتدعو على عمرو بن جرموز قاتله، وهو لها في شرح الكافية الشافية:١/ ٥٠٤، والمقاصد النحوية: ٢/ ٧٥٣، ولصفية بنت عبد المطلب في تخليص الشواهد: ٣٧٩، ولأسماء بنت أبي بكر في العقد الفريد لابن عبد ربه: ٥/ ٧٢.

ويرى البصريون[٢] أَنَّ اللَّامُ للتأكيد، وهي لِلْفَرْقِ بَيْنَ "إِنِ" النَّافِيَةِ، وَ"إِنِ" مخَفِّفَةِ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وهي مهملة لا عمل لها، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾[٣]، والذي يدل على ذلك أنَّ "إِنْ" التي بمعنى "ما" لا تجيء اللام معها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنِ الكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾، وكما قال الله ﷻ: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[٤]، وكما قال الله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ ﴾[٥]، إلى غير ذلك من المواضع، ولم تجئ مع شيء منها اللام[٦].

قال العكبري رادًّا مذهب الكوفيين: " وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا مِنْ جِهَةِ أَنَّ وُقُوعَ اللَّامِ بِمَعْنَى" إِلَّا" لَا يَشْهَدُ لَهُ سَمَاعٌ وَلَا قِيَاسٌ"[٧]، كما أَن مِن النحويين مَن يعمل "إِنْ" مَعَ التَّخْفِيف، حكى سِيبَوَيْهِ: إِنْ عمرًا لمنطلق[٨]، وَقَرَأَ الحرميان: ﴿وَإِنّ كُلًّا لَما لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾[٩] بتخفيف ﴿إِنّ﴾ و﴿لَمّا﴾[١٠](١).

الشاهد: "إن قتلت لمسلما" حيث استدل به الكوفيون على مجيء "اللام " بمعنى "إلا".

(١) ينظر الإنصاف: ٢/ ٥٢٦.

(٢) ينظر مذهبهم في معاني القرآن للأخفش:١/١٢٠، والمقتضب:٢/ ٣٦٣، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٢/ ٦٣٠، والجنى الداني للمرادي: ١٣٣.

(٣) من الآية: ١٥٦ سورة الأعراف.

(٤) من الآية: ١٥ سورة يس.

(٥) من الآية: ٤ سورة الفرقان.

(٦) ينظر الإنصاف:٢/ ٥٢٧.

(٧) ينظر التبيان في إعراب القرآن: ١/ ١٢٤.

(٨) ينظر الكتاب: ٢/ ١٤٠.

(٩) من الآية: ١١١ سورة هود.

(١٠) تنظر القراءة في جامع البيان في القراءات السبع للداني: ٣/ ١٢٠٨، وإتحاف فضلاء البشر: ٣٢٦.

تعقيب:

ظهر بعد مناقشة المسألة ضعف دليل الكوفيين؛ مما جعل ابن مالك يجعل دليلهم كعدمه؛ لأنه لو كان كما قالوا لصحّ وقوع اللام حيث تقع "إلّا" بعد كلِّ نفي، فكنت تقول: ما زيد لقائمٌ، أو: لما قائمٌ، بمعنى: ما زيدٌ إلا قائم، ولم يقم لَمَا زيد، ولن يقومَ لَمَا زيدٌ، وفي امتناع ذلك دليلٌ على أن الأمر ليس كما زعموا(٢).

ومما يعضد الكلام السابق أن الكوفيين قد ذهبوا إلى أنّ ﴿إِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِنّ كُلًّا لَمّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبّك أَعمَالهُم ﴾نافية، وليست مخففة من: ﴿إِنّ﴾، واللام بعدها بمعنى "إلا"، وجعلوا نصب: ﴿كُلًّا﴾، بفعل يفسره: ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ ، أو بـ ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ نفسه، وبه قال الفراء(٣)، وكلا القولين محكوم على أصولهم بمنعه في هذا المحل، أو بضعفه؛ لأنهم يوافقون في أن ما بعد "إلا" لا يعمل فيما قبلها، ولا يفسر عاملًا فيما قبلها(٤)، ولذلك قال الفراء: "وأما الذين خففوا ﴿إِنّ﴾ فإنهم نصبوا ﴿كُلًّا﴾ بـ ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ ، وهو وجه لا أشتهيه؛ لأن اللام لا يقع الفعل الذي بعدها على شيء قبله، فلو رفعت ﴿كُلًّا﴾ لصلح ذلك كما يصلح: إن زيد لقائم، ولا يصلح أن تقول:

---

(١) ينظر المغني: ٥٦.

(٢) ينظر المقاصد الشافية:٢/ ٣٨٩.

(٣) معاني القرآن:٢/٣٠،٢٩.

(٤) ينظر التذييل:٥/ ١٤٤.

إن زيدًا لأضرب؛ لأن تأويله بقولك: ما زيدًا إلا أضرب، وهذا خطأ في اللام وإلا "[1].

فقد أقر بأن حمل القراءة على جعل "إنْ" نافية واللام بمعنى "إلا" خطأ، ولا شك في صحة القراءة، ولا توجيه لها إلا توجيه البصريين، وتوجيه الكوفيين خطأ بشهادة الفراء، فلم يبق إلا توجيه البصريين، فتعين الحكم بصحته، ويؤيد ما ذهب إليه البصريون قول سيبويه: وحدثنا من نثق به أنه سمع من يقول: "إنْ عمرًا لمنطلق"، وهذا نص لا احتمال فيه[2].

فتبين مما سبق أن الأدق أن يُقال: إن القائلين: إن اللام تأتي بمعنى "إلا" جمهور الكوفيين، وأن الراجح مذهب البصريين؛ إذ لا يحتاج إلى تأويل، بخلاف المذهب الآخر، وما لا يحتاج إلى تأويل أولى بالأخذ به.

١١. إلحاق "عرف، وأبصر، وأصاب، وصادف، وغادر"، بما ينصب مفعولين

قال ابن مالك:" ... وألحق هشام الكوفي "عرف، وأبصر"، وألحق ابن درستويه "أصاب، وصادف، وغادر"، ولا دليل على شيء من ذلك، فلا يلتفت إليه"[3].

---

(١) معاني القرآن:٢/٣٠،٢٩.

(٢) شرح التسهيل لابن مالك:٢/ ٣٥.

(٣) شرح التسهيل:٢/ ٨٥.

المناقشة:

ذكر ابن مالك أن لا دليل على ما ذهب إليه هشام الكوفي[١] من جعل "عرف، وأبصر" مما ينصب مفعولين، إلحاقًا بـ "علم"، فيقول: عرفت زيدًا قائمًا، وأبصرته مجتهدًا، وذكر أيضًا أنه لا دليل على ما ذهب ابن درستويه[٢] من جعل "أصاب، وصادف، وغادر" مما ينصب مفعولين ـ أيضًا ـ إلحاقًا بـ"وجد"، فيقول: أصبته عالمًا، وصادفته سامعًا، وغادرته نشيطًا.

وَقد أنكر الْجُمْهُور[٣] ذَلِك، وذكروا أن الأفعال السابقة تتعدى إلى مفعول واحد فقط، فإذا جاء بعده اسم منصوب حُمل على أنه حال، والدليل على أنه حال التزام تنكيره فلا يكون مفعولًا ثانيًا، وكون هذه الأفعال من أفعال هذا الباب لا حجة على ذلك.

تعقيب:

ما ذكره ابن مالك من عدم الدليل على مذهب هشام ومذهب ابن درستويه في إلحاق ما ذكروا من الأفعال بما ينصب مفعولين صحيح؛ والدليل على ذلك أنه لم يتابعهما أحد على مذهبيهما.

---

(١) ينظر مذهبه في التسهيل:٧١، وشرح الرضي على الكافية :٤/ ١٤٩، والمساعد:١/٣٦٣.

(٢) ينظر مذهبه في تمهيد القواعد:٣/ ١٤٧٧، وموصل النبيل:١/٤٠٤

(٣) ينظر التذييل:٦/٥٢،٥٣، والارتشاف:٤/ ٢١٠٦، والهمع:١/ ٥٤٦.

١٢ . نصب ما بعد "إلا" في الاستثناء بـ "أنّ" مقدّرة

قال ابن مالك: "وعزا السيرافي مذهبًا خامسًا إلى الكسائي، وهو نصب ما بعد "إلا" بـ "أنّ" مقدّرة[١]، وهو قول في غاية من الضعف؛ لأنه مبني على ادّعاء تقدير ما لا دليل عليه ولا حاجة إليه "[٢].

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل على قول الكسائي إن المستثنى منصوب بـ"أن" مقدرة بعد "إلا" والخبر محذوف، قال السيرافي:" أما الكسائي: فيما حكي عنه فقال: إنما نصبنا المستثنى لأن تأويله: قام القوم إلا أنّ زيدًا لم يقم"[٣].

وقد رد النحويون رأي الكسائي بأمور منها:

١. أنه لو كان هذا النصب بأنه لم يفعل لكان مع " لا " أوجب في قولك: " قام زيد لا عمرو"[٤].

---

(١) ينظر رأيه في شرح الرضي على الكافية:٢/٨٠، والارتشاف:٣/١٥٠٦، والجنى:٥١٦، والتصريح:١/ ٥٤١.

(٢) شرح التسهيل:٢/ ٢٧٩.

(٣) شرح الكتاب للسيرافي:٣/ ٦١.

(٤) ينظر شرح الكتاب للسيرافي: ٣/ ٦١، والإنصاف :١/ ٢١٥، وشرح المفصل لابن يعيش:٢/ ٤٨.

قيل: ولا يلزم هذا الرد؛ لأنه احتج بظهور عامل ناصب بعد "إلا"، فحمل "زيدًا" على ذلك الناصب، وهو "أن" في قوله: إلا أن زيدًا لم يقم، فإذا قلت: قام زيد لا عمرو لم تقل: قام زيد لا أن عمرًا لم يقم(١).

٢. أن " أن " إذا وقعت بعد "إلا" فلها تقدير؛ لأنها واسمها وخبرها في موضع اسم يقدر له عامل يعمل فيه، فلو قيل: قام القوم إلا أن زيدًا لم يقم، فصار لـ "أن" موضع من الإعراب وهو نصب، وعامله هو العامل في " زيدًا " إذا نصب، فيعود الكلام إلى أن تطلب الناصب لموضع "أن"(٢).

٣. أنه لو سلّم تقدير "أنّ" يلزم أن يكون لها عامل يعمل فيها؛ لأنها مع ما تعمل فيه في تأويل مصدر، فيجعل الذي عمل فيها عاملًا فيما قدّرت من أجله ويستغنى عنها.

٤. لو كانت "أنّ" مقدرة لم يتم الكلام بمنصوبها مقتصرًا عليه كما لا يتم به إذا ذكرت؛ لأن العامل إذا حذف لا يختصر عمله.

٥. أن العرب لا تضمر "أن" وأخواتها وتبقي عملها لضعفها عن العمل. ولا يحفظ في كلامهم شيء من ذلك(٣).

٦. أنه يؤدي إلى إضمار الموصول وإبقاء صلته(٤).

---

(١) شرح الكتاب للسيرافي:٣/ ٦١.

(٢) ينظر السابق:٣/ ٦٢.

(٣) التذييل:٨/ ١٨٧.

(٤) المساعد: ١/٥٥٦.

تعقيب:

بدا بعد مناقشة هذه المسألة أمران:

أولًا: شكك أبو حيان في نسبة هذا الرأي للكسائي حيث قال: "وقوله: ولا بـ "أن" مقدرة بعدها هذا المذهب معزو إلى الكسائي، عزاه إليه السيرافي" فقال معزو، ولم يقل مذهب الكسائي، دليل ذلك أنه قال بعد ذلك: "وقال ابن عصفور: "حكاه ابن بابشاذ عن الكسائي، وأن التقدير: إلا أن زيدًا لم يقم، فأضمر "أن"، وحذف خبرها، وهذا شيء لم يحكه أحد من أصحابه عنه، وإنما حكوا عنه أن المستثنى ينصب بخروجه من الوصف، ويعني بذلك أنه خرج عن معنى الجملة المتقدمة عليه من حيث لم يكن ركنًا من أركانها، بل فضلة مطلوبة لها"[(١)].

ثانيًا: أن مثل هذا الخلاف لا يجدي كبير فائدة، وهو كالخلاف في رافع المبتدأ والخبر، ورافع الفاعل، وناصب المفعول، وإنما الخلاف الذي يجدي هو فيما أدى إلى حكم لفظي، أو معنى كلامي[(٢)].

١٣ . تقديم التمييز على عامله المتصرف

قال ابن مالك:" أجمع النحويون على منع تقديم التمييز على عامله إذا لم يكن فعلًا متصرفًا، فإن كان إياه نحو: طاب زيد نفسًا، ففيه خلاف، والمنع مذهب سيبويه، والجواز مذهب الكسائي والمازني والمبرد، وبقولهم أقول؛ قياسًا

(١) التذييل:٨/ ١٨٦.

(٢) الارتشاف:٣/ ١٥٠٦.

على سائر الفضلات المنصوبة بفعل متصرف، ولصحة ورود ذلك في الكلام الفصيح بالنقل الصحيح... وانتُصر لسيبويه أن مميز هذا النوع فاعل في الأصل، وقد أوهن بجعله كبعض الفضلات فلو قدّم لازداد إلى وهنه وهنًا فمنع ذلك؛ لأنه إجحاف.

قلت: وهذا الاحتجاج مردود بوجوه: أحدها أنه دفع روايات برأي لا دليل عليه، فلا يلتفت إليه"[1].

المناقشة:

ذهب ابن مالك إلى أنه لا دليل على قول مَن احتج بمنع تقديم التمييز على عامله بقوله: إن مميز هذا النوع فاعل في الأصل، وقد أوهن بجعله كبعض الفضلات فلو قدّم لازداد إلى وهنه وهنًا، وهو مذهب سيبويه وجمهور البصريين والكوفيين[2] فلا يقال: نفسًا طاب زيد، قال سيبويه: "وقد جاء من الفعل ما قد أنفذ إلى مفعول، ولم يقو قوة غيره مما قد تعدى إلى مفعول وذلك قولك: امتلأت ماءً وتفقأت شحمًا، ولا تقول: امتلأته، ولا تفقأته، ولا يعمل في غيره من المعارف، ولا يقدم المفعول فيه فتقول: ماءً امتلأت، كما لا يقدم المفعول فيه في الصفة المشبهة، ولا في هذه الأسماء لأنها ليست كالفاعل، وذلك لأنه فعل لا يتعدى إلى مفعول، وإنما هو بمنزلة الانفعال لا

---

(١) شرح التسهيل:٣٨٩/٢، ٣٩٠.

(٢) ينظر الكتاب:٢٠٤/١، ٢٠٥، ومعاني القرآن للفراء: ٧٩/١، والخصائص:٣٨٤/٢، واللباب للعكبري:٣٠٠/١، والتخمير للخوارزمي:٤٥١/١، والملخص في ضبط قوانين العربية لابن أبي الربيع:٣٩٧.

يتعدى إلى مفعول نحو: كسرته فانكسر، ودفعته فاندفع... "[1] .

واستدل المانعون على صحة مذهبهم بأدلة كثيرة منها الدليل محل الدراسة، وهو أن المميز هاهنا فاعل في الحقيقة: ألا ترى أنك إذا قلت: تصبب زيد عرقاً، وتفقأ الكبش شحمًا، أن المتصبب هو العرق، والمتفقئ هو الشحم، وإنما حول عن ذلك، ونسب الفعل إلى المضاف إليه مبالغة، ثم ميز بذكر ما هو فاعل في الأصل، فلو قدم لصار كتقديم الفاعل على الفعل، وذلك باطل، كذلك هاهنا، ويدل عليه أنه مميز، فلم يتقدم على العامل فيه كالمميز في "نعم" وفى الأعداد[2].

وقد رد هذا الدليل بردود كثيرة منها:

الأول: أن جعل التمييز كبعض الفضلات محصل لضرب من المبالغة، ففيه تقوية لا توهين، فإذا حكم بعد ذلك بجواز التقديم ازدادت التقوية وتأكدت المبالغة فاندفع الإشكال.

الثاني: أنه لو صح اعتبار الأصالة في عمدة جعلت فضلة لصح اعتبارها في فضلة جعلت عمدة، فكان يجوز للنائب عن الفاعل من التقديم على رافعه ما كان يجوز له قبل النيابة، والأمر بخلاف ذلك، لأن حكم النائب فيه حكم المنوب عنه، ولا يعتبر حاله التي انتقل عنها التمييز المذكور.

الثالث: أن منع تقديم التمييز المذكور عند مَن منعه مرتّب على كونه

---

(١) الكتاب: ١/٢٠٥،٢٠٤.

(٢) ينظر علل النحو: ٣٩٣، والملخص: ٣٩٧.

فاعلًا في الأصل، وذلك إنما هو في بعض الصور، وفي غيرها هو بخلاف ذلك، نحو: امتلأ الكوز ماء، وفجّرنا الأرض عيونًا، وفي هذا دلالة على ضعف علة المنع، بقصورها عن جميع الصور(١).

وذهب الكسائي(٢)، والجرمي(٣)، والمازني(٤)، والمبرد إلى جواز التقديم، قال المبرد: " واعلم أن التبيين إذا كان العامل فيه فعلًا جاز تقديمه لتصرف الفعل" فقلت: تفقأت شحمًا، وتصببت عرقًا، فإن شئت قدمت فقلت: شحماً تفقأت، وعرقاً تصببت، وهذا لا يجيزه سيبويه؛ لأنه يراه كقولك: عشرون درهمًا، وهذا أفرههم عبدًا، وليس هذا بمنزلة ذلك؛ لأن عشرين درهمًا إنما عمل في "الدرهم" ما لم يؤخذ من الفعل..."(٥).

وقد احتجوا بأبيات منها قول الشاعر:

أنفسًا تطيب بِنَيْلِ المُنى ... وداعِي المَنون يُنادي جِهارا(٦)

---

(١) ينظر شرح التسهيل لابن مالك:٢/ ٣٩٠.

(٢) ينظر رأيه في شرح الكافية الشافية: ٧٧٦/٢، وشرح عمدة الحافظ: ٤٧٦/١.

(٣) ينظر رأيه في الارتشاف:١٦٣٤/٤، والجرمي: حياته وآراؤه للدكتور محمد أحمد علي سحلول:٩٤، ٩٥.

(٤) ينظر رأيه في الأصول: ٢٢٣/١، والبديع لابن الأثير: ٢١٣/١/١.

(٥) المقتضب: ٣٦/٣.

(٦) البيت من بحر المتقارب، ولم أقف على قائله، ينظر اللمحة في شرح الملحة:١/ ٤٣٥، والمغني: ٦٠٣، والمقاصد النحوية: ٣/ ١١٩١، ونسبه في التصريح لرجل من طئ: ٦٢٨/١.

الشاهد: "أنفسًا تطيب" حيث قدّم التّمييز ـ نفسًا ـ على عامله وهو الفعل المتصرّف ـ تطيب ـ وهذا ممتنع عند سيبويه والجمهور، وقياسيّ عند الكسائيّ والمازنيّ والمبرّد.

وقول الآخر:

ضَيَّعْتُ حَزْمِيَ فِي إِبعَادِيَ الأَمَلَا ... وما ارْعَوَيْتُ وشَيبًا رَأْسِي اشْتَعَلَا[1]

تعقيب:

أجاب أبو عبد الله بن الفخار، رحمة الله عليه عن قول ابن مالك أنه دفع روايات برأي لا دليل عليه. بأنه لم نرد قط رواية برأي، وإنما قلنا: إن ما سمع من التقديم مخصوص بالشعر الذي يجوز فيه تقديم ما لا يجوز تقديمه في النثر على تسليم أن إعرابه تمييز، وقد يتجه له إعراب آخر[2].

ولا شك أن دليل المانعين ظاهر الوهن، فلا يقال به، ولا يعتمد عليه، فالقول بالجواز ظاهر الأدلة، واضح البرهان.

١٤. ما تضاف إليه "مذ ومنذ"

قال ابن مالك: "ومما يضاف أيضًا "إلى" الفعل "مذ" في قولهم: ما رأيته مذ كان عندي ومنذ جاءني: وقال ابن خروف في الشرح: "وأما مذ ومنذ فمن الظروف"، وهما مضافان إلى الفعل عنده لا على حذف مضاف، ولولا ذلك لم يدخلهما في الباب. وقول السيرافي موافق لقوله، فمن زعم خلاف ذلك فقد خالف سيبويه بما لا دليل عليه"[3].

---

(١) البيت من بحر البسيط، ولم أقف على قائله، ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:٢/ ٢٩٤، وتمهيد القواعد:٥/ ٢٣٩١، وشرح الأشموني:٢/ ٥٤.

الشاهد: "شيبا رأسي اشتعلا" والاستشهاد به كسابقه.

(٢) المقاصد الشافية:٣/ ٥٦٦.

(٣) شرح التسهيل:٢/ ٢١٦.

المناقشة:

وصف ابن مالك قول من قال إن "مذ ومنذ" تضاف إلى غير الفعل بأنه لا دليل عليه، وقد ذهب الأخفش[١] إلى أنه إذا وليهما الجملة لفظًا لا يكونان إلا مرفوعين على الابتداء، ولا بد من تقدير اسم زمان محذوف يكون خبرا عنهما؛ لأنهما لا يدخلان عنده إلا على أسماء الزمان ملفوظًا بها أو مقدرة، ويكون معنى "مذ ومنذ" أول.

وهو ما ذهب إليه ابن السراج[٢]، ونَسَبَه أبو حيان[٣] إلى ابن عصفور.

وقد ذهب سيبويه وأكثر النحويين[٤] إلى أن "مذ ومنذ" مضافان إلي الجملة، ولا محذوف بينهما، قال: " هذا باب ما يضاف إلى الأفعال من الأسماء ... ومما يضاف إلى الفعل ـ أيضاً ـ قولك: ما رأيته مذ كان عندي، ومذ جاءني ... "[٥].

قال ابن يعيش موضحاً كلام سيبويه: " ... وليس مراده أن "مذ" مضافة إلى الفعل؛ لأن الفعل لا يضاف إليه إلا الزمان، فلو كانت "مذ" مضافة إلى الفعل لكانت اسمًا، و"مذ" إذا كانت اسمًا لم تكن إلا مبتدأ ..."[٦]

---

(١) ينظر مذهبه في التذييل:٧/ ٣٣٦، وتوضيح المقاصد:٢/ ٧٦٨، والهمع:٢/ ٢٢٥.

(٢) ينظر الموجز:٥٩.

(٣) ينظر الارتشاف:١٤١٧/٣.

(٤) ينظر مذهبهم في التسهيل:٩٤، والمغنى:٤٤٢، والمساعد:٥١٢/١، وشرح الأشموني:٢/ ١٠٢.

(٥) ينظر الكتاب: ١١٧/٣.

(٦) ينظر شرح المفصل: ٥٠٨/٤.

وقال ابن خروف وابن عصفور إنهما مضافان إلى زمن مضاف إلى الجملة، والتقدير في نحو: ما رأيته منذ سافر، ومذ قائم: منذ زمن سافر، ومذ هو قائم، وقد عللا ذلك بأن "مذ ومنذ" لا يدخلان إلا على أسماء الزمان ملفوظًا بها أو مقدرةً.(١)

تعقيب:

يظهر أن الراجح مذهب سيبويه ومن تابعه من أنهما ظرفان مضافان إلى الجملة؛ لأن الكلام على هذا المذهب لا يحتاج إلى تقدير، بخلاف من قال بإضافتهما إلى زمن مضاف إلى الجملة، ومن قال: إنهما مبتدآن، فما لا يحتاج إلى تقدير أولى مما يحتاج إلى تقدير، وقد ادعى ابن هشام إجماع النحويين على إعراب "مذ ومنذ" ظرفين(٢) إذا دخلا على الجملة، فكأنه حكى الإجماع على إضافتهما إلى الفعل؛ لأن من يقول: إنهما مبتدآن لا يقول بظرفيتهما، فهما عنده اسمان ليسا ظرفين(٣).

١٥ . دخول معنى الاستفهام في "ما" التعجبية

قال ابن مالك عن "ما" في "ما أفعلَ ":" ... وأما كونها استفهامية وهو قول الكوفيين فليس بصحيح، ... وأيضًا لو كان فيها معنى الاستفهام لجاز أن تخلفها "أيّ" في نحو: ما أنت من سيد، وأيضًا فإن قصد التعجب بـ "ما

(١) ينظر شرح الجمل لابن خروف: ٦٤١/٢، وشرح الجمل لابن عصفور: ٥٤/٢، ٥٥، ٥٦.

(٢) ينظر أوضح المسالك:٥٥/٣، وشرح اللمحة البدرية لابن هشام: ٢٥٣/٢.

(٣) ينظر عدة السالك للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد: ٥٨/٣.

أفعله" مجمع عليه، وكونه مشوبًا بالاستفهام، أو ملموحًا فيه الاستفهام زيادة لا دليل عليها، فلا يلتفت إليها"[١].

المناقشة:

وصف ابن مالك مذهب الفراء[٢]، وابن درستويه[٣] أن "ما" التعجبية قد يدخلها معنى الاستفهام بأنه لا دليل عليه، ونسبه إلى الكوفيين، ودليلهم الإجماع على أن قولهم: أي رجل زيد؟ استفهام دخله معنى التعجب[٤]، وإنما وُضع هذا المعنى في التعجّب؛ لأجل أن التعجّب فيه إبهامٌ، وذلك أن التعجّب إنما يكون فيما جاوز الحدَّ المعروفَ، وخرج عن العادة، وصار كأنّه لا يُبْلَغ وَصْفه، ولا يُوقَف على كُنهه، فقولُك: "ما أحسن زيدًا!" في المعنى كقولك: "أيُّ رجل زيدٌ" إذا عنيتَ أنه رجلٌ عظيمٌ، أو جليلٌ ونحوَ ذلك[٥].

وقد رد النحويون ما ذهب إليه الفراء ومن وافقه من وجوه:

١. أن التعجّب خبرٌ محضٌ يحسن في جوابه صدقٌ أو كذبٌ، والمتكلّمُ لا يسأل المخاطب عن الشيء الذي جعله حسنًا، وإنما يُخْبره بأنه حسنٌ،

---

(١) شرح التسهيل:٣/ ٣٢،٣٣.

(٢) معاني القرآن: ١/١٠٣.

(٣) ينظر رأيه في الارتشاف:٤/ ٢٠٦٥، والجنى: ٣٣٧، وشرح الأشموني:٢/ ٢٦٣.

(٤) التذييل:١٠/ ١٨١.

(٥) ينظر شرح المفصل لابن يعيش:٤/ ٤٢١.

ولو كانت "ما" استفهامًا لم يسغ فيها صدقٌ أو كذبٌ؛ لأن الاستفهام ليس بخبرٍ[١].

٢. أن الاستفهام المشوب بتعجب لا يليه غالبًا إلا الأسماء نحو قول الله تعالى: ﴿وَأَصْحابُ الْيَمِينِ ما أَصْحابُ الْيَمِينِ﴾[٢]، وقوله عز وجل: ﴿وأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمالِ﴾[٣]، وقوله تقدست أسماؤه: ﴿الْحَاقَّةُ. مَا الْحَاقَّةُ﴾[٤]، وقوله جل في علاه: (الْقارِعَةُ. مَا الْقارِعَةُ﴾[٥][٦].

٣. أنه لو كان فيها معنى الاستفهام لجاز أن تخلفها "أي" في نحو قول الشاعر:

يا سيِّداً ما أنتَ منْ سيِّدٍ ... موطَّأِ الأكنافِ رحبِ الذِّراعْ[٧][٨]

---

(١) ينظر المرجع السابق:٤/ ٤٢١.

(٢) من الآية: ٢٧ سورة الواقعة.

(٣) من الآية: ٤١ سورة الواقعة.

(٤) سورة الحاقة الآيتان:١، ٢.

(٥) سورة القارعة الآيتان:١، ٢.

(٦) ينظر شرح التسهيل: ٣٢/٣، والمساعد: ٢/ ١٤٨، وتمهيد القواعد:٦/ ٢٦١٥.

(٧) البيت من بحر السريع، وهو للسفاح بن بكير اليربوعي، أو رجل من قريع في إيضاح شواهد الإيضاح للقيسي:٢٥٦/١، وشرح شواهد الإيضاح لابن بري:٤٤، وبلا نسبة في الإيضاح العضدي:٢١٣، وشرح شذور الذهب لابن هشام: ٣٣٥، والمقاصد الشافية: ٤/ ٤٤٥.

معاني المفردات: موطأ: سهل مذلل. والأكناف: جمع كَنَفَ- بفتحتين- وهو الناحية، وكنف الرجل حضنه، يعني العضدين والصدر. ومعناه: دمث كريم مضياف لا يتحمل قاصده من زيارته عنتا. والرَّحْب والرحيب: الواسع، ورحب الذراع: سخي واسع القوة عند الشدائد.

(٨) المساعد: ١٤٨/٢.

لأن استعمال "أي" في الاستفهام المتضمن تعجبًا كثير كقول الشاعر:

أَيُّ فَتَى هَيْجاءَ أنت وجارِها ... إذا ما رجالٌ بالرجالِ استقلّتِ(١)(٢)

تعقيب:

قوّى الرضى مذهب الفراء ومن وافقه، من جهة المعنى، فقال: "وهو قوي من حيث المعنى؛ لأنه كأنه جهل سببه فاستفهم عنه، وقد يستفاد من الاستفهام معنى التعجب، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾"(٣) ثم ذكر أن هذا المذهب ضعيف من جهة اللفظ حيث إنه نقل من معنى الاستفهام إلى معنى التعجب، والنقل من إنشاء إلى إنشاء مما لم يثبت"(٤).

١٦. بناء الثلاثي المزيد بالهمزة للتعجب

قال ابن مالك:" ... ولا فرق بين ما كانت همزته للتعدية كـ "أعطى" وبين ما همزته لغير التعدية كـ "أغفى"، وشهد بأن هذا مذهب سيبويه قولُه في باب التعجب المترجم بهذا باب ما يعمل عمل الفعل ولم يجر مجرى الفعل ولم

---

(١) البيت من بحر الطويل، وهو بلا نسبة في الكتاب:٢/٥٥، والأصول:٢/٣٩، وشرح الكتاب للسيرافي:٢/ ٣٨٧.

معاني المفردات: أي فتى هيجاء أنت وجارها: يريد: أي فتى حرب، وأي جار حرب أنت، والجار: الكافي لها، استقلت: نهضت.

والشاهد: أي فتى هيجاء وجارها، حيث استعملت "أي" للاستفهام المتضمن تعجبًا.

(٢) شرح التسهيل: ٣/٣٢، والمقاصد الشافية:٤/ ٤٤٦.

(٣) الآية: ١٧ سورة الانفطار.

(٤) شرح الكافية:٤/ ٢٣٤.

يتمكن تمكنه:" وبناؤه أبدًا من "فَعَل" و"فَعِل" و"فَعُل" و"أفْعَل"[1] هذا نصه، فسوّى بين الثلاثة في صحة بناء التعجب منها، وأطلق القول بـ"أفعل"، فعلم بأنه لا فرق بين ما همزته للتعدية وبين ما همزته لغير التعدية كما فعل ابن عصفور؛ إذ أجاز القياس على "ما أغفى زيدًا"؛ لأن همزته غير معدية، ولم يقس على "ما أعطاه"؛ لأن همزته معدية، وهو تحكم بلا دليل"[2].

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل لابن عصفور على ما ذهب إليه من التفرقة عند التعجب من الفعل الثلاثي المزيد بين أن تكون الهمزةُ للتعدية مثل قولهم: ما آتاه للمعروف! وما أعطاه للدراهم! وما أولاه بالمعروف فيمتنع، أو ليست له فيجوز كـ ما أخطأه! وما أصوبه! وما أيسره! وما أعدمه! وما أسنه![3]، ونُسب هذا الرأي إلى سيبويه[4]، قال ابن عصفور: "وإن كان على وزن "أفعَل" ولم تكن همزته للتعدية جاز التعجب منه، نحو قولهم: ما أخطأه! وإن كانت للتعدية لم يجز التعجب منه إلا أن يشذ من ذلك فيحفظ ولا يقاس عليه، والذي شذ من ذلك قولهم: ما أعطاه للدنانير! وما أولاه للمعروف!

---

(١) الكتاب: ١/٧٣.

(٢) شرح التسهيل:٣/ ٤٦،٤٧.

(٣) ينظر التذييل:١٠/ ٢٣٩.

(٤) الظاهر أن مذهب سيبويه الجواز؛ لتمثيله بـ "أعطى" والهمزة فيه للتعدية، يقال: عطوت بمعنى: تناولت، وأعطيت بمعنى ناولت. ينظر توضيح المقاصد:٢/ ٨٩٤.

وما أضيعه للشيء!"[1].

وقد رد النحويون رأي ابن عصفور، قال ابن الحاج:" هذا التفصيل الذي فصّله ـ يعني ابن عصفور ـ شيء لم يذهب إليه أحد، ولا قاله نحوي"[2]، ولم يفرق سيبويه بين "أعطى" وبين "حَسُنَ وكَرُمَ" مع العلم بأن همزة "أعطى" معدية؛ لأنه يقال: عطوت الشيء بمعنى: تناولته، وأعطيته فلانًا، فيصير:"عطوت" بالهمزة متعديًا إلى اثنين بعد أن كان دونها متعديًا إلى واحد، ومن تصريح سيبويه باطراد ما أعطاه! وشبهه قوله: "هذا باب يستغنى فيه عن ما أفعله! بما أفعل فعله، وعن أفعل منه بقولهم: هو أفعَل منه فعلًا، كما استغنى بـ تركت عن ودعت، وكما استُغنى بنسوةٍ عن أن يجمعوا المرأة على لفظها وذلك في الجواب؛ ألا ترى أنك لا تقول: ما أجوبه إنما تقول: ما أجود جوابه، ولا تقول: هو أجوبُ منه، ولكن هو أجود منه جوابًا ونحو ذلك، وكذلك لا تقول: أجوبْ به! وإنما تقول: أجود بجوابه، ولا يقولون في قال يقيلُ: ما أقيله! استغنوا بما أكثر قائلته، وما أنومه في ساعة كذا وكذا، كما قالوا: تركت، ولم يقولوا: ودعت[3]، فجعل استغناءهم عن "ما أجوبه" بـ "ما أجود جوابه" مساوياً لاستغنائهم عن "ودعت" ماضي "يدع" بـ "تركت"، وعن "ما أقيله" بـ "ما أكثر قائلته"، مع العلم بأن عدولهم عن "ودع" إلى

(١) المقرب: ١/١١٠، وينظر شرح الجمل:١/٥٨٠.

(٢) الارتشاف:٤/٢٠٧٨.

(٣) الكتاب: ٤/٩٩.

"ترك" وعن "ما أقيله" إلى أكثر قائلته على خلاف القياس، وأن "ودع وما أقيله" موافقان للقياس فيلزم أن يكون ما أجوبه موافقًا للقياس، وهذا بَيِّنٌ والاعتراف بصحته مُتَعَيِّنٌ"(١).

وعلى ذلك فظاهر كلام سيبويه الجواز مطلقًا، وعدم التفريق بين الفعل الثلاثي المزيد سواء أكانت همزته للتعدية أم لا، وعدم الاقتصار على المسموع، بل يقاس ما لم يسمع منه على ما سمع، حيث قال: "وبناؤه ـ يعني فعل التعجب ـ أبدًا من "فَعَلَ وَفَعِلَ وفَعُلَ وأَفْعَلَ"؛ هذا لأنهم لم يريدوا أن يتَصرَّف، فجعلوا له مثالًا واحدًا يَجرى عليه، فشُبِّهَ هذا بما ليس من الفعل نحو: لاتَ وما ".(٢)

وقد منع الأخفش(٣)، والجرمي(٤)، والمازني(٥)، والمبرد، وابن السراج(٦) التعجب من الثلاثي المزيد مطلقًا، قال المبرد: " اعلم أن بناء فعل التعجب إنما يكون من بنات الثلاثة، نحو: علم، وضرب، ومكث"، ثم ذكر ما زاد عن

---

(١) شرح التسهيل: ٤٧/٣، ٤٨.

(٢) الكتاب: ٧٣/١.

(٣) ينظر رأيه في إعراب القرآن للنحاس: ٤٣٥/٢، وشرح الجمل لابن خروف:٥٧٥/٢، وتوضيح المقاصد:٢/ ٨٩٤.

(٤) ينظر رأيه في الارتشاف:٢٠٧٨/٤.

(٥) ينظر رأيه في الارتشاف:٢٠٧٨/٤، وكتاب منهج السالك لأبي حيان: /٣٧٤، وتوضيح المقاصد:٢/ ٨٩٤.

(٦) ينظر الأصول:٣ /١٥٢.

الثلاثة فقال: " ودخول الهمزة على هذا محال"[1]، وإن شذ منه شيء فيحفظ ولا يقاس عليه.

تعقيب:

ما ذكره ابن مالك من فقدان الدليل على مذهب ابن عصفور صحيح، والدليل على بطلانه أن العرب لم تفرق هذه التفرقة، فقد قالوا: ما أعطاه، مع أن همزته للنقل، وقالوا: ما أخطأه وما أصوبه مع أن همزته لغير النقل[2].

وعلى ما سبق فالراجح مذهب المجيزين من استحقاق مساواة "أفعَل" لـ"فعل"؛ وذلك لأن هناك مشابهةً لفظيةً وموافقةً معنويةً بين "أفعَل" وبين "فعل" في هذا الاستعمال: فالمشابهة اللفظية من قِبَل أن مضارع "أفعَل" واسم فاعله واسم زمانه واسم مكانه كمضارع الثلاثي واسم فاعله وزمانه ومكانه في عدة الحروف والحركات وسكون الثلاثي بخلاف غيره من المزيد فيه.

وأما الموافقة في المعنى فكثيرة:

فمن موافقته لـ "فَعَل": و"عَتَم الليل" و"أعتم"، أي: أظلم، وسَرَى وأسرى، وبهما جاء القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ المِسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المِسْجِدِ الأَقْصَى﴾[3]، وقال ـ أيضًا: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[4].

---

(١) المقتضب:٤/ ١٧٨، ١٨١.

(٢) الارتشاف: ٤/٢٠٧٨.

(٣) من الآية:١ سورة الإسراء.

(٤) الآية: ٣ سورة الفجر.

ومن موافقته لـ "فَعِل": غَطِش الليلُ وأغطش، أي: أظلم، قال الله ﷻ: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾(١)، و"غَدِرت الليلة" و"أغدرت"، أي: اشتد ظلامها.

ومن موافقته لـ "فَعُل": خَلُق الثوب وأخلق، أي: بلي، و"بَطُؤَ الإنسان وغيره" و"أبطأ"، أي: تأخر، ونظائر ذلك كثيرة(٢).

وهذه المشابهةَ اللفظية وتلك الموافقةَ المعنوية هي التي جعلت سيبويه يختص "أفعَل" من بين الأفعال المغايرة للثلاثي باطراد بناء فعلي التعجب(٣).

١٧ . منع الفصل بين فعل التعجب ومعموله مطلقًا

قال ابن مالك:" ... وقال الزمخشري بعد أن حكم بمنع الفصل: وقد أجاز الجرمي وغيره من أصحابنا الفصل، وينصرهم قول القائل: ما أحسن بالرجل أن يصدق، ومن العجائب اعترافه بنصرهم وتنبيهه على بعض حججهم بعد أن خالفهم بلا دليل "(٤).

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل على ما ذهب إليه الزمخشري من منع الفصل بين فعل التعجب ومعموله مطلقًا، فقال: "ولا يتصرف في الجملة التعجبية

---

(١) الآية:٢٩ سورة النازعات.

(٢) ينظر الصاحبي في فقه اللغة العربية لابن فارس: ٦٨، وشرح التسهيل لابن مالك:٣/ ٤٨، وشرح عمدة الحافظ: ٢/٧٤٦.

(٣) ينظر شرح التسهيل :٣/٤٨، وشرح الكافية الشافية: ٢/ ١٠٨٩. ١٠٩١.

(٤) شرح التسهيل:٣/ ٤٢.

بتقديم ولا تأخير ولا فصل؛ فلا يقال: عبد الله ما أحسن، ولا ما عبد الله أحسن، ولا بزيد أكرم، ولا ما أحسن في الدار زيد، ولا أكرم اليوم بزيد، وقد أجاز الجرمي الفصل وغيره من أصحابنا، وينصرهم قول القائل: ما أحسن بالرجل أن يصدق"[١].

وهو في هذا متابع للأخفش[٢] والمبرد، وأكثر البصريين[٣]، ونسب الصيمري المنع إلى سيبويه[٤]، قال المبرد: "ولو قلت: ما أحسن عندك زيدًا!، وما أجمل اليوم عبد الله! لم يجز، وكذلك: لو قلت: ما أحسن اليوم وجه زيد! وما أحسن أمس ثوب زيد!؛ لأنَّ هذا الفعل لما لم يتصرف لزم طريقة واحدة وصار حكمه كحكم الأسماء، والدليل على ذلك أنك تقول: أقام عبد الله زيدًا، فتقلب الواو ألفًا لأنه فصل، وتقول في الاسم: هذا أقوم من ذا، فلا يعل"[٥].

---

(١) المفصل: ٣٦٨.

(٢) ينظر رأيه في شرح الكتاب للسيرافي:١/ ٣٥٧، وشرح الرضي على الكافية:٤/ ٢٣٢، والمقاصد الشافية:٤/ ٥٠٣، وقد نُسب إليه جواز الفصل.
ينظر الارتشاف: ٢٠٧٠/٤، والمساعد: ١٥٧/٢.

(٣) ينظر الارتشاف:٢٠٧٢/٤، وتوضيح المقاصد:٩٠١/٢، والهمع:٣/ ٥١.

(٤) يُنظر: التّبصرة للصيمري:٢٦٨/١، قال ابن الناظم:" وليس لسيبويه فيه نص شرح الألفية: ٣٣١.

(٥) المقتضب: ١٧٨/٤، إلا أن المبرد ذكر كلامًا في موضع آخر جعل الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة يشك بأنّ المبرد قد ناقض قوله الأول المانع، يقول المبرد: " وتقول: ما أحسن إنسانًا قام إليه زيدٌ، وما أقبح بالرجل أن قام يفعل كذا، فالرجل الآن شائع، وليس التعجب منه، وإنما

فظهر من كلام المبرد أن دليل المنع أن التعجّب جري مجرى الأمثال؛ للزومه طريقة واحدةً، والأمثالُ الألفاظُ فيها مقصورة على السماع، نحو قولهم: "الصيفَ ضيّعتِ اللبنَ"(١) يُقال ذلك بلفظ التأنيث، وإن كان المخاطب مذكّرًا(٢).

ومن يدقق النظر في المسألة يرى أن هناك دليلًا للمانعين ذكره قدامى النحويين كالسيرافي الذي قال:" ... فاحتج الذين لم يجيزوه بأن قالوا: التعجب كالمثل، والألفاظ فيه مقصورة على منهاج واحد، وإن كان يجوز في غيره من العربية تغيير مثله، وتقديمه، وتأخيره، فلما جاء كالمثل . والأمثال لا تغير . لم يغير"(٣)، وقد نَفَى ابن مالك دليل مانعي الفصل في شرح التسهيل

التعجب من قولك: أن يفعل كذا، كنحو: ما أقبح بالرجل أن يشتم الناس، تقديره: ما أقبح شتم الناس بمن فعله من الرجال " المقتضب:٤/ ١٨٧، وعبارة المبرد على رأي الأستاذ توحي بالجواز، لكن الناظر في قولي المبرد يلاحظ أنّ رأيه لم يتغير؛ لأنه منع أولًا الفصل بالظرف وإن تعلّقَ بالفعل؛ لأنه ليس في المتعجب منه ضمير يعود على الفاصل، فهو لم يُجز: ما أجمل اليومَ عبد الله، لأنه ليس في "عبد الله" ضمير يعود على اليوم، أما في نصه الثاني فإنّ في قولنا: ما أقبح بالرجل أن يفعل كذا، ضميرًا في "يفعل" يعود على الفاصل، وهو "بالرجل" ولذلك أجازه. وهذا واضح من قوله:" وليس المتعجب منه، إنما التعجب من قولك: أن يفعل كذا " ويقول: "والرجل الآن شائع"، فتبيّن من ذلك أنه لا تناقض.

(١) ينظر كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال:١/٧، ومجمع الأمثال:٢/ ٦٨، وهو مَثَلٌ يُضْرَبُ عِنْدَ فَوْتِ الحَاجَةِ.

(٢) ينظر شرح المفصل لابن يعيش:٤/ ٤٢٢، وشرح الجمل لابن عصفور:١/ ٥٨٧.

(٣) شرح الكتاب:١/ ٣٥٧.

كما تقدم أول المسألة، وكرر ذلك في شرح الكافية الشافية[١]،ثم أيد قول مجيزي الفصل، فقال:" والصواب أن ذلك جائز وهو المشهور المنصور"[٢] ؛ فلتضعيفه مذهب المانعين عدّ دليلهم كلا دليل.

تعقيب:

الراجح جواز الفصل؛ لورود السماع به، وقوة ما احتج به المجيزون من القياس، أما المانعون فقد احتجوا بالقياس فقط، والسماع مقدم على القياس، كما أنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها.

١٨. تركيب "حبذا"

قال ابن مالك:" ... وذهب قوم إلى أن "حب" إذا ضم إليها "ذا" نزل منها منزلة حرف زائد في الفعل وصار المجموع فعلًا مفتقرًا إلى فاعل، فجعل المخصوص فاعلًا، فإذا قيل: حبذا زيد، فـ"حبذا" بمجموعه فعل، وفاعله "زيد"، وهو قول في غاية من الضعف؛ لأنه مؤسس على دعوى مجردة عن الدليل"[٣].

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل على ما ذهب إليه الأخفش[٤] وابن درستويه[١] وخطاب الماردي[٢] . وهو ظاهر كلام الجرمي في الفرخ[٣] . من أن

---

(١)٢/ ١٠٩٩.

(٢) شرح التسهيل لابن مالك:٣/ ٤٢، وشرح الكافية الشافية:٢/ ١٠٩٨.

(٣) شرح التسهيل:٣/ ٢٦.

(٤) ينظر رأيه في الارتشاف:٤/٢٠٥٩، وتوضيح المقاصد:٢/ ٩٢٩، والمساعد:٢/ ١٤٢.

"حب" ركبت مع "ذا"، فإذا قلت: حبذا علي، فـ "حبّذا" فعلٌ ماض، و"ذَا" لَغْوٌ، و"علي" فاعل، وهو المخصوص بالمدح، وتابعه في ذلك ابنه بدر الدين(٤).

ولمن ذُكر من النحويين أدلة على ما ذهبوا إليه، ومن ذلك:

١. أن العرب قد صرفوه، فقالوا: "لا يُحَبِّذُهُ بما لا ينفعه"(٥).

٢. أن الفعلية قد غُلّبت؛ لأنها أسبق لفظًا، وأكثر حروفًا، فصارت "حبذا" كلها فعلًا(٦).

٣ ـ أنه لا يبقى معه شذوذ من إفراد "ذا" في نحو: حبذا الزيدان(٧).

وقد رُدّت الأدلة السابقة بما يأتي:

١. أنه ليس في قول العرب: "لا تحبذه" دلالة على أن "حبذا" كله فعل؛ إذ ليس مضارع "حبذا"، وإنما هو مضارع لـ "حبذ"، ومعنى لا تحبذه: لا تقل له حبذا، كما تقول: لم يبسمل زيد، أي: لم يقل باسم الله(٨)، فاشتقاق

---

(١) ينظر رأيه في منهج السالك:٤٠٢، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:١٧١/٣.

(٢) ينظر رأيه في التذييل:١٦٢/١٠، وتذكرة النحاة: ٢٨٥، وموصل النبيل:٨٠٣/٢.

(٣) ينظر رأيه في المقاصد الشافية:٥٥٢/٤.

(٤) ينظر شرح الألفية: ٣٣٨.

(٥) ينظر سر الصناعة:١/ ٢٣٣، وشرح المفصل لابن يعيش:٤/ ٤٠٩.

(٦) ينظر البديع في علم العربية :١/ ٤٩٥، وأوضح المسالك:٣/ ٢٥٢.

(٧) ينظر شرح التسهيل للمرادي ٦٣٨.

(٨) ينظر التذييل:١٠/ ١٦٢.

الفعل من لفظ الجملة، كقولهم: "حَمْدَلَ" في حكايةِ "الحمدُ لله"، و"سَبْحَلَ" في حكايته "سبحانَ الله".

٢. أن قولهم: "إن الفعلية قد غلبت" ظاهر الضعف(١)؛ لأن تغليب الاسم على الفعل أولى من تغليب الفعل على الاسم؛ لأن الأسماء أصل الأفعال، والأصول أبدًا تغلب على الفروع إذا اجتمعت، وقد وجد من الأسماء ما هو مركب نحو: "بعلبك، ورامهرمز"، وأمثال ذلك كثير، ولم يوجد من الأفعال ما هو مركب(٢).

٣. أن "حبذا" قد أجري على الواحد والاثنين والثلاثة، والمذكر والمؤنث مجرى واحدًا، في قولك: حبذا زيد، وحبذا هند، وحبذا الزيدان، وحبذا الهندان، وحبذا الزيدون، وحبذا الهندات، فلولا أن "حب" قد ركب مع "ذا" حتى صارا معًا كالجزء الواحد، وخرجا عما عليه الفعل والفاعل في فرش هذه اللغة، لقالوا: حبذه هند، وحبذان الزيدان، وحبتان الهندان، وحب هؤلاء الزيدون والهندات، وهذا لم يُقل(٣).

---

(١) ينظر شرح التسهيل للمرادي: ٦٣٨.

(٢) ينظر شرح الجمل لابن عصفور: ١/ ٦١٠.

(٣) ينظر سر صناعة الإعراب: ١/ ٢٣٣.

تعقيب:

تكشفت بعد دراسة المسألة أمور:

١ ـ أن القول بتغليب الفعلية يلزم عليه تغليب أضعف الجزأين، ويؤدي إلى ما لا نظير له؛ لأن تركيب فعل من فعل واسم لا نظير له[١].

٢. أنه يجوز حذف المخصوص، وهو عند القائلين بفعلية "حبذا" كلها فاعل، وإذ الفاعل لا يجوز حذفه، ودليل على أنه لا يكون خبر مبتدأ؛ إذ يلزم حذف الجملة بأسرها، من غير عوض عنها، ولا قائم مقامها، وذلك لا يجوز[٢].

٣. أن الصحيح القول بعدم التركيب؛ لأن فيه إقرار كلٍّ من اللفظين على ما كان عليه، وأن "حب" فعل و"ذا" فاعله، والمخصوص بالمدح مبتدأ مؤخر، والجملة باقية على أصلها من كونها جملة فعلية ماضوية؛ لأن الأصل عدم التغيير ولأنهم يقتصرون أحيانًا على "حب" إذا جاء معطوفًا على حبذا، وهو مذهب أكثر النحويين[٣].

٤. نسب السيوطي[٤] إلى المبرد أنه قال: إن "حبذا" فعل، وفَاعله الْمَخْصُوص، وهو يخالف نص كلامه في المقتضب؛ إذ قال:" وأما

---

(١) ينظر شرح التسهيل لابن مالك:٣/ ٢٦، وتمهيد القواعد:٥/ ٢٥٩٣

(٢) ينظر التذييل:١٠/ ١٧١، وتمهيد القواعد:٥/ ٢٦٠٣.

(٣) ينظر المسائل البصريات: ٢/ ٨٤٥، ٨٤٨، وكتاب الشعر: ٩٧/١، وشرح الكافية الشافية: ٢/ ١١١٧، وتوضيح المقاصد:٢/ ٩٢٩.

(٤) الهمع:٣/ ٤٠.

"حبذا" فإنما كانت في الأصل: حبذا الشيء؛ لأن "ذا" اسم مبهم يقع على كل شيء، فإنما هو: حب هذا مثل قولك: كرم هذا، ثم جعلت "حب" و"ذا" اسمًا واحدًا فصار مبتدأ، ولزم طريقة واحدة على ما وصفت لك في "نعم" فتقول: حبذا عبد الله وحبذا أمة الله "(١).

١٩. امتناع توسط الهمزة بين المعطوف والمعطوف عليه

قال ابن مالك: " ... واعلم أن أصل أدوات الاستفهام الهمزة؛ لأنها تأتي في الإيجاب والنفي، ويستفهم بها عن التصور وعن التصديق، ولكونها أصل أدوات الاستفهام، والاستفهام له صدر الكلام، استأثرت عن أخواتها بتمام التصدير، فدخلت على العواطف من "الواو والفاء وثم"، ولم يدخلن عليها، فلا يقال: قد قام زيد، فأقام أخوه؟ كما يقال: فهل قام أخوه؟ وإنما يقال: قد قام زيد، أفقام أخوه؟ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾(٢):﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(٣): ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾(٤)، وهو عند سيبويه على التقديم والتأخير، إيثارًا لهمزة الاستفهام بتمام التصدير. وفي امتناع دخول العواطف عليها مع مساواتها لـ"هل" في صحة عطف ما هي فيه على ما قبله، شاهد على صدق قول سيبويه.

---

(١) المقتضب: ٢/ ١٤٣.

(٢) من الآية: ١٠٠ سورة الأعراف.

(٣) من الآية:٣١ سورة الرعد.

(٤) من الآية:٥١ سورة يونس.

وقد حمل الزمخشري بعض ما جاء من ذلك في القرآن الكريم على إضمار المعطوف عليه، فقال في قوله تعالى: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾[١]، و﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾[٢]، تقديره: أكفروا وكلما عاهدوا، وأكفرتم فكلما جاءكم رسول، وهو إضمار لا دليل عليه، ولا يفتقر تصحيح الكلام إليه"[٣].

المناقشة:

يرى ابن مالك أنه لا دليل على قول الزمخشري أن المعطوف عليه محذوف، يقدر بين الهمزة وحرف العطف في نحو قوله تعالى﴿: أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾، قال الزمخشري:" أَوَ كُلَّما الواو للعطف على محذوف معناه: أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا "[٤].

وتابع الآلوسيُّ الزمخشري[٥]؛ فرأى أنه من عطف الفعلية على الفعلية؛ لأن قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا ﴾ ظرف: ﴿نَبَذَهُ﴾، والقرينة على ذلك المحذوف قوله تعالى: ﴿وَما يَكْفُرُ بِها ﴾إلخ.

وذهب كثير من النحويين والمفسرين[٦] على أنه يجوز توسط الهمزة بين المعطوف والمعطوف عليه لغرض يتعلق بالمعطوف خاصة، كقوله تعالى: ﴿أَوَ

---

(١) من الآية:١٠٠ سورة البقرة.

(٢) من الآية:٨٧ سورة البقرة.

(٣) شرح التسهيل:٤/١١١،١١٠.

(٤) الكشاف :١/ ١٧١.

(٥) روح المعاني:١/ ٣١٧. ٣٣٤.

(٦) ينظر التبيان للعكبري:١/ ٩٧، والبحر المحيط لأبي حيان :١/ ٥١٨.

كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ على ما قبله[١]، وهو إما معطوف على قوله: ﴿لَقَد أَنزَلنَا﴾[٢]، أو على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾[٣][٤]، وقد اعترض الآلوسي هذا الرأي بأن التقدير يصير: نقضوا هذا العهد، وذلك العهد أَوَ كُلَّما عاهَدُوا، وفيه مع ارتكاب ما لا ضرورة تدعو إليه أن الجمل المذكورة بقربه ليس فيها ذكر نقض العهد[٥].

تعقيب:

بعد مناقشة المسألة يجدر ذكر الآتي:

أولًا: أجاز أبو حيان أن يكون المعطوف عليه في قوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ الجمل التي قبل الفاء، فلا يقدر محذوف، كأنه قال: ولقد آتينا يا بني إسرائيل، آتيناكم ما آتيناكم. فكلما جاءكم رسول، ويحتمل أن يقدر قبلها محذوف، أي: فعلتم ما فعلتم من تكذيب فريق وقتل فريق[٦].

ثانيًا: ذكر أبو حيان أن الزمخشري رجع عن اختياره إلى قول الجمهور[٧].

---

(١) ينظر البحر المحيط:١/ ٥١٨، والدر المصون:١/ ٤٩٨.

(٢) ينظر شرح الرضي على الكافية:٤/ ٣٩١.

(٣) من الآية:٩٩ سورة البقرة.

(٤) ينظر تفسير الكتاب العزيز وإعرابه لابن أبي الربيع:٢/ ٤٢٩.

(٥) روح المعاني:١/ ٣٣٤، ٣٣٥.

(٦) البحر المحيط:١/ ٤٨٢.

(٧) ينظر السابق:١/ ٥١٨.

٢٠ . مجيء "حتى" للترتيب

قال ابن مالك:" ... و"حتى" بالنسبة إلى الترتيب كالواو، فجائز كون المعطوف بها مصاحبًا كقولك: قدم الحجاج حتى المشاة في ساعة كذا، وجائز كونه سابقًا كقولك: قدموا حتى المشاة متقدمين، ومن زعم أنها تقتضي الترتيب في الزمان فقد ادعى ما لا دليل عليه"(١).

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل على ما ذهب إليه الزمخشري وابن الحاجب(٢) وابن يعيش(٣) من أن "حتى" تقتضي الترتيب، قال الزمخشري:" و"الفاء"، و"ثم"، و"حتى" تقتضي الترتيب"(٤)، تقول: قدم الحاج حتى المشاة، وزارني الناس حتى الأمير، فما بعدها مرتب على ما قبلها؛ فالأمير إنما زار بعد ما زار الناس، والمشاة إنما قدموا بعد قدوم الحاج(٥)، وتابعه في القول بعدم الدليل أبو حيان(٦).

---

(١) شرح التسهيل:٣/ ٣٥٩، وينظر شرح الكافية الشافية:٣/ ١٢١١.

(٢) الكافية: ٥٣.

(٣) شرح المفصل: ٥/ ١٣.

(٤) المفصل: ٤٠٤.

(٥) المقاصد الشافية:٥/ ٩٧.

(٦) ينظر الارتشاف:٤/٢٠٠٢.

ولا دليل على مذهبهم كما قال ابن مالك، ومذهب جمهور النحويين[١] أنها لمطلق الجمع كـ واو العطف عند عدم القرينة، فلا تفيد الترتيب الزمني بين العاطف والمعطوف في الحكم نحو: أديت الفرائض الخمس حتى المغرب، ووفيت أركان كل صلاة حتى الركوع، ومات كل الأنبياء حتى نوح، وعليه تقول: مات كل أب لي حتى آدم.

وأضافوا: لا يعتبر إلا الترتيب الذهني من الأضعف إلى الأقوى أو بالعكس، ولا يعتبر الترتيب الخارجي؛ لجواز أن تكون ملابسة الفعل لما بعدها سابقة على ملابسته للأجزاء الأخرى، أو في أثنائها، أو معها في زمان واحد، نحو: مات كل أب للناس حتى آدم، ومات الناس حتى الأنبياء، وجاءني القوم حتى علي، إذا جاءوا كلهم مجتمعين وعلي أقواهم أو أضعفهم[٢]، ويؤيد ما سبق قوله عليه الصلاة والسلام: "كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس"[٣]؛ لأن تعلق القضاء والقدر بهذين لا يتأخر عن غيرهما؛ إذ ليس في القضاء ولا في القدر ترتيب، وإنما الترتيب في ظهور المقضيات والمقدورات، ومثل الحديث قول الشاعر:

---

(١) ينظر شرح الألفية لابن الناظم: ٣٧٥، وشرح التسهيل للمرادي: ٨١١، وشرح قطر الندى لابن هشام: ٣٠٤.

(٢) ينظر النحو الوافي:٣/ ٥٨٢..

(٣) الحديث في صحيح مسلم:٤/ ٢٠٤٥. كتاب الْقَدَرِ . بَابُ كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ. رقم الحديث :٢٦٥٥، وموطأ مالك :٢/ ٨٩٩، كِتَابُ الْقَدَرِ. بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْقَوْلِ بِالْقَدَرِ، ومسند أحمد:١٠/ ١٣٣، رقم الحديث:٥٨٩٣.

لَقَوْميَ حَتَّى الأقدمون تمَالَئُوا... على كُلِّ أمر يُورِث المجد والحَمْدا[1]

فعَطفت "حتى" "الأقدمون" على " لقومي"، دون اعتبار الترتيب الخارجي، فهي مثل الواو، تعطف المتقدم في الوجود الخارجي والمتأخر فيه، والمصاحب لما قبله، أما الترتيب الذهني فلا بد منه.

تعقيب:

الحق ما ذهب إليه الجمهور من أن "حتى" لا تفيد الترتيب، وإنما تفيد ترتيب أجزاء ما قبلها في الذهن حتمًا، أي: تدريجها من الأضعف إلى الأقوى وعكسه، ولو كان هذا مخالفًا لما في خارج الذهن والواقع[2].

٢١. إتباع المتصل المنصوب بمنفصل منصوب

قال ابن مالك:" ...وأما: رأيتك إياك، فقد تقدم في باب التوكيد أن البصريين يجعلونه بدلًا، وأن الكوفيين يجعلونه توكيدًا، وأن قول الكوفيين عندي أصح؛ لأن نسبة المنصوب المنفصل من المنصوب المتصل في: رأيتك إياك كنسبة المرفوع المنفصل من المرفوع المتصل في: فعلت أنت، والمرفوع توكيد بإجماع، فليكن المنصوب توكيدًا، فإن الفرق بينهما تحكم بلا دليل"[3].

---

(١) البيت من بحر الطويل، وهو بلا نسبة في شرح عمدة الحافظ:٢/٦١٦، وتمهيد القواعد:٧/ ٣٤٤٨، وشرح الأشموني:٢/ ٣٧٠، والهمع: ٢/ ٢٣١.

معاني المفردات: الأقدمون: الطاعنون في السن، تمالئوا: اجتمعوا وتعاونوا. يورث: يكسب المجد.

المعنى: يقول: إن قومه كبارًا وصغارًا اتفقوا على كل أمر يكسبهم المجد والرفعة وثناء الناس عليهم.

(٢) ينظر شرح الرضي على الكافية:٤/ ٣٩٥، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل:٢/ ٦٣.

(٣) شرح التسهيل:٣/ ٣٣٢،٣٣٣.

المناقشة:

وصف ابن مالك إعراب البصريين[١] "إياك" في نحو قولنا: رأيتك إياك بدلًا بأنه تحكم بلا دليل، قال سيبويه:" فإن أردت أن تجعل مضمَراً بدلًا من مضمَر قلت: رأيتُك إياك، ورأيتُه إياه، فإن أردت أن تبدل من المرفوع قلت: فعلتَ أنت، وفعل هو، فـ "أنت" و"هو" وأخواتهما نظائر "إياه" في النصب"[٢] ، وقال الرماني:" وتقول: رأيتك إياك، ورأيته إياه، على البدل، ولا يجوز على التأكيد؛ لأن التأكيد يُرتبُ كما تُرتب الصفة، وليس كذلك البدل، والترتيبُ لا يكون إلا بعلامة وضعيةٍ في الأسماء، فأما ما يلي العاملَ فمعلقٌ في الأسماءِ، لا يحتاج إلى علامة في ذلك.

وتقول: فعلت أنت، وفعل هو، فيجوزُ على التأكيد، وعلى البدلِ؛ لأن العلامةَ واحدةٌ في المرفوعِ، وليس كذلك المنصوبُ والمجرور"[٣].

والدليل على ذلك ما ثبت عن العرب من أنها إذا أرادت التوكيد أتت بالضمير المرفوع المنفصل فقالت: جئت أنت، ورأيتك أنت، ومررت بك أنت، فإذا أرادت البدل وفقت بين التابع والمتبوع فتقول: جئت أنت، ورأيتك إياك، ومررت به به، فيتحد لفظ التوكيد والبدل في الرفع[٤].

---

(١) ينظر مذهبهم في شرح الكتاب للسيرافي:٣/ ١٥٢.

(٢) الكتاب:٢/ ٣٨٦.

(٣) شرح الكتاب: ٦٧٣، ٦٧٤.

(٤) ينظر المقاصد الشافية:٥/ ٢١٤.

وقد أُعجب الشاطبي ـ رحمه الله ـ بهذا الدليل جدًا، فقال:" ...هكذا نقل سيبويه عن العرب، وتلقاه منه غيره بالقبول، وهم المؤتمنون على ما ينقلون؛ لأنهم شافهوا العرب، وعرفوا مقاصدها، فلا يعارض هذا بقياسٍ بأن يقال: إن نسبة المنفصل إلى المتصل في الرتبة الواحدة نسبة واحده، فكما كان في رتبة الرفع توكيدًا باتفاق، فليكن كذلك في رتبة النصب أيضًا، وكذلك ينبغي في القياس في ضمير الجر إلا أنه متصل"(١).

وهو ما اختاره الخوارزمي(٢).

ويرى الكوفيون أنه توكيد لفظي(٣)، قال ثعلب: "ضربتك إياك وضربتك أنت، يجعلون المرفوع مثل التوكيد والعماد، والتوكيد لا يكون أول الكلام، وأهل البصرة يقولون: ضربتك إياك بدل، ونحن نقول: هما توكيد"(٤).

واختاره ابن يعيش، وابن مالك(٥)، والرضي، والسيوطي(٦)؛ لأن البدل يقوم مقام الشيء، والضمير المنفصل لا يقوم مقامه، قال الرضي: "قال النحاة: إن المنفصل في نحو: ضربتك أنت: تأكيد، وفي: ضربتك إياك بدل، وهذا عجيب، فإن المعنيين واحد، وهو تكرير الأول بمعناه؛ فيجب أن يكون

---

(١) ينظر السابق:٥/ ٢١٤.

(٢) ينظر التخمير :٢/١٢١.

(٣) ينظر توضيح المقاصد:٢/ ٩٨٦.

(٤) ينظر مجالس ثعلب:١/١٣٣.

(٥) ينظر التسهيل: ١٦٦.

(٦) ينظر شرح المفصل:٢/ ٢٢٥، والهمع:٣/ ١٨٢.

كلاهما تأكيدًا لاتحاد المعنيين، والفرق بين البدل والتأكيد معنوي كما يظهر في حد كل منهما"[١].

تعقيب:

ردّ الشيخ خالد قول ابن مالك السابق:" والمرفوع توكيد بإجماع" بأن الإجماع على أن "أنت" توكيد، بمعنى أنه لا يكون إلا كذلك منتف؛ فقد أجازوا في "قمت أنت" البدلية، والمطابقة ترجح جانب البدلية، فلو لم يطابق كان تأكيدًا، نحو: "رأيتك أنت"[٢].

٢٢. تركيب "لن" من "لا" النافية و"أن" المصدرية

قال ابن مالك: " ... وذهب الخليل والكسائي في "لن" إلى أن أصلها: لا أنْ، وأنها مركبة من "لا" النافية، وأن الناصبة محذوفة الهمزة لكثرة الاستعمال كما قالوا: وَيْلُمِّه.

وألزمه سيبويه بأنه لا خلاف في جواز تقديم معمول معمولها عليها نحو: زيدًا لن أضرب، فلو كان أصلها: لا أنْ، للزم تقديم ما في الصلة على الموصول، وهو ممتنع. وقال السيرافي: المختار أنها غير مركبة؛ لأن التركيب على خلاف الأصل، فلا تقبل دعواه إلا بدليل، ولا دليل"[٣].

---

(١) شرح الكافية:٢/ ٣٦٥.

(٢) ينظر المساعد:٢/٤٠٠، وموصل النبيل:٣/١٠٣٧.

(٣) شرح التسهيل:٤/١٥.

المناقشة:

وصف ابن مالك رأي الخليل[١]، والكسائي[٢] أن "لن" مركبة بأنه لا دليل عليه، وتركيبها عندهم من حرفين "لا" النافية، و"أن" المصدرية، ثم حذفت الهمزة من "أن" إمّا تخفيفاً، أو اعتباطاً، فالتقى ساكنان: الألف، والنون؛ فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فَصَارَت "لن"، وحدث بالتركيب معنى لم يكن قبل التركيب، واستقلت بما بعدها كلامًا.

والدليل على ذَلِك قربها فِي اللَّفْظ من "لَا أَن" وَوُجُود معنى "لَا" و"أَن" فِيهَا، وَهُوَ النَّفْي والتخليص للاستقبال[٣]، وقد جاءت على الأصل في الضرورة في قول الشاعر:

فإنْ أمْسكْ فإن العيشَ حُلوٌ ... إليَّ، كأنه عسلٌ مشوبُ

يرجي المرء ما لا إنْ يُلاقي ... وتعرض دونَ أبعده الخطوبُ[٤]

وقد وصف الزجاج رأي الخليل والكسائي بأنه قول شاذ[٥].

وذهب سيبويه، والجمهور[١] إلى أنها بسيطة، قال سيبويه:" وأما غيره - يعني الخليل - فزعم أنه ليس في "لن" زيادة، وليست من كلمتين ولكنّها بمنزلة

---

(١) ينظر رأيه في الكتاب:٣/ ٥، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج:١/ ١٦١، والارتشاف:٤/ ١٦٤٣.

(٢) ينظر رأيه في إعراب القرآن للنحاس:١/ ٦٣، والمغني: ٣٧٤، وتمهيد القواعد:٨/ ٤١٤٠.

(٣) ينظر الهمع:٢/ ٣٦٥.

(٤) البيتان من بحر الوافر، وهما لجابر الأنصاري في التصريح:٢/ ٣٥٩، ولجابر الطائي في نوادر أبي زيد: ٢٦٤ برواية" مَا إن لَا يلاقي "، وبلا نسبة في شرح الرضي على الكافية:٤/ ٣٩.

(٥) ينظر معاني القرآن وإعرابه:١/ ١٦١.

شيء على حرفين ليست فيه زيادة، وأنها في حروف النصب بمنزلة "لم" في حروف الجزم، في أنه ليس واحد من الحرفين زائداً "[٢]، وقد ردوا القول بالتركيب من عدة أوجه:

الأول: أن البساطة أصل، والتركيب فرع، فلا يدعى إلا بدليل قاطع.

الثاني: أنها لو كان أصلها: "لا أن" لم يجز تقديم معمول معمولها عليها، وهو جائز في نحو: زيداً لن أضرب. وأجيب عنه بأن الشيء قد يحدث له، مع التركيب، حكم لم يكن قبل ذلك[٣].

الثالث: أنه يلزم منه أن تكون "أن" وما بعدها في تقدير مفرد، فلا يكون قولك: لن يقوم زيد كلامًا، فإن قيل: يكون في موضع رفع بالابتداء، والخبر محذوف لازم الحذف، كما نقل عن المبرد! فالجواب أن هذا القول ضعيف، لوجهين:

أحدهما أن هذا المحذوف لم يظهر قط، ولا دليل عليه.

والآخر: أنّ "لا" تكون قد دخلت على الجملة الاسمية، ولم تكرر.

قال المرادي:" هذا لا يلزم المبرد؛ لأن تكرارها عنده لا يلزم. ولكنه يلزم الخليل"[٤].

---

(١) ينظر توضيح المقاصد:٣/ ١٢٢٩، والهمع:٢/ ٣٦٥.

(٢) الكتاب:٣/ ٥.

(٣) المغني: ٣٧٤.

(٤) الجنى: ٢٧١.

وَالْمَشهُور فِي رِوَايَة الْبَيت: يرجي الْمَرْء مَا إِن لَا يلاقي بِتَقْدِيم "إِن" الْمَكْسُورَة الْهمزَة على "لَا" وَهِي زَائِدَة[1]، أراد: يرجى المرء الذي لا يراه.

تعقيب:

ظهر مما سبق رجحان مذهب الجمهور؛ لقوة أدلتهم، وعدم الاعتراض عليه.

٢٣ . أصل "كيما"

قال ابن مالك:" ... وإذا حدث فيها معنى التعليل ووليها مضارع نصبته لشبهها بـ "كي" كقول الشاعر:

فطَرْفَك إمّا جئتنا فاصْرفنّه ... كما يحسبوا أنّ الهوى حيثُ تَنْظرُ[2]

وزعم الفارسي أن الأصل: "كيما" وحذفت الياء، وهذا تكلف لا دليل عليه، ولا حاجة إليه"[3].

---

(١) ينظر شرح التسهيل لابن مالك:١/ ٣٧١، وتمهيد القواعد:٣/ ١١٩٦، والخزانة :٨/ ٤٤١.

(٢) من الطويل لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه:١٠١، ولجميل بن معمر في المقاصد النحوية:٤/ ١٨٩٢، ولهما في شرح شواهد المغني:٤٩٨/١، وبلا نسبة في الجنى الداني:٤٨٣، ورصف المباني:٢١٤، ومجالس ثعلب:١٥٤.

معاني المفردات: الطرف: العين: اصرفنه: حوله إلى جهة أخرى غير جهتنا.

المعنى: ابعد نظرك عنا ولا تجعل عيونك ترقبنا، وانظر إلى غيرنا، حتى يظن الناس أن محبوبك يجلس حيث تنظر.

(٣) شرح التسهيل:١٧٣/٣.

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل على قول الفارسي إن أصل "كما": "كيما" وحذفت الياء، ووصفه بالتكلف وعدم الحاجة إليه، وذهب إلى أن الكاف للتشبيه كفت بـ"ما"، ودخلها معنى التعليل فنصبت، وذلك قليل.

وهذا الذي قاله الفارسي نُسب إلى المبرد والكوفيين(١)، قال ناظر الجيش "وحكى الكوفيون أنها تكون بمعنى "كي"، فينصب بها، ووافقهم المبرد"(٢).

واستدل الكوفيون بقول أبي النجم:

قلت لشَيْبان: ادنُ من لِقائِه ... كما نُغَدّي القومَ مِن شِوائِه(٣)

حيث ذهبوا إلى أن "نغدي" في موضع نصب بـ"كما"، و"كما" محذوفة من "كيما"، وسكنوا ياء "نغدي" ضرورة(٤).

ولم يرتض أبو حيان ما قاله ابن مالك فقال: "وقوله: "وهذا تكلف لا دليل عليه، ولا حاجة إليه" ليس كما ذكر، بل هو تأويل عليه دليل، وإليه حاجة، وذلك أنه لم يثبت النصب بـ"كما" في موضع خلاف هذا المختلف فيه، فيحمل هذا عليه، والنصب ثابت بـ"كيما"، والعلة في "كيما" أصل،

---

(١) ينظر مجالس ثعلب: ١/١٢٨،١٢٧.

(٢) ينظر تمهيد القواعد:٦/ ٣٠١٦.

(٣) البيتان من بحر الرجز، وهما للشاعر في ديوانه:٧٠، ٧١، والكتاب:٣/١١٦، والإنصاف:٢/ ٤٨٢، وبلا نسبة في تمهيد القواعد:٦/ ٣٠٠٧

المعنى: الشاعر يأمر ابنه باتباع ظليم من النعام، وأن يدنو منه لعله يصيده فيطعم الناس منه بعد شَيِّه.

(٤) التذييل:١١/ ٢٧٣.

وفي كاف التشبيه المكفوفة بـ"انتظرني كما آتيك" بين الخليل والفراء، فالأولى أن يعتقد أن أصلها "كيما" لظهور التعليل فيها، ولثبوت النصب بـ "كيما"[1].

قال ناظر الجيش:" وأقول: هذا الذي ذكر عن الكوفيين، والفارسي أقرب وأولى مما ادعاه المصنف[2].

***

(١) التذييل:١١/ ٢٧٣.

(٢) تمهيد القواعد:٦/ ٣٠١٦.

المبحث الثاني: عدم الدليل في الصرف

١ . أصل لفظ الجلالة "الله"

قال ابن مالك:" ولو لم يُرَدّ على من زعم أن أصل الله: الإله إلا بكونه مدعيًا ما لا دليل عليه لكان ذلك كافيًا؛ لأن الله والإله مختلفان في اللفظ والمعنى، أما في اللفظ فلأن أحدهما في الظاهر الذي لا عدول عنه دون دليل مُعْتَلُّ العين، والثاني مهموز الفاء صحيح العين واللام، فهما من مادتين، ورَدُّهما إلى أصل واحد تحكم وزيغ عن سبيل التصريف، وأما اختلافهما في المعنى فلأن "الله" خاص بربنا تبارك وتعالى في الجاهلية والإسلام، والإله ليس كذلك"(١).

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل على قول من زعم أن أصل "الله": الإله، وهو مذهب سيبويه، حيث قال:" وكأن الاسم ـ والله أعلم ـ إله، فلما أُدخل فيه الألف واللام حذفوا الألف، وصارت الألف واللام خلفًا منها"(٢).

وقد نُسب هذا الرأي إلى يونس والكسائي وقطرب والفراء والأخفش(٣)، ونُسب للكوفيين(٤).

---

(١) شرح التسهيل:١/ ١٧٧.

(٢) الكتاب:٢/ ١٩٥.

(٣) ينظر اشتقاق أسماء الله للزجاجي:٢٣، وأمالي ابن الشجري:٢/١٩٦.

(٤) ينظر نهاية البيان في تفسير القرآن للمعافى الموصلى:٢٣٣.

وعلى هذا فالهمزة أصلية، والألف التي قبل الهاء زائدة، فأصل لفظ الجلالة: "الإله" بوزن "الفعال"، ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، ونظير ذلك قولهم: "أناس"، ثم قالوا: "الناس" وأصله: "الأناس" فحذفت الهمزة فقيل: "الناس"(١).

أو يقال: إن الهمزة من "الإله" حذفت للنقل، بمعنى أنها نُقلت حركتها إلى لام التعريف، وحُذفت بعد نقل حركتها فصار: "أللاه" فاجتمع مثلان متحركان وهما اللامان، فأدغمت اللام الأولى في الثانية بعد إسكانها لأجل الإدغام(٢)، والذي يدل على ذلك أن الإله بمعنى مألوه، وهو مشتق من أَلَهَ يأله إلاهً وألوهة، وأَلَه بمعنى عبد، والدليل قول رؤبة:

للهِ دَرُّ الغانِياتِ المُدَّهِ ... سَبَّحْنَ واسترجَعْنَ مِن تأَلُّهِي(٣)

يعني من تعبدي، فذكر المصدر فدل على صحة اشتقاق الفعل منه.

وقد أبطل ابن مالك القول بأن الهمزة حذفت ابتداء، ثم أدغمت اللام في اللام؛ لأن حاصله ادّعاء حذف فاء، بلا سبب ولا مشابهة ذي سبب من كلمة ثلاثية اللفظ، فذكر الفاء تنبيه على أن حذفها أشد استبعادًا من حذف العين واللام؛ لأن الأواخر وما اتصل بها أحق بالتغيير من الأوائل.

---

(١) ينظر اشتقاق أسماء الله الحسنى: ٢٤، وكتاب اللامات: ٥٢، وأسرار العربية: ١٧٥.

(٢) ينظر شرح المفصل لابن يعيش:١/ ٤٢.

(٣) من الرجز للشاعر في ديوانه:١٦٦، وكتاب العين:٤/٣٢، وشرح المفصل لابن يعيش:١/ ٤١. الغانيات: جمع الغانية، وهي المرأة الغنيَّة بحسنها وجمالها عن الزينة. المدَّه: الممْدوحات. من "مَده" بمعنى: مدَحَ.

وقد أبطل ابن مالك ـ أيضًا ـ القول بأن الهمزة نقلت حركتها إلى اللام الأولى، ثم حذفت؛ لأنه يستلزم مخالفة الأصل من وجوه:

أحدها: نقل حركة همزة في كلمتين على سبيل اللزوم، ولا نظير لذلك.

الثاني: نقل حركة همزة إلى مثل ما بعدها، وذلك يوجب اجتماع مثلين متحركين، وهو أثقل من تحقيق الهمزة بعد ساكن؛ لأن اجتنابه في اللام آكد؛ إذ هو ملتزم في: أوعَدَ وبابه، بخلاف النقل فإنه لم يلتزم إلا في أفعال الرؤية.

الثالث: مخالفة الأصل من تسكين المنقول إليه الحركة، وذلك يوجب كون النقل عملًا كلا عمل؛ لأن المنقول إليه كان ساكنًا ثم حرك بحركة الهمزة؛ إبقاء عليها وصونًا لها من محض الحذف، وإذا سكن فات ذلك، وعاد الحرف إلى ما كان عليه قبل النقل، فكأن النقل لم يكن، ومع هذا ففاعل هذا التسكين بعد النقل بمنزلة من نقل في "يَئِس" فقال: "ييس"، ثم سكن فقال: "يَيْس"، فلا يخفى ما في هذا من القبح مع كونه في كلمة واحدة، والمدعى في الله من كلمتين، فهو أمكن في الاستقباح، وأحق بالإصلاح.

الرابع: إدغام المنقول إليه فيما بعد الهمزة، وذلك بمعزل عن القياس، لأن الهمزة المنقولة الحركة في تقدير الثبوت فإدغام ما قبلها فيما بعدها كإدغام أحد المنفصلين في الآخر، وقد اعتبر أبو عمرو بن العلاء في الإدغام الكبير الفصل بمحذوف واجب الحذف نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ

دِينًا﴾[1] أي: يدغم الغين في الغين فلأن يعتبر الفصل بمحذوف غير واجب الحذف أحق وأولى[2].

تعقيب:

لقد قيلت في أصل كلمة "الله" أقوال كثيرة، منها الرأي الثاني: أن أصله: "الإله"، وإذا لم يكن عليه دليل كما قال ابن مالك، إلا أنه قد سلم من الاعتراضات التي قيلت على الآراء أخرى، فقد قيل مثلًا: إنه مشتق من "وله"، وعلى هذا فالهمزة منقلبة عن واو، فأصل لفظ الجلالة ولاه، ثم أبدلت الواو همزة كما أبدلت في إشاح وإعاء، فصار اللفظ به "إلاه"، ثم حذفت همزته.

وقد رد هذا الاشتقاق من عدة أوجه:

أحدها: أنه لو كانت الهمزة بدلًا من واو لجاز النطق بالأصل ولم يقله أحد، ويقولون: إشاح ووشاح، وإعاء ووعاء.

الثاني: لو كان كذلك لجمع على أولهة كأوعية وأوشحة، فترد الهمزة إلى أصلها ولم يجمع "إله" إلا على آلهة.

الثالث: لو كان كذلك لقيل في "تفعل منه" توله؛ لأن الواو فيه أصلية[3].

---

(١) من الآية: ٨٥ سورة آل عمرآن.

(٢) ينظر شرح التسهيل:١/ ١٧٧. ١٧٩.

(٣) ينظر هذا الرأي والردود عليه في تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج: ٢٥، وشرح الكافية الشافية:٤/ ٢٠٩١.

٢. أصل "فم"

قال ابن مالك:" ...بل الصحيح أن للفم ثلاث مواد: إحداها: فَ مَ ى، والثانية: ف م و، والثالثة: ف م م، ومادة: رابعة من ف وه، وكلها أصول متوافقة في المعنى، لا أن أصلها "فَوه" كما زعم الأكثرون؛ لأن ذلك مدَّعًى لا دليل عليه، مع ما فيه من الجمع بين البدل والمبدل منه في غير ضرورة، مع تصرف وتوسع، كما ثبت من اللغات المأثورة بالروايات المشهورة"(١).

المناقشة:

ذكر ابن مالك أنه لا دليل لمن قال: إن أصل فم: فوه، وهو مخالف للواقع؛ فقد استدلوا بالآتي:

أولًا: أن لهذا الأصل شبهًا في لغة العرب، فقد قالوا: بيت وأبيات، وسوط وأسواط، وهو معتل ثلاثي ساكن العين؛ فجمع على أفعال(٢).

ثانيًا: أن الْعَرَب قصرت استِعمَال "فَم" عِند إِفرَاده، واختارت رده إِلَى أَصله عِنْد إِضَافَته، فَقَالُوا عِند الإِضَافَة: نطق فوه، وَقبّل فَاه، وَأدخل إِصبعه فِي فِيهِ(٣).

---

(١) شرح التسهيل: ١/٤٨.

(٢) ينظر شرح الكتاب للسيرافي: ٤/ ٣٢، والبديع: ١/ ٢٧.

(٣) درة الغواص في أوهام الخواص للحريري: ٨٢.

ثالثًا: قَولهم فِي جمعهُ: أَفواهُ، وفي تصغيره: فويه؛ لِأَن الجمع والتصغير يردان الْأَشْيَاء إِلَى أُصُولهَا كَمَا قالوا في جمع ابن: بنون فتثبت الواو، وتقول في جمع فتى: فتيان وفتية، فعلم حينئذٍ أن ألفه هذه منقلبة عن ياء، وقَالُوا فِي تَصْغِير مَاء وشاه: مُوَيه، وشويهة فدل على أَن هَذِه الهمزَة مبدلة من الهَاء[1].

وقد ذهب ابن مالك إلى أن "فوه" ليست أصلًا لـ"فم"؛ مخالفًا بذلك النحويين واللغويين[2] قاطبة، الذين يرون صحة ذلك، قال سيبويه:" ...وأمَّا "فم" فقد ذهب من أصله حرفان؛ لأنه كان أصله "فوْهٌ"، فأبدلوا الميم مكان الواو، ليشبه الأسماء المفردة من كلامهم، فهذه الميم بمنزلة العين نحو: ميم "دمٍ"، ثبتت في الاسم في تصرفه في الجر والنصب، والإضافة والتثنية، فمن ترك "دمٌ" على حاله إذا أضاف، ترك "فمٌ" على حاله، ومن ردَّ إلى "دمٍ" اللام ردَّ إلى "فمٍ" العين فجعلها مكان اللام، كما جعلوا الميم مكان العين في "فمٍ" "[3].

(١) ينظر الأصول:٣/ ٢٧٣، وليس في كلام العرب لابن خالويه: ٢١٧، ودرة الغواص: ٨٢، وحاشية الصبان:١/ ١٢٨، والتصريح:١/ ٧٢.

(٢) ينظر المقتضب:١/ ٢٣٩، وسر الصناعة:٢/ ٨٩، وشرح المقدمة المحسبة لابن بابشاذ:١/ ١٢٠، وأبنية الأسماء والأفعال والمصادر لابن القطاع: ١٠٦، وشرح المفصل لابن يعيش:١/ ١٥٦، والممتع لابن عصفور: ٢٥٩.

(٣) الكتاب:٣/ ٣٦٥.

وإنما أُبدلت الميم من الواو؛ لأنّها تشابه حروف المدّ واللّين من حيث كانت تقع

وَصْلاً لحروف الرَّوِيّ في الشّعر ساكنة ومتحرّكة؛ فلذا جاز حذفها كما تحذف حروف العلّة وهي حروف المدّ، فلمّا أسقطت الهاء كان ينبغي أن يقع الإعراب على الواو، ولو تحرّكت وقبلها فتحة لانقلبت ألفًا، وإذا انقلبت ألفًا لحقها التّنوين فسقطت الألف؛ لالتقاء السّاكنين فقلت: "فًا" فبقي الاسم الظّاهر على حرف واحد، وهذا أقلّ ما يوجد في الأسماء الظّاهرة، فلمّا كان بقاء الواو يؤدّي إلى القلب والإسقاط، وهذا إجحاف وخروج عن الأمثلة والنّظائر، ووجدوا الميم توافق الواو في المخرج من الشّفتين، وتوافقها في الغنّة؛ فقلبوا من الواو ميمًا؛ لأنّها حرف صحيح يتحمّل حركات الإعراب، فقالوا: "هذا فمٌ"، و"رأيتُ فمًا"، و"عَجِبتُ من فمٍ"(١).

تعقيب:

يظهر أن ما رآه ابن مالك ضعيف، ودليله مردود؛ لأن النحويين قد ذكروا أنّ البدل يجتمع مع المُبْدَل ويحلُّ محلَّه، والميم هنا بدل من الواو، وليست عوضًا، والعِوَضُ لا يجتمع مع المعَوَّض ولا يحلّ محلّه، وإنّما يتأخّر عن مكان المعَوَّض ويتقدّم عليه، وكلّ بدل عوضٌ، وليس كلّ عوضٍ بدلًا، فلمّا كانت الميم بدلًا من الواو جاز أن يجمع بينهما في قول الفرزدق:

---

(١) ينظر المقتضب:٣/ ١٥٨، والتعليقة على كتاب سيبويه للفارسي:٣/ ١٩٣، وشرح التصريف للثمانيني: ٣٤٢، ٣٤٣، وشرح المفصل لابن يعيش:١/ ١٥٦.

هُمَا نَفَثا في فيَّ من فَمَوَيهما ... عَلى النّابحِ العَاوِي أشدَّ رجَامِ[1]

من حيث كانت بدلاً، لا عِوَضًا خالصًا[2].

وعلى ذلك فالراجح أن "فوه" أصل لـ"فم"؛ إذ لا توسع في ذلك ولا تصرف كما قال ابن مالك، وهو أشهر من كونه على إحدى المواد الآتية: فَ مَ ى، ف م و، ف م م، ف و هـ.

***

(١) البيت من بحر الطويل، وهو للشاعر في ديوانه:٢/ ٥٤١، برواية: "هما تفلا"، وتعليق الفرائد:١/ ٢٨٣، وبلا نسبة في المسائل العسكريات: ٩٣، والإنصاف:١/ ٢٨٢.

المفردات: نفثا: ألقيا على لساني، العاوي: النابح وأراد به من يتعرض للهجو والسب له من الشعراء، وأصله في الكلب، الرجام: مصدر راجمه بالحجارة، أي: راماه، والمعنى: أن إبليس وأعوانه أغوى الناس ومن هؤلاء الفرزدق.

(٢) ينظر شرح التصريف للثمانيني: ٣٤٦، واللباب للعكبري:٢/ ٣٢٩.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على النبي الأكرم، والرسول الأعظم، وعلى آله وأصحابه الأبرار الأطهار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد انتهت هذه الدراسة إلى عدة نتائج، أهمها:

أولًا: أن ابن مالك قد يقول بعدم الدليل، وهو موجود، وقد ظهر ذلك في عدة مسائل، منها:

١. ذكر ابن مالك أنه لا دليل على قول السيرافي: إن "عسى" حرف إذا اتصل بها ضمير نصب، وقد ذكر سيبويه الدليل، حيث قال:" ...وأما قولهم: عساك فـ "الكاف" منصوبة، قال الراجز، وهو رؤبة:

يا أَبَتَا عَلَّكَ أو عَساكَا

والدليل على أنها منصوبة أنك إذا عنيت نفسك كانت علامتُك بني"[١].

٢. ذكر ابن مالك أنه لا دليل على ما ذهب إليه الزمخشري من منع الفصل بين فعل التعجب ومعموله مطلقًا، ودليل المنع ذكره قدامى النحويين كالسيرافي الذي قال:" ... فاحتج الذين لم يجيزوه بأن قالوا: التعجب كالمثل، والألفاظ فيه مقصورة على منهاج واحد، وإن كان يجوز في غيره من العربية تغيير مثله، وتقديمه، وتأخيره، فلما جاء كالمثل . والأمثال لا تغير . لم يغير"[٢].

٣. وصف ابن مالك إعراب البصريين "إياك" في نحو قولنا: رأيتك إياك بدلًا بأنه تحكم بلا دليل، وقد ثبت لهم دليل على ما قالوا؛ فقد جاء عن

---

(١) ينظر المسألة رقم:٩.

(٢) ينظر المسألة رقم: ١٧.

العرب أنها إذا أرادت التوكيد أتت بالضمير المرفوع المنفصل فقالت: جئت أنت، ورأيتك أنت، ومررت بك أنت، فإذا أرادت البدل وفقت بين التابع والمتبوع فتقول: جئت أنت، ورأيتك إياك، ومررت به به، فيتحد لفظ التوكيد والبدل في الرفع(١).

٤ . وصف ابن مالك رأي الخليل، والكسائي أن "لن" مركبة بأنه لا دليل عليه، وتركيبها عندهم من حرفين "لا" النافية، و"أن" المصدرية، ثم حذفت الهمزة من "أن"، فالتقى ساكنان: الألف، والنون؛ فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فَصَارَت "لن"، وحدث بالتركيب معنى لم يكن قبل التركيب، واستقلت بما بعدها كلامًا.

وقد ذكروا دليلًا على ذَلِك، وهو قربها فِي اللَّفْظ من "لَا أَن"، وَوُجُود معنى "لَا" و"أَن" فِيهَا، وَهُوَ النَّفْي والتخليص للاستقبال(٢).

ثانيًا: أن ابن مالك حين يعجب برأي يرمي الرأي الآخر بأنه لا دليل عليه، رغم أنه مذهب جميع النحويين، فقد ذهب إلى أن "فوه" ليست أصلًا لـ"فم"؛ مخالفًا بذلك النحويين واللغويين قاطبة، الذين يرون صحة أن أصله: فوه ، وذكر أنه لا دليل لهم، وهو مخالف للواقع؛ فقد استدلوا بأن لهذا الأصل شبهًا في لغة العرب، فقد قالوا: بيت وأبيات، وسوط وأسواط، وهو معتل ثلاثي ساكن العين؛ فجمع على "أفعال"، وبأن الْعَرَب قصرت استِعمَال "فَم" عِند إِفرَاده، واختارت رده إِلَى أَصله عِنْد إِضَافَته، فَقَالُوا عِند الإِضَافَة: نطق فوه، وَقبّل فَاه، وَأدخل إصبعه فِي فِيهِ،

(١) ينظر المسألة رقم :٢١.

(٢) ينظر المسألة رقم :٢٢.

كما استدلوا بقَولهم فِي جمعهُ: أَفواهُ، وفي تصغيره: فويه؛ لِأَن الجمع والتصغير يردان الْأَشْيَاء إِلَى أُصُولهَا كَمَا قالوا في جمع ابن: بنون فتثبت الواو[1].

ثالثاً: أن بعض شراح التسهيل قد يوافقون ابن مالك في القول بعدم الدليل[2].

رابعًا: أن أبا حيان اهتم برد دعوى عدم الدليل؛ فقد ذكر ابن مالك أنه لا دليل لابن خروف على ما ذهب من أن عامل النصب في الظرف في قولك: زيد خلفك المبتدأ نفسه على مذهب ابن خروف، ورد أبو حيان ذلك، فقال: "وأما قوله: "مع عدم دليل" فليس كما ذكر، بل الدليل يدل عليه، فكما أعملنا المبتدأ في الخبر إذا كان إياه رفعًا، كذلك أعملناه فيه نصبًا، ومتى أمكن نسبة العمل إلى ملفوظ به كان أولى من المقدر، وقد أمكن ذلك بما ذكرناه[3].

خامسًا: أن ابن مالك كثيرًا ما ينفي الدليل لعدم وجوده فعلًا، أو لوجوده مع ضعفه، أو رده بأدلة.

وآخر دعوانا بتوفيق ربنا أن الحمد لله الذي وحده علا

---

(١) ينظر المسألة رقم :٢٥.

(٢) ينظر المسألة رقم :٦.

(٣) ينظر المسألة رقم : ٨ ،٢٣.

ثبت المصادر

١. أبنية الأسماء والأفعال والمصادر لابن القَطَّاع الصقلي ت د. أحمد محمد عبد الدايم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٩٩٩م.

٢. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للبناء الدمياطي، ت أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٣. ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان، ت د. رجب عثمان محمد، مطبعة المدني بالقاهرة، ط الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٤. أسرار العربية للأنباري، ت بركات هبّود، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط الأولى، ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م.

٥. اشتقاق أسماء الله للزجاجي، ت د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٦. الأصول في النحو لابن السراج، ت د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٧. إعراب القرآن للنحاس، ت د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٨. الاقتراح في أصول النحو وجدله للسيوطي، ت د. محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٩، ١٩٨٩ م.

٩. أمالي ابن الشجري، ت د. محمود محمد الطناحي، مطبعة المدني بالقاهرة، ط الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٠. الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

١١. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، ت الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط الخامسة، ١٩٧٩م.

١٢. إيضاح شواهد الإيضاح للحسن بن عبد الله القيسي، ت د. محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٣. الإيضاح العضدي للفارسيّ، ت د. حسن شاذلي فرهود، ط ١، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.
١٤. البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، ت صدقي محمد معروف، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م.
١٥. البديع في علم العربية لابن الأثير، ت د. فتحي أحمد على الدين، د. صالح حسين العايد، مطبوعات جامعة أم القرى بالسعودية، ١٤٢٠هـ.
١٦. التبصرة والتذكرة لأبي إسحاق الصيمري، ت د. فتحي أحمد مصطفى على الدين، دار الفكر دمشق، ط ١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
١٧. التبيان في إعراب القرآن للعكبري، ت محمد علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
١٨. التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين للعكبري، ت د. عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
١٩. تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام، ت د. عباس مصطفى الصالحي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦ هـ،١٩٨٦ م.
٢٠. تذكرة النحاة لأبى حيان، ت د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.
٢١. التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبى حيان، ت د. حسن هنداوي، دار القلم دمشق، ط الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
٢٢. التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
٢٣. تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، ت أحمد يوسف الدقاق، الناشر دار الثقافة العربية.
٢٤. تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد للدماميني، ت د. عبد الرحمن المفدى، بيروت، ط ١ ،١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٢٥. تمهيد القواعد لناظر الجيش، ت د. علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط الأولى، ٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
٢٦. تهذيب اللغة للأزهري، ت محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.
٢٧. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، ت د. عبد الرحمن على سليمان، دار الفكر العربي، ط الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.
٢٨. جامع البيان في القراءات السبع للداني، جامعة الشارقة، الإمارات، ط الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧ م.
٢٩. جمهرة اللغة لابن دريد، ت رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
٣٠. الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، ت د. فخر الدين قباوة، والأستاذ: محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى،١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
٣١. حاشية الخُضَرِيّ على شرح ابن عقيل، دار إحياء الكتب العربية.
٣٢. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، ت الأستاذ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الأولى، ١٤٠١هـ،١٩٨١م.
٣٣. الخصائص لابن جنى، ت الأستاذ محمد على النجار، القاهرة، ١٩٥٢م.
٣٤. درة الغواص في أوهام الخواص للحريري، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ هـ.
٣٥. الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر المستعصمي، ت د. كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥م.
٣٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، ت د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ١٤٠٦هـ.
٣٧. ديوان أبى النجم العجلي . ت د. محمد أديب عبد الواحد . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط ١ . ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٣٨. ديوان رؤبة بن العجاج، ضمن مجموعة أشعار العرب، ت وليم بن الورد البروسي، ١٤٠٠ هـ، ١٩٩٠ م.
٣٩. ديوان الفرزدق، ت إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٨٣م.
٤٠. رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، ت أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
٤١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي، ت علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٢. سر صناعة الإعراب لابن جني، ت د. حسن هنداوي، دار العلم دمشق، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٤٣. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية، لبنان، ط الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٤٤. شرح الألفية لابن عقيل، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط العشرون، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
٤٥. شرح التسهيل لابن مالك، ت د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر، مصر، ط الأولى، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.
٤٦. شرح التسهيل للمرادي، ت د ناصر حسين علي، دار سعد الدين بدمشق، ط ١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.
٤٧. شرح التصريف للثمانيني، ت د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، ط الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
٤٨. شرح الجمل لابن خروف، ت د سلوى محمد عمر، معهد البحوث العلمية بأم القرى، ط أولى، ١٤١٩ هـ.
٤٩. شرح جمل الزجاجي لابن عصفور، ت د. صاحب أبو جناح، إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف العراقية.
٥٠. شرح الرضي على الكافية، ت يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٥١. شرح السيرافي على كتاب سيبويه، ت محمد حسين مهدلي، على سيد على، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
٥٢. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام، ت عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق، ط الأولى، ١٩٨٤م
٥٣. شرح شواهد المغني للسيوطي، تصحيح الشيخ محمد محمود الشنقيطي، منشورات دار الحياة، بيروت.
٥٤. شرح شواهد الإيضاح لابن بري، ت عيد مصطفى درويش، د. محمد مهدى علام، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٤٠٥ هـ،١٩٨٥ م.
٥٥. شرح عمدة الحافظ وعدة الحافظ لابن مالك، ت عدنان عبد الرحمن الدوري، وزارة الأوقاف، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ، ٩٧٧١م.
٥٦. شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٢م.
٥٧. شرح الكافية الشافية لابن مالك، ت د. عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث بدمشق، ط الأولى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.
٥٨. شرح المفصل لابن يعيش، ت د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١م.
٥٩. شرح المقدمة المحسبة لابن بابشاذ، ت خالد عبد الكريم، المطبعة العصرية، الكويت، ط ١، ١٩٧٧م.
٦٠. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ت محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى، ١٤٢٠ هـ، ٢٠٠٠م.
٦١. الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، ت السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي.
٦٢. صحيح البخاري، ت د. مصطفي أديب البغا، طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٦٣. الفرق لابن أبي ثابت اللغوي، ت حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م.

٦٤. الفرق للسجستاني، ت حاتم صالح الضامن، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٣٧، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.
٦٥. الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها للهذلي، ت جمال بن السيد بن رفاعي، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، ط الأولى، ٢٠٠٧ م.
٦٦. الكامل في اللغة والأدب للمبرد، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط الثالثة، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٧ م.
٦٧. كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري . ت محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الفكر، ط ١، ١٩٨٨م.
٦٨. كتاب سيبويه، ت الأستاذ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الثانية، ١٩٧٧م.
٦٩. كتاب الشعر للفارسي أو شرح أبيات المشكلة للفارسي، ت د. محمود محمد الطناحي، مطبعة المدني بالقاهرة، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م
٧٠. كتاب اللامات للزجاجي، ت د. مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط ٢ ١٩٨٥م.
٧١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، ت عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
٧٢. كتاب العين للخليل بن أحمد، ت د. مهدى المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر بالعراق.
٧٣. كتاب منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك لأبى حيان، ت محمد يعقوب تركستاني، نيوهافهن، أمريكا، ١٩٤٧ م.
٧٤. الكناش في فني النحو والصرف لأبي الفداء، ت د. رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠ م.
٧٥. اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري، ت غازي طليمات، عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.
٧٦. لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط الثالثة، ١٤١٤هـ.

٧٧. اللمحة في شرح الملحة لابن الصائغ، ت إبراهيم بن سالم الصاعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط الأولى، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٤م.
٧٨. ليس في كلام العرب لابن خالويه، ت أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢، مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٧٩. المبسوط في القراءات العشر لابن مهران النيسابوري، ت سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية بدمشق.
٨٠. مجالس ثعلب، ت الأستاذ عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٤٠٠هـ،١٩٨٠ م.
٨١. مجمع الأمثال للميداني، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
٨٢. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
٨٣. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جِنّي، ت على النجدي ناصف وآخرين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ١٣٨٦هـ.
٨٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ت عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط الأولى، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٨٥. المرتجل شرح الجمل لابن الخشاب، ت على حيدر، دمشق، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
٨٦. المسائل البصريات للفارسي، ت د. محمد الشاطر أحمد محمد أحمد، مطبعة المدني، ط ١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥هـ.
٨٧. المسائل العسكريات للفارسي، ت د. علي جابر المنصوري، دار الثقافة، عمان، ٢٠٠٢ م.
٨٨. المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل، ت د. محمد كامل بركات، مطبوعات جامعة أم القرى بالسعودية، ١٤٢٠هـ،٢٠٠١م.
٨٩. مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي، ت د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٥م.

٩٠. معاني القرآن للأخفش، ت د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
٩١. معاني القرآن للفراء، ت أحمد يوسف نجاتي وآخرين، دار السرور، بيروت.
٩٢. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ت د. عبد الجليل عبده شلبي، المكتبة العصرية، بيروت.
٩٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، ت د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط السادسة، ١٩٨٥م.
٩٤. المفصل في صنعة الإعراب للزمخشري، ت د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٣م.
٩٥. المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي، ت د. عبدالرحمن العثيمين وآخرين، مطبعة جامعة أم القرى، ١٤٢٨هـ.
٩٦. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية للعيني، ت د. علي فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة، ط الأولى، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م.
٩٧. المقتضب للمبرد، ت الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ط الثانية، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٩٨. الملخّص في ضبط قوانين العربية، لابن أبي الرّبيع، ت د عليّ بن سلطان الحكمي، ط الأولى، ١٤٠٥هـ.
٩٩. الممتع الكبير في التصريف لابن عصفور، ت د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط الأولى، ١٩٩٦م.
١٠٠. موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب للشيخ خالد الأزهري، ت د عبد الكريم مجاهد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٦م.
١٠١. موصل النبيل إلى نحو شرح التسهيل للشيخ خالد الأزهري، ت ثريا عبد السميع لإسماعيل، كلية اللغة العربية بأم القرى، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٨ م.
١٠٢. النحو الوافي لعباس حسن، دار المعارف، ط الخامسة عشرة.

١٠٣. النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ت الشيخ محمد على الضباع، المكتبة التجارية بمصر، بدون تاريخ.
١٠٤. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ت طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
١٠٥. النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، ت. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، مصر، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
١٠٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي، ت د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

***

بنية الفعل الثلاثي اللازم وعلاقتها بالمشتقات الوصفية
دراسة تحليلية دلالية

د. أسماء بنت علي الموزان
قسم اللغة العربية– كلية التربية
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

بنية الفعل الثلاثي اللازم وعلاقتها بالمشتقات الوصفية
دراسة تحليلية دلالية

د. أسماء بنت علي الموزان

قسم اللغة العربية– كلية التربية
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز

تاريخ تقديم البحث: ١٨/ ٨/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٦/ ٤/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

للفعل اللازم في العربية أبنية خاصة يعرف بها، ولهذه الأبنية علاقة بالمشتقات الوصفية؛ كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، ويتناول البحث "بنية الفعل الثلاثي اللازم وعلاقتها بالمشتقات الوصفية" بدراسة تحليلية دلالية، ويهدف إلى الوقوف على الخصوصية التي تتميز بها أبنيته؛ من حيث التكوين الصوتي، والدلالات الصرفية، ومن ذلك أن (يَفْعُل) بضم العين هو الأصل في مضارع الفعل اللازم (فَعُلَ)، وتناسقهما على عين مضمومة في الماضي والمضارع دليل على خصوصية (فَعُلَ) ووقفه على اللازم، وأن الفعل اللازم يُمنع بناؤه للمفعول إلا في حالات محدودة، بسبب العلاقة الإجبارية التي تربط بين الفعل اللازم وفاعله، كما يهدف إلى دراسة علاقة التداخل والتركُّب بين أبنية المشتقات الوصفية من الفعل اللازم في أبواب الثلاثي المجرد، واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي، وكان من نتائجها أن هذا التداخل نِتاجُ ما سمعه العربي من العربي، أو التقارب في المعاني، أو المبالغة فيها، أو لإرادة التفريق بين أبواب اللازم من الثلاثي المجرد.

الكلمات المفتاحية: الفعل اللازم– الأبنية– الخصوصية– التكوين الصوتي–الدلالة الصرفية– المشتقات الوصفية.

The Morphology of The Intransitive Triple Verb In Arabic and its Relationship to Descriptive Derivatives Semantic Analytical Study

Dr Asma'a bint Ali Al-Mozan
Department of Arabic Language - Faculty College of Education in Al-Kharj
Prince Sattam bin Abdulaziz university

Abstract:

The intransitive verb in the Arabic language has special morphologies by which it is known. These morphologies have a relationship with descriptive derivatives such as the noun of the subject, the noun of the object, and the simile adjective.

This research addresses "the morphology of the intransitive triple verb in Arabic and its relationship to descriptive derivatives" with a semantic analytical study. This research aims at identifying the specificity that characterizes the morphologies of the intransitive verb in terms of its phonetic composition and morphological connotations, such as (Yaf'aul) with Dhamah [Arabic short vowel 'u'] on letter Aine ('a), which is originally the present verb for the past verb (Fa'aul) also with Dhamah on letter Aine ('a). This phonetic harmony between them in terms of the presence of Dhamah on Aine letter is evidence of the specificity of (Fa'aul) and limiting. It is an intransitive verb. The Arabic intransitive verb should not be an objective, passive voice mode, except in limited cases. Because of the obligatory relationship between the Arabic intransitive verb and its subject. It also aims at studying the overlap and superposition relationship between morphologies of descriptive derivatives from the chapters of the Arabic intransitive abstract triple verb. The study relied on the descriptive analytical method. Among its results were that this overlap is the result of what the Arabs heard from each other, or because of the similarity or exaggeration in meanings, or because of the desire to differentiate between the chapters of the intransitive abstract triple verb.

key words: transitive verb, structures, privacy, phoneme, semantic morphology, descriptive derivatives.

المقدمة:

موضوع البحث وأهميته:

من مظاهر تصريف الفعل تقسيمه إلى لازم ومتعدٍّ، وهو تقسيم روعِي فيه الجانب الوظيفي للفعل على مستوى الجملة الفعلية، وللفعل اللازم أبنية تَتَبَّعَهَا العلماء، وحصروها في مصادر النحو والصرف، وقد أُطلِقَ عليه مصطلحات متعددة؛ فهو اللازم، والقاصر، وغير المتعدي، وغير الواقع، وغير المجاوِز[1]، والملاحظ أنها كلها مصطلحات مرتبطة بالوظيفة التركيبية للفعل، وتتفق مع مفهومه النحوي، وطبيعة عمله في الجملة، ولعل في هذه المصطلحات إشارة دلالية إلى ركائز أساسية، لعلاقة الفعل بمكونات الجملة الفعلية، ومن خلالها تظهر القيمة الدلالية لأبنية الفعل اللازم، والغاية اللغوية من استخدامها، تقف هذه الدراسة على هذه الأبنية لما تمتاز به أبنية الفعل اللازم من خصوصية في التكوين الصوتي والدلالة الصرفية.

أهداف البحث:

١. تحليل الخصائص الصوتية لأبنية الفعل اللازم، ودلالاتها الصرفية، التي يظهر انسجامها مع التكوين الصوتي لهذه الأبنية.

٢. الكشف عن العلاقة الصوتية التي تربط بين الماضي الثلاثي اللازم والمضارع منه.

---

(١) انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، ١/ ٤٣٩، جامع الدروس العربية، ٣٤.

٣. إبراز أثر البناء الصوتي في إمكان صياغة المبني للمفعول من الفعل الثلاثي اللازم.

٤. الكشف عن الأسباب التي تحكم علاقة التداخل والتركُّب بين أبنية الفعل اللازم في أبواب الثلاثي المجرد والمشتقات الوصفية، كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة؛ لأن أبنية الفعل اللازم تؤثر في التنوع البنيوي للمشتقات الوصفية، وعلاقتها بالمشتقات الوصفية متفاوتة من حيث الكثرة والقلة.

لذا جاءت هذه الدراسة بعنوان: "بنية الفعل الثلاثي اللازم وعلاقتها بالمشتقات الوصفية، دراسة تحليلية دلالية".

الدراسات السابقة:

سبق البحث ببعض الدراسات التي تناولت الفعل اللازم، ومنها:

١. دراسة "الفعل اللازم وما يلازمه من حروف الخفض في القرآن الكريم: دراسة نحوية تطبيقية"، نعيم أحمد نعيم عبد الرحمن، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة النيلين، السودان، الخرطوم، ٢٠٠٠م.

٢. دراسة "الخصال التي تعدي الفعل اللازم"، فائزة بنت عمر بن علي المؤيد، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مج٤، ع١، ٢٠٠٢م.

٣. دراسة "جدلية الفعل المتعدي واللازم"، يوسف سليمان عليان، إربد للبحوث والدراسات، جامعة إربد الأهلية، الأردن، مج١٤، ع٢، ٢٠١١م.

٤. دراسة "تعدي الأفعال ولزومها في القرآن الكريم وأثر ذلك على المعنى"، محمد السيد رزق حسانين، مجلة كلية الآداب، كلية الآداب، جامعة الفيوم، مصر، ع١١، ٢٠١٥م.

وقد كان التركيز في الدراسات السابقة منصبًّا على تعدية الفعل اللازم، والتفريق بينه وبين الفعل المتعدي، وقد شابهت هذه الدراسة تلك الدراسات بعرض أبنية الفعل اللازم ومعانيها، إلا أن الدراسة الحالية تمتاز باهتمامها بتحليل أبنية الفعل اللازم؛ من حيث التكوين الصوتي والدلالة الصرفية، للوقوف على خصوصية أبنية اللازم من هذين الجانبين.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي.

تبويب البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع أن يقوم البحث على مقدمة، احتوت على موضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، والدراسات السابقة وما أضافته هذه الدراسة عليها، ومنهجه، وتلا المقدمة تمهيد عرض البحث فيه بإيجازٍ مفهوم الفعل اللازم، ثمَّ الدراسة في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التكوين الصوتي والدلالة الصرفية لأبنية الفعل اللازم، وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: أبنية الفعل اللازم ودلالاتها، والمطلب الثاني: تحليل أوجه العلاقة بين الخصائص الصوتية والدلالية لأبنية الفعل اللازم.

المبحث الثاني: تأثير المكونات الصوتية لبنية الفعل الثلاثي اللازم في صياغة مضارعه وبنائِه للمفعول، وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: صياغة الفعل

المضارع من الفعل الثلاثي اللازم، والمطلب الثاني: بناء الفعل الثلاثي اللازم للمفعول.

المبحث الثالث: العلاقة بين أبنية المشتقات الوصفية وأبنية الفعل اللازم في أبواب الثلاثي المجرد، وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: التداخل بين أبنية المشتقات الوصفية من أبواب الفعل الثلاثي اللازم، والمطلب الثاني: صياغة المشتقات الوصفية من الفعل الثلاثي اللازم بين القلة والكثرة.

ثم الخاتمة، وفيها أهم ما خلصت إليه الدراسة، ثم مصادر البحث ومراجعه.

***

التمهيد: مفهوم الفعل اللازم:

الفعل اللازم: "هو ما لا مفعول له أصلًا: لا بنفسه, ولا بحرف جر"(١).

وعُرِّفَ الفعل اللازم بأنه: "ما لا ينصب المفعول به كقَامَ وقَعَدَ، ويكثر في باب فَعُلَ وفَعِلَ، وفي الفعل المطاوع كشَرُفَ وظَرُفَ وفَرِحَ وحَزِنَ وانْصَرَفَ واجْتَمَعَ"(2).

واللازم: ما تخصص بالفاعل، فلزمه ولم يتجاوزه(3).

وعُرِّفَ بأنه: "ما لا يصح أن يتّصل به "هاء ضمير" لغير المصدر، أو مالا يصح صوغ اسم مفعول تام منه" (4).

وعُرِّفَ بأنه: "ما لا يتعدى أثره فاعله، ولا يتجاوزه إلى المفعول به، بل يبقى في نفس فاعله، مثل "ذَهَبَ سعيدٌ، وسَافَرَ خَالِدٌ، وهو يحتاج إلى الفاعل، ولا يحتاج إلى المفعول به، لأنه لا يخرج من نفس فاعله فيحتاج إلى مفعول به يقع عليه"(5).

---

(١) شرح كتاب الحدود في النحو، الفاكهي، ١٧٤.

(2) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب والنحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد السرَّاج، ٢٨.

(3) انظر: المفتاح في الصرف، عبد القاهر الجرجاني، ٥٦، المفصل في علم العربية، الزمخشري، ٢٥٧.

(4) إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ابن قيم الجوزية، ٣٣٩/١.

(5) جامع الدروس العربية، الغلاييني، ٣٤.

وقد فرّق المؤدب (ت: بعد سنة ٣٣٨هـ) بين نوعين أحدهما اللازم، والآخر الموصول، ويقصد بالموصول الذي لا يقال منه مفعول إلا بوجود الصلة[١]، وهي حرف الجر الذي يصل بينه وبين الاسم الذي يكون مفعولًا معنويًّا له؛ نحو: صَفَحَ عنه، فاسم الفاعل صَافِح، واسم المفعول مصفُوح عنه، وغَضِبَ عليهم، فهو غاضِب، وهم مَغْضُوب عليهم.

ومن خلال ما سبق يتضح أن الفعل اللازم هو: ما لا ينصب المفعول به.

***

(١) دقائق التصريف، المؤدب، ١٥٣.

المبحث الأول: التكوين الصوتي والدلالة الصرفية لأبنية الفعل اللازم:

ذُكِرَتْ في كتب اللغويين أبنية مخصوصة بالفعل اللازم، تحمل دلالات معينة تنفرد بها؛ ولإبراز العلاقة بين هذه الأبنية ودلالاتها، اهتم البحث بتحليل الخصائص الصوتية لها، وبيان دلالاتها الصرفية المختلفة، وقد حصر العلماء هذه الأبنية والدلالات الخاصة بالفعل اللازم من خلال التتبع والاستقراء، وليس هناك دليل على أنهم حصروا الفعل اللازم في هذه الأبنية والدلالات؛ بل إنهم يرونها "الغالبة، وما يمكن ضبطه، وقد يجيء كل واحد منها لمعانٍ أُخر كثيرة لا تضبط"(١).

المطلب الأول: أبنية الفعل اللازم ودلالاتها:

١. فَعَّل اللازم، كقولهم: سَبَّحْتُ وهَلَّلْتُ، إذا كانتا حكاية لاختصار الجمل، للدلالة على تكرير الفعل، أَفَّفْتُ بِه، للدلالة على قول الفعل؛ أي: قلتُ له أُفٍّ، وقَيَّح الجرحُ: بمعنى صار أصله القَيْح، ورَوَّضَ المكان: بمعنى الصيرورة، وشَرَّقَ وغَرَّبَ وكَوَّف: للدلالة على التوجه إلى الشيء، وصَبَّحَ ومَسَّى: بمعنى عَمَل شيءٍ في الوقت المشتق منه(٢).

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الأستراباذي، ١/ ١١٣.

(٢) انظر معاني (فَعَّلَ) اللازم في: الكتاب، سيبويه، ١/ ٤٢٠، ٤/ ١٧٠، المنصف، ابن جني، ١١١، الخصائص، ابن جني، ٢/ ١٥٧، شرح شافية ابن الحاجب، الأستراباذي، ١/ ٩٥، شرح التسهيل، ابن مالك، ٣/ ٤٥١، حاشية الصبَّان على شرح الأشموني، الصبَّان، ٤/ ٣٤٣، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، ٢٧٧.

٢. أَفْعَلَ اللازم، في نحو: أَصْرَمَ النَّخلُ، وأَجَزَّ، وأَحْصَدَ الزَّرْعُ: للدلالة على استحقاقه أن تفعل به هذه الأشياء، وأَجْرَبَ الرَّجُلُ، وأَحَالَ، وأَنْحَزَ: بمعنى صار صاحب جربٍ وحيالٍ ونحازٍ في ماله، وأَكْدَى وأَنْجَدَ: للدلالة على الدخول في المكان؛ أي: وصل إلى الكُدْيَة، أو إلى نَجْد، وأَعْشَرَ وأَتْسَعَ: للوصول إلى العدد، وأَسْرَعَ وأَبْطَأَ: بمعنى عَجِلَ واحْتَبَسَ؛ للدلالة على ما ليس بطبع غريزيّ؛ قال سيبويه (ت: ١٨٠هـ) في باب "افتراق فَعَلْت وأَفْعَلْت في الفعل للمعنى": "وأَسْرَعَ : عَجِلَ، وأَبْطَأَ: احْتَبَسَ، وأما سَرُعَ وبَطُؤَ فكأنهما غريزة كقولك: خَفَّ وثَقُلَ، ولا تعديهما إلى شيء، كما تقول: طَوَّلْتُ الأمْرَ وعَجَّلْتُه"[1]. والحاصل أن (سَرُعَ وبَطُؤَ) فعلان مساويان لأَسْرَعَ وأَبْطَأَ -على زنة أَفْعَلَ- في أنها أفعال لازمة، وإن كان هناك اختلاف بينها من جهة أن الفعلين (سَرُعَ وبَطُؤَ): (فَعُلَ) من أفعال الطبائع الفطرية، أما أسْرَعَ وأَبْطَأَ: (أَفْعَلَ)؛ فليسا بطبع غريزي، ولا يتعدى أَسْرَعَ وأبْطَأَ كما يتعدى طَوَّلْتُ الأمرَ وعَجَّلْتُه[٢].

---

(1) الكتاب، ١٦٨/٤.

(٢) ينظر: شرح كتاب سيبويه، السيرافي، ٤/ ٤٣٦، وانظر معاني بناء (أَفْعَلَ) اللازم في: الكتاب، ٤/ ١٧٢، شرح كتاب سيبويه، السيرافي، ٤/ ٤٣٩، شرح شافية ابن الحاجب، الأستراباذي، ٩٠/١.

٣. فَاعَلَ اللازم: ويكون للدلالة على معنى (فَعَلَ) الثلاثي، أي: بمعنى نسبة فَعَلَ إلى فَاعِلٍ لا غير، نحو: سَافَرَ، بمعنى نسبة السفر إلى مُسَافِر، وليس للفظ (سَافَرَ) فعل ثلاثي بمعناه، فلا يقال: سَفَرَ(١).

٤. تَفَاعَلَ اللازم: نحو تَضَارَبَ وتَرَامَى؛ للدلالة على المشاركة، ونَاوَلْتُهُ فَتَنَاوَلَ؛ لمطاوعة (فَاعَلَ)، وتَغَافَلْتُ، وتَعَامَيْتُ، وتَعَايَيْتُ، وتَعَارَجْتُ؛ بمعنى التَّظَاهُر بالفعل مع انتفائه عنه(2).

٥. تَفَعَّل: نحو تَشَجَّعَ، وتَبَصَّرَ، وتَحَلَّمَ؛ للدلالة على التكلف، وقَطَّعْتُهُ فَتَقَطَّعَ، وكسَّرْتُهُ فَتَكَسَّرَ؛ لمطاوعة (فَعَّلَ)، وتَقَيَّسَ وتَنَزَّرَ؛ للانتساب، وتَحَوَّبَ وتَأَثَّمَ وتَحَرَّجَ؛ للدلالة على التَّجَنُّب(3).

٦. اسْتَفْعَلَ: في مثل اسْتَنْوَقَ الجَمَلُ، واسْتَحْجَرَ الطِّينُ؛ للصيرورة، واسْتَعْظَمَ، واسْتَكْبَرَ؛ وهي هنا داخلة على معنى (تَفَعَّلَ) للتكلُّف، واسْتَرْقَعَ الثَّوْبُ،

---

(١) ينظر: الكتاب، ٤/ ١٨٠، الإيضاح في شرح المفصل، ٢/ ١٢١.

(2) انظر معاني (تَفَاعَلَ) اللازم في: الكتاب، ١٨١/٤، المقتضب، المبرد، ١/ ١١٦، الشافية في علم التصريف، ابن الحاجب، ١٨، أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ٢٧٨.

(3) انظر معاني (تَفَعَّلَ) اللازم في: الكتاب، ١٨٣/٤-١٨٤، المقتضب، ١/ ١١٦، المفصل في علم العربية، ٢٧٩.

واسْتَحْفَرَ النَّهْرُ؛ بمعنى الحَيْنُونةِ والبُلُوغ، واسْتَرْجَعَ عندَ المصِيبَةِ؛ لاختصار الحكاية[1].

٧. افْتَعَلَ: نحو شَوَيتُهُ فَاشْتَوَى، وحَبَسْتُهُ فَاحْتَبَسَ؛ مطاوعةً لِفَعَلَ، وافْتَقَرَ واشْتَدَّ؛ للاستغناء به عن (فَعَلَ)، واقْتَتَلُوا، واصْطَلَحَ القَوْمُ واحْتَصَمُوا؛ للدلالة على المشاركة، وادَّخَلُوا واتَّلَجُوا؛ بمعنى تَفَعَّلَ[2].

٨. افْعَوْعَلَ: نحو: احْلَوْلَى الشَّيءُ؛ للدلالة على الصيرورة، ويدل على المبالغة والتوكيد: قال سيبويه: "هذا باب افْعَوْعَلْتُ وما هو على مثاله مما لم نذكره قالوا: خَشُنَ، وقالوا: اخْشَوْشَنَ. وسألت الخليل فقال: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد، كما أنه إذا قال: اعْشَوْشَبَت الأرضُ فإنما يريد أن يجعل ذلك كثيرًا عامًّا، قد بالغ"[3].

---

(1) انظر معاني (اسْتَفْعَلَ) اللازم في: الكتاب، ٤/١٨٣-١٨٤، المنصف، ١٠١، الكُنَّاش في النحو والتصريف، صاحب حماة، ٢/٧١، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ٢/ ١٤١.

(2) انظر معاني (افْتَعَلَ) في: الكتاب، ٤/ ١٧٧، ١٨٦، الأصول في النحو، ابن السراج، ٣/ ١٢٦، المنصف، ٩٨، فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، ٤٠٩، الكُنَّاش في النحو والتصريف، ٢/ ٧٠.

(3) الكتاب، ٤/١٨٨، وانظر أيضًا معاني افْعَوْعَلَ في: دقائق التصريف، ١٨١، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ٤/ ٣٤٤.

المطلب الثاني: تحليل أوجه العلاقة بين الخصائص الصوتية والدلالية لأبنية الفعل اللازم:

إن إدخال بعض اللواصق التصريفية على البنية الأساسية للفعل أسهم في تعدد أبنية الفعل اللازم من غير الثلاثي المجرد، وتنقلها به بين العديد من المعاني؛ وكذلك ارتباط بعضها بمعنى المطاوعة(١)؛ التي يتحول فيها المفعول به إلى الفاعل، عند نقل الفعل إلى صيغ المطاوعة، التي يُدلُّ بها على قبول المفعول به أثر الفعل المتعدي واستجابته له، فيأخذ دور الفاعل كناية عن مطاوعته، ويظهر التأثير الذي تحدثه صيغ المطاوعة، عندما تتسبب في جعل الفعل المتعدي لازمًا؛ بإضعاف أثر الفعل المطَاوَع، إذ يصبح بعد نقله إلى هذه الصيغ متخلفًا عن الوقوع على المفعول به، ويقوي هذا أنه إذا انتفت المطاوَعَة تَعَدَّى الفعل، وهنا يظهر تأثير تلك اللواصق، التي تتنوع بإدخالها أبنيةُ الفعل اللازم الدالة على المطاوَعة؛ بإحداث تحولات داخلية على مستوى الوظيفة النحوية، حين يصير المفعول به فاعلًا.

كما أن دلالة الفعل داخل السياق اللغوي لها تأثير في تحديد عمله بين اللزوم والتعدي؛ إذ إن بعض الأبنية يشترك فيها اللازم والمتعدي، والفيصل

---

(١) معنى المطاوعة خاص في هذه الدراسة بالفعل المطاوِع لفعل متعدٍّ لواحد؛ أما مصطلح المطاوعة فهو غير خاص باللازم، فقد يكون المطاوِع متعديًا لواحد إن طاوع متعديًا لاثنين؛ نحو: عَلَّمْتُهُ الحِسَابَ فَتَعَلَّمَهُ، انظر: شرح التصريح على التوضيح، الأزهري، ١/ ٤٦٥.

بينهما هو المعنى؛ لذا لا يكفي في تحديد اللازم والمتعدي الاعتمادُ على بنية الفعل الصرفية مجردة عن دلالته السياقية، وتظهر في بعض الأمثلة السابقة إشارات من بعض العلماء إلى التوافق الدلالي بين بعض أبنية الفعل اللازم؛ مثل الإشارة إلى التوافق بين صيغتي (اسْتَفْعَلَ) و(تَفَعَّل)[1]؛ وذلك بدخول اسْتَفْعَلَ على معنى تَفَعَّلَ (تَكَبَّرَ واسْتَكْبَرَ)، واشتراكهما في الدلالة على التكلف، على الرغم من اختلاف الوحدات الصرفية الزائدة المتوزعة على الأصل فيهما (الهمزة والسين والتاء في اسْتَفْعَلَ، والتاء والتضعيف في تَفَعَّل)، إنَّ هذه المكونات الزائدة تعدُّ سبيلًا للمخالفة بين الصيغتين في الدلالة الصرفية، وهذه الزوائد أو الوحدات الصرفية —سوابقَ كانت أو حشوًا أو عجُزًا– مقيَّدة على المستوى الدلالي بالانضمام إلى الوحدات الصرفية حُرَّة الدلالة، فلعل المقصود بالتوافق الاشتراك في الدلالة العامة، وهذا يسير على كل ما أشير إلى أنه بمعنى بناء آخر من الأوزان السابقة، ويؤَكِّدُ أهمية الربط بين بنية الفعل ودلالته عند تصنيفه إلى اللازم أو المتعدي، وأن الفعل اللازم له العديد من الأبنية، التي تتدخل الوحدات الصرفية الزائدة في التمييز بين دلالاتها العامة.

إلى جانب ذلك؛ نجد (فَعُلَ وأَفْعَلَ نحو: سَرُعَ وأَسْرَعَ) اللازمين؛ يشتركان في الدلالة العامة على الحَدَث والزَّمن، لكن زيادة الهمزة أحدثت نوعًا من

(١) ينظر: الكتاب، ٤/ ١٨٤، الشافية، ١٨.

المفارقة، في الدلالة الصرفية لكل من البنيتين، بنقل الصيغة من فَعُلَ إلى أَفْعَلَ؛ فالأصل (فَعُلَ) يدل على: قيام الفاعل بالفعل دون تكلف أو طلب؛ لذا تدل أفعال هذه البنية على الطبائع الغريزية، أما (أَفْعَلَ) فقد أكسبته الهمزة الزائدة في أول الفعل معنى تكلف الفاعل في القيام بالفعل؛ ولعل تأثيرها هذا يرتبط بمخرجها الصوتي وصفاتها الصوتية؛ قال الأستراباذي (٦٨٦هـ): "ثم اعلم أن الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق ولها نبرة كريهة تجري مجرى التَّهَوُّع ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها ..."[(١)]؛ لذا فإن (سَرُعَ وبَطُؤَ) أبلغ لأنهما كأنهما غريزة كَصَغُرَ وَكَبُرَ[(٢)].

كما أن للفعل اللازم معانيَ وأبنية خاصة، أصبحت كالقواعد المطردة، يسترشد بها لمعرفة الفعل اللازم، فمن المعاني التي يُدَلُّ بها على الفعل اللازم[(٣)]:

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب، الأستراباذي، ٣/ ٣١.

(٢) انظر: شرح شافية ابن الحاجب، الأستراباذي، ١/ ٨٧.

(٣) ينظر: الشافية في علم التصريف، ١٧، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ١٧٨، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي، ٢/ ٦٢١، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام، ٢/ ١٥٧-١٥٨، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، ٥٩٦-٥٩٧، إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ٣٤٠/١، شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، ابن عصفور، ٣٠٥/١، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، الشاطبي، ١٣٥/٣، شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف، المكودي، ١٠٦،

١. أن يكون الفعل دالًّا على سجية: وهو ما دل على معنى قائم بالفاعل، لازم له، مثل: شَجُعَ، وجَبُنَ، وحَسُنَ، وقَبُحَ، وطَالَ، وهو على أصله من (طَوُلَ) غير محوَّل[١]، وقَصُرَ، وقَوِيَ.

٢. أن يدل على نظافة أو دَنَس، نحو: نَظُفَ، ووَضُؤَ، وطَهُرَ، ونَجِسَ، ورَجِسَ، وقَذِرَ.

٣. أن يكون الفعل دالًّا على العَرَض، وهو ما ليس حركة جسم من معنى قائم بالفاعل، غير ثابت فيه، فهو معنى طارئ، يزول بزوال سببه المؤقت، كمَرِضَ، وكَسِلَ، ونَشِطَ، وحَزِنَ، وفَرِحَ، ونَهِمَ: إذا شَبِعَ[2].

٤. أن يدل الفعل على المطاوعة لمتعدٍّ إلى مفعول واحد، ومعنى المطاوعة قبول أثر الفعل المطاوَع والاستجابة له، كضَاعَفْتُ الحسابَ فتَضَاعَفَ، ونَعَّمْتُهُ فتَنَعَّمَ، وشَقَقْتُهُ فانْشَقَّ، ومَدَدْتُهُ فامْتَدَّ، وثَلَمْتُهُ فانْثَلَمَ، وثَرَمْتُهُ فانْثَرَم.

٥. الأفعال الدالة على لَوْن، نحو: أَدُمَ، واحْمَرَّ، واخْضَرَّ، واسْوَدَّ، وابْيَضَّ، أو حِلْيَةٍ، نحو: دَعِجَ، كَحِلَ، أو عيبٍ، نحو: عَوِرَ، وعَمِشَ.

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ١/ ٤٣٩-٤٤٠، شرح التصريح على التوضيح، ١/ ٤٦٤-٤٦٦، النحو الوافي، عباس حسن، ٢/ ١٣٤-١٣٥.

(١) انظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، ١/ ٣٧، دقائق التصريف، ٢٥٢.

(2) أما نَهِمَ إذا صار أَكُولًا فليس لازمًا؛ انظر: شرح التصريح على التوضيح، ١/ ٤٦٤.

٦. ألَّا يصح السؤال عنه بأي شيء وقع، فلا يقال: بأي شيء وقع قيام زيد.

ومن الأبنية الخاصة بالفعل اللازم[١]:

١. يكون الفعل اللازم على وزن (افْعَلَلَّ)، نحو: اقْشَعَرَّ، وابْذَعَرَّ، وازْمَهَرَّ، واشْمَخَرَّ .

٢. أن يكون الفعل على وزن (افْعَنْلَلَ) كاحْرَنْجَمَ، واثْعَنْجَر، واخْرَنْطَمَ، واقْرَنْبَعَ، واعْرَنْزَمَ.

٣. ما لحق (بافْعَلَلَّ، وافْعَنْلَلَ) كاكْوَهَدَّ الفَرْخُ، واحْرَنْبَي الدِّيكُ، واقْعَنْسَسَ الجَمَلُ.

٤. الأفعال التي على وزن (فَعل) -بكسر العين أو فتحها- إذا كان الوصف منها على (فَعِيل)؛ نحو: قَوِيَ الرَّجُلُ، فَهُوَ قَوِيٌّ، وذَلَّ الضَّعِيفُ فهُوَ ذَلِيلٌ.

٥. الأفعال التي على وزن: انْفَعَلَ؛ نحو: انْبَعَثَ وانْطَلَقَ.

٦. الأفعال التي على وزن "أَفْعَلَ"، ومعناها: صَارَ صاحبَ شيءٍ مُعَيَّن، مثل: أَغَدَّ البَعِيرُ.

---

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، مج٢: ٧/ ١٥٣، الإيضاح في شرح المفصل، ١٢٤/٢، الممتع الكبير في التصريف، ابن عصفور، ١٣٢، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ١٧٨، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ٦٢٢/٢، إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، ٣٤٠/١، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية، ١٣٥/٣، ١٣٧، النحو الوافي، ١٣٥/٢.

٧. ما كان على وزن: فَعُلَ، نحو: كَرُمَ، وظَرُفَ.
٨. افْعَالَّ، نحو: اشْهَابَّ واسْوَادَّ وابْيَاضَّ وادْهَامَّ. وقد قالوا: امْلَاسَّ واضْرَابَّ.
٩. أن يكون على وزن اسْتَفْعَلَ، نحو: اسْتَحْجَرَ الطِّينُ، واسْتَنْوَقَ الجَمَلُ، واسْتَنْسَرَ البُغَاثُ.

ومن خلال ما سبق يتضح أن المتعلِّمَ إذا عرف هذه الدلالات والأوزان، سَهُلَ عليه التعرُّف على الفعل اللازم، ولعل هذه السِّمات التي خُصَّ بها الفعل اللازم تؤكد دقة العرب، وحرصهم على وضع ضوابط للألفاظ المتشابهة في المعنى والمبنى، وعلى الرغم من الخصوصية التي امتاز بها الفعل اللازم؛ حيث ضبطت أمثلته في بعض القواعد؛ إلا أن هناك بعض الملاحظات التي تنبه إليها العلماء في بعض أمثلة اللازم:

١. أن بعض هذه الأوزان ثلاثي مجرد وبعضها ثلاثي مزيد فيه.
٢. أن بعض أمثلة اللازم استغنت العرب به عن استعمال الثلاثي المجرد؛ وهو (انْطَلَقَ: انْفَعَلَ)، (افْتَقَرَ: افْتَعَلَ)، فتأتي بناءً ملازمًا للفعل، لا للمطاوعة، فلا يقال: (طَلَقْتُهُ فَانْطَلَقَ)، ولا (فَقَرْتُهُ فَافْتَقَرَ)، قال سيبويه في (باب ما لا يجوز فيه فَعَلْتُه): "فمن ذلك (انْفَعَلْتُ)، ليس في الكلام (انْفَعَلْتُهُ)؛ نحو (انْطَلَقْتُ) و(انْكَمَشْتُ) و(انْجَرَدتُ) و(انْسَلَكَ). وهذا موضع قد يستعمل فيه (انْفَعَلْتُ) وليس مما طاوَعَ (فَعَلْتُ)، نحو: (كَسَرْتُهُ فانْكَسَر)، ولا يقولون في ذا: (طَلَقْتُهُ فَانْطَلَقَ)، ولكنه بمنزلة (ذَهَبَ) و(مَضَى)، كما أن (افْتَقَرَ) بمعنى (ضَعُفَ)، وأي المعنيين عنيتَ

فإنه لا يجيء فيه (انْفَعَلْتُه)"[1]، فكأنهم لما لم يستعملوا فعله الذي هو مطاوعه؛ طاوعوا به أَفْعَل[2].

وهذا يؤكد عدة أمور؛ أولها: أنه ليس بالضرورة أن يكون الفعل المطاوِع لازمًا، والثاني: أنه ليس بالضرورة أن يكون كل فعل لازم على هذا البناء مطاوِعًا؛ كما يعني أنه ليس كل فعل لازم صالحًا لأن يبنى منه انْفَعَلَ أو افْتَعَلَ للمطاوعة، فلا يقال مثلًا في قَعَدَ: انْقَعَدَ؛ قال الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): "والمطاوَعَة: الموافقة، والنحويون ربما سمّوا الفعل اللازم مُطَاوِعًا"[3].

وقد لا يكون لفَعَلَ المتعدي لواحد مُطَاوِعٌ على انْفَعَلَ أو افْتَعَلَ من نفس لفظه، فيهمل استعمالهما، إذ يستغنى عن لفظه بلفظ غيره إذ كان في معناه؛ فيقال: طَرَدتُه فَذَهَبَ، ولا يقال طَرَدتُهُ فانْطَرَدَ، ولا فَاطَّرَدَ.[4].

٣. أن بناء (فَعُلَ) خاص بالأفعال الثلاثية ذات الدلالات الثابتة؛ لذا يُصَاغ عليه كل فعل ثلاثي يراد منه المبالغة والتعجب[5] أو اتصاف الفاعل به مدحًا أو ذمًّا، فيصبح من اللازم بالتحويل؛ وقد تنبه إلى ذلك من

---

(١) الكتاب، ٤/ ١٨٩، وينظر: المقتضب، ١/ ١١٤، الممتع الكبير في التصريف، ١٣٠.

(٢) انظر: شرح المفصل، ابن يعيش، مج٢: ٧/ ١٥٩.

(٣) الصحاح، الجوهري، ٣/ ٥٣٧.

(٤) انظر: الكتاب، ٤/ ١٧٧.

(٥) مغني اللبيب، ابن هشام، ٥٩٦.

العلماء القدماء ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، إذ قال: "وكذلك نعتقد نحن أيضًا في الفعل المبنيّ منه فِعْلُ التعجب أنه قد نُقِل عن فَعَلَ وفَعِلَ إلى فَعُلَ، حتى صارت له صفة التمكّن والتقدّم، ثم بُنِي منه الفعل، فقيل: ما أفْعَلَه، نحو مَا أَشْعَرَه، إنما هو من شَعُرَ ...، وكذلك ما أقْتَلَه وما أكْفَرَه: هو عندنا من قَتُلَ وكَفُرَ تقديرًا، وإن لم يظهر في اللفظ استعمالًا"(١)، ومن المحدثين عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ) في قوله: "وهذا يكون بتحويل الفعل المتعدي لواحد إلى صيغة (فَعُلَ) بقصد المدح أو الذم، وهذه الصيغة لا تكون إلا لازمة، مثل: جَهُلَ الأُمِّيُّ، في ذمّ الأمّيّ، والأصل المتعدي قبل التحويل هو: جَهِلَهُ...؛ فصار بعد التحويل لازمًا"(٢).

٤. بعض هذه الأبنية لا يكون إلا لازمًا؛ وهو: (فَعُلَ وانْفَعَلَ وافْعَنْلَلَ وافْعَلَلَّ وافْعَلَّ وافْعَالَّ)، وبعضها يرد على الوجهين ويراعى فيه عند التصنيف أمران؛ أحدهما: دلالة الفعل في السياق، مثل ربط (استفْعَلَ وأَفْعَلَ)

(١) الخصائص، ٢/٢٢٧.

(٢) النحو الوافي، ٢/ ١٣٧.

اللازمين بالدلالة على الصيرورة، و(افْعَوْعَلَ)[1] بالدلالة على المبالغة والتكثير، والآخر: المشتق الوصفي؛ كما في (فَعَلَ) مفتوح الفاء بكسر العين أو فتحها؛ إذ عُدَّ مجيء الوصف على (فَعِيل) معْيارًا للُّزوم، ومما يحسُن ذكره بالنسبة لاعتبار (فَعِيل) الوصف قيدًا لِلُزوم (فَعَلَ)؛ إن بعض الأفعال حلقية الفاء أو العين قد تخالف هذا الشرط فيجيء الوصف منها على (فَاعِل) وتكون لازمة؛ كما نقول: دَخَلَ عليه فهو دَاخِل، وخَرَجَ إليه فهو خَارِج، ورَحَلَ عنه فهو رَاحِل، وفي الآية: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١]؛ أي: عَن عذابٍ واقع.

٥. أن مفهوم الفعل اللازم وطبيعة أدائه النحوي يتوافق مع مصطلحاته: (اللازم، القاصر، غير المتعدي، غير الواقع، غير المجاوِز)، أما أبنيته الصرفية فهي ذات خصوصية من حيث المعنى، ومن حيث التركيب الصوتي؛ فعلى سبيل المثال: (فَعُلَ يَفْعُلُ) الذي نقل العلماء اختصاصه باللازم؛ نراه يرتبط بدلالات معينة تمتاز بالثبوت، وتنبع من السجايا

(١) ذكر سيبويه أن افْعَوْعَلَ قد يتعدى، فقال: "وأما افْعَوْعَلَ فقد تعدى ...، فكما لم يكن للفعل بدٌّ من فاعل يعمل فيه، كذلك أرادوا أن يكثر المفعول الذي يعمل فيه، وقالوا: اعْرَوْرَيْتُ الفلوَّ، واعْرَوْرَيتَ مني أمرًا قبيحًا، كما قالوا: احْلَوْلَى ذلك، فذلك في موضع المفعول"، الكتاب، ٤/ ١٨٩-١٩١، وقال ابن يعيش: "وقد جاء متعديًا، قالوا: احْلَوْلَيْتُه أي اسْتَطْيَبْتُه، ...، وربما بني الفعل على الزيادة ولم تفارقه نحو اعْرَوْرَيْتُ الفلوَ إذا ركبتُه عريا"، شرح المفصل، ٧/ ١٦٢، وهذا يدل على أن افْعَوْعَل يكون لازمًا فيما اشتق منه، أما المرتجل فهو متعدٍّ.

والطبائع الفطرية، ولهذا يكون تحويل الفعل إليه إذا قصد التعجب؛ لأن "التعجب موضع مبالغة، وفَعُلَ من أفعال الغرائز والطبائع، ومن المبالغة في الفعل أن يُجْعل كأنه طبع في التعجب منه"(١)، وتظهر خصوصيته أيضًا من حيث المكونات الصوتية؛ إذ إن فتح الفاء وضم العين أمر يصعب معه غالبًا مجيء الفعل الثلاثي المضعَّف من هذا البناء(٢)، فلا يُحَوَّل عليه ولا يبنى منه المضعَّف لأن ثقل التضعيف لا يتواءم مع ثقل الضمة، ونقل سيبويه عن يونس قول بعض العرب: (لَبُبْتَ تَلُبُّ) كما قالوا: (ظَرُفْتَ تَظْرُفُ)، وقال عنه: "وإنما قَلَّ هذا ، لأن هذه الضمة تستثقل فيما ذكرت لك، فلما صارت فيما يستثقلون فاجتمعا، فرُّوا منهما"(٣).

كما تمنع ضمة العين في (فَعُلَ) أيَّ فعلٍ يائي أو واوي العين أو اللام من أن يبنى منه (فَعُلَ) أو يُحَوَّل عليه عند إرادة الثبوت؛ كما في (صَامَ)، فلا يقال: (صَوُمَ)؛ ولا في (بَاعَ: بَيُعَ)، ولا في (نَهَى: نَهُيَ)، ولا في (دَعَا: دَعُوَ)؛ إذ تتثاقل الياء والواو الضمة في الأجوف، ويصعب الانتقال من الضمة إلى الياء في الناقص اليائي، وتتوالى المتماثلات في الناقص الواوي؛ قال ابن جني في باب ما يُراجع من الأصول مما لا يُراجَع: "ألا تراهم إنما

(١) شرح جمل الزجاجي، ١/ ٥٩٣.

(٢) انظر: الكتاب، ٤/ ١٤٧.

(٣) الكتاب، ٤/ ١٤٧.

تَحَامَوا أن يبنوا فَعُلَ مما عينه ياء مخافة انتقالهم من الأثقل إلى ما هو أثقل منه؛ لأنه كان يلزمهم أن يقولوا: بُعْتُ أبُوع، وهو يُبُوع، ونحن نَبُوع، وأنت –أو هي– تَبُوع، وبُوعا وبُوعُو وبُوعِي، وهما يَبُوعَان، وهم يَبُوعُون ونحو ذلك، كذلك لو جاء فَعُلَ مما لامه ياء متصرفًا لَلَزِم أن يقولوا: رَمُوتُ ورَمُوتَ، وأنا أرْمُو، ونحن نَرْمُو، ...، فيكثر قلب الياء واوًا، وهو أثقل من الياء"[1].

ومن الخصوصية التي يمتاز بها بناء (فَعُلَ) أيضًا، ذلك الرابط بين تكوينه الصوتي ودلالته الصرفية؛ الذي أشار إليه الأزهري (ت: ٩٠٥هـ) بقوله في شرح علامات الفعل اللازم: "الثالثة: (أن يدل على سجية) ...؛ أي الطبيعة والسليقة، (وهي) أي السجية (ما ليس حركة جسم، من وصف ملازم) للذات غير منفك عنها، (نحو: جَبُنَ، وشَجُعَ) من الأفعال اللازمة الصادرة عن الطبيعة التي لا شعور لها بما يصدر منها، وضم عين الفعل لمناسبة انضمام الطبيعة إلى الذات، عند صدور هذه الأفعال منها"[2].

وأيضًا؛ بناء (انْفَعَلَ) من الأبنية المشهورة الخاصة بالفعل اللازم؛ إذ تبدو خصوصيته في لزومه معنى المطاوعة[3] –إلا إن كان نحو انْطَلَقَ وانْجَرَدَ مما

---

(١) الخصائص، ٢/ ٣٥٠.

(٢) شرح التصريح على التوضيح، ١/ ٤٦٤.

(٣) انظر: المنصف، ٩٥، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، ١٧٠.

كان أصل وضعه بالزيادة- ومن حيث التركيب الصوتي نلحظ الدور المهم للنون الزائدة في إكساب الصيغة المعنى الصرفي (المطاوعة)، وإلى جانب هذا تُخصِّص النونُ المطاوعة بمعنى الاستجابة السريعة أو المطاوعة في مدة زمنية قصيرة، وفي مجاورة النون للفاء في هذا البناء دلالة على الضعف، يمكن أن تكون لها علاقة بالضعف الذي يطرأ على الفعل المتعدي إلى واحد عندما يضعف أثره إذا نقل إلى اللازم بوضعه في بناء (انْفَعَلَ)؛ وهذا المعنى أمر لحظه ابن جني في اجتماع بعض الحروف مع الفاء؛ إذ قال: "ومن طريف ما مرَّ بي في هذه اللغة التي لا يكاد يُعْلَم بُعْدُها، ولا يُحاطُ بقاصيها، ازدحام الدال، والتاء، والطاء، والراء، واللام، والنون، إذا ما زجَّتهُنَّ الفاء على التقديم والتأخير، فأكثر أحوالها ومجموع معانيها أنها للوهن والضعف ونحوهما"(١).

وبناء (انْفَعَلَ) أَقْيَس من (افْتَعَلَ) في معنى المطاوعة(٢)، وهذا يؤكد أصالة (انْفَعَلَ) في معنى المطاوعة(٣)؛ لقلة (افْتَعَلَ) في هذا المعنى، "والأجود في

---

(١) الخصائص، ٢/ ١٦٨

(٢) انظر: الممتع الكبير في التصريف، ١٣١؛ شرح شافية ابن الحاجب، الأستراباذي، ١/ ١٠٨.

(٣) انظر: المنصف، ٩٨، وقد نص العلماء على أنه لا تصح المطاوعة إلا إذا كان الفعل علاجيًّا؛ ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، مج٢: ٧/ ١٥٩، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ٤/ ٣٤٣.

افْتَعَلَ أن يقع متعديًا على غير معنى الانفِعَال"[1]، ويمكن أن يفسر ذلك بقلته في اللازم.

٦. وكذلك تظهر خصوصية الفعل اللازم في بعض أبنيته الدالة على المبالغة والتوكيد؛ وهي: (افْعَوْعَلَ وافْعَلَّ وافْعَالَّ وافْعَلَلَّ)؛ إذ أدى تضعيف العين أو اللام في هذه الأبنية دورًا في توضيح معنى المبالغة والتوكيد، ولكن ابن جني تنبه إلى تفاوت العين واللام في أداء هذا المعنى، إذ إن تضعيف العين أقوى وأقعد في الدلالة على المبالغة في الأفعال من تضعيف اللام، فقال: "فلمَّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها، وجعلوه دليلًا على قوة المعنى المحدَّث به، وهو تكرير الفعل ... ألا ترى إلى ما جاء عنهم للمبالغة من نحو اخْلَوْلَقَ، واعْشَوْشَبَ، ... إلا أن العين أقعد في ذلك من اللام، ألا ترى أن الفعل الذي هو موضع للمعاني لا يضعَّف ولا يؤكَّد تكريره إلا بالعين، هذا هو الباب"[2]. وعلى الرغم من اشتراك العين واللام صوتيًّا في صفة الجهر[3]؛ إلا أن العين تتفوق على اللام بسبب توسطها في البناء بين الفاء واللام، فهما يعتمدان عليها، وهي مكنوفة

(١) الأصول في النحو، ٣/ ١٢٦.

(٢) انظر: الخصائص، ٢/١٥٧-١٥٨.

(٣) انظر: سر صناعة الإعراب، ١/ ٢٤١، ٢/ ٥.

بهما، فصارا كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها، كما قال ابن جني[١].

٧. يظهر الفرق في قوة المعنى بين المجرد والمزيد من هذه الأبنية؛ فكلما قوي المعنى وكثر، كان تكثير اللفظ أجدى في إيضاح جانب القوة والكثرة؛ كما قال سيبويه: "وقد يستغنى بافْعَالَّ عن فَعِلَ وفَعُلَ، وذلك نحو ازْرَاقَّ واخْضَارَّ واصْفَارَّ ...، واسْوَدَّ وابْيَضَّ واخْضَرَّ ...، أكثر في كلامهم، لأنه كَثُر فحذفوه، والأصل ذلك"[٢]، وقال ابن جني: "فمعنى خَشُنَ دون معنى اخْشَوْشَن؛ لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو"[٣].

***

(١) انظر: الخصائص، ٢/ ١٥٧.

(٢) الكتاب، ٤/ ١٣٨.

(٣) الخصائص، ٣/ ٢٦٧.

المبحث الثاني: تأثير المكونات الصوتية لبنية الفعل الثلاثي اللازم في صياغة مضارعه، وبنائه للمفعول:

المطلب الأول: صياغة الفعل المضارع من الفعل الثلاثي اللازم:

يبنى المضارع من (فَعَلَ) الصحيح اللازم، ويكون على وزن يَفْعُل، نحو: خَرَجَ يَخْرُج، قَعَدَ يقْعُد[1].

ويكون على يَفْعِل، نحو: جَلَسَ يَجْلِس، وصَحَّ يَصِحُّ، وضَجَّ يَضِجُّ [2].

وأمَّا ما كان فاؤه واوًا، وكان على زنةِ "فَعَلَ"، فإن مضارعه يلزم "يَفْعِل" بكسر العين وتسقط فاؤه[3]، نحو: وَثَبَ يَثِبُ[4]. وقد يكون بفتح العين إذا كانت لامه حرفًا حلقيًّا[٥]، نحو: (وَقَعَ يَقَعُ)، و (وَلَغَ يَلَغُ). قال الأستراباذي: "وأما وَهَبَ يَهَبُ وَوضَعَ يَضَعُ وَوَقَعَ يَقَعُ وَوَلَغَ يَلَغُ فالأصل فيها كسر عين المضارع، ...، ثم فتح العين لحرف الحلق"[٦].

وتتأثر حركة عين مضارع (فَعَلَ) اللازم من المثال الواوي بلامه إذا كانت حرفًا من حروف الحلق؛ إذ لم تتمكن الكسرة في عين المضارع على النحو

---

(1) انظر: الكناش في النحو والتصريف، ٢/٥٨.

(2) انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، ٣/٢٧٢.

(3) انظر: شرح المفصل، ابن يعيش، مج٢: ٧/١٥٧.

(4) انظر: المنصف ١٧٨.

(٥) انظر: المقتضب، ١/١١٠، المنصف، ١٧٨.

(٦) شرح شافية ابن الحاجب، الأستراباذي، ١/ ١٣٠.

الذي تتمكن فيها إذا لم تكن لامه حرفًا حلقيًّا، ولعل هذه الخصوصية من أجل موافقة القياس في مضارع (فَعَلَ)، الذي عينه أو لامه حرف حلقي[١]، وهو أمر سارٍ على مضارع (فَعَلَ) صحيح الفاء، إن كان في عينه أو لامه حرف حلقي، نحو: ذَهَبَ يَذْهَب، وسارٍ حتى على المتعدي، نحو: وَهَبَهُ يَهَبُه، ولعله أيضًا يكون من قبيل البعد عن الثقل ومسببات التنافر الصوتي[٢]؛ فآثرت العرب فتح مضارع فَعَل واوي الفاء إذا كانت لامه حرفًا من الحروف الحلقية، لخفة الفتحة، وحتى لا تجتمع على اللسان مشقة النطق بالكسرة –وهي حركة أثقل من الفتحة– وحروف الحلق المستثقلة في التركيب لبعد مخرجها، فالخروج من الكسرة إلى حروف الحلق يؤدي إلى الثقل في السمع، والجهد في النطق، وهذا متصل بما أشار إليه الأستراباذي في قوله: "ثم إن حروف الحلق سافلة في الحلق يتعسر النطق بها، فأرادوا أن يكون قبلها إن كانت لامًا الفتحة التي هي جزء الألف التي هي أخف الحروف، فتعدل خفتها ثقلها"[٣].

وكان سيبويه يقول: "وقالوا: (نَضَرَ وجهُه يَنضُر) فبنوه على (فَعَلَ يَفْعُل) مثل (خَرَجَ يَخْرُج) لأن هذا فعل لا يتعداك إلى غيرك كما أن هذا فعل لا

(١) انظر: الكتاب، ٤/ ٢١٩–٢٢٠، دروس في علم الصرف، إبراهيم الشمسان، ٩٣/١.
(٢) انظر: المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، ٦٦.
(٣) شرح شافية ابن الحاجب، الأستراباذي ١/ ١١٩.

يتعداك إلى غيرك"[1]؛ وفيه تلميح إلى أن (يَفْعُل) هو الأصل في مضارع اللازم.

ويرى ابن جني أنَّ (يَفْعُل) بضم العين أقيس من (يَفْعِل) بكسرها إذا كان الماضي (فَعَلَ)؛ إذ يقول: "وأنا أرى أن يَفْعُل فيما ماضيه فَعَلَ في غير المتعدي أقيس من يَفْعِل، فضَرَبَ يَضْرِب إذًا أقيس من قَتَلَ يَقْتُل، وقَعَدَ يَقْعُد أقيس من جَلَسَ يَجْلِس، وذلك أن يَفْعُل إنما هي الأصل لما لا يتعدى، نحو كَرُمَ يَكْرُم ... فإذا كان كذلك كان أن يكون في غير المتعدي فيما ماضيه فَعَلَ أولى وأقيس"[2].

واتفق سيبويه وابن جني على أن (يَفْعُل) دخل في مضارع (فَعَلَ) القياسي؛ وهو (يَفْعِل) بكسر العين، و(يَفْعُل) بضم العين؛ هو قياس مضارع (فَعُلَ)، وبناء (فَعُلَ) متمكن في باب اللازم، والدليل أنه "لما كان مضارع فَعُلَ لا يجيء مختلفًا لم يحذفوا فاء وَضُؤَ، ولا وَطُؤَ، ولا وَضُعَ؛ لئلا يختلف باب ليس من عادته أن يجيء مختلفًا"[3]، "وكأنَّ باب يَفْعُل إنما هو لما ماضيه فَعُلَ"[4]، ودخول (يَفْعُل) بضم العين في مضارع بعض (فَعَلَ) بقصد مخالفة فتحة العين في الماضي؛ على اعتبار أن الضمة والكسرة مخالفتان كلتاهما

(١) الكتاب، ٤/ ١٤١.

(٢) الخصائص، ١/ ٣٨٠.

(٣) انظر: الكتاب، ٤/ ١٦٥، الخصائص، ١/ ٣٧٩.

(٤) الخصائص، ١/ ٣٨٠.

للفتحة، ومن هنا قالوا في دَخَلَ: يَدْخُل، وفي خَرَجَ: يَخْرُج[1]، ويستنتج من هذا أن فَعَل يَفْعُل أقيس في اللازم من فَعَل يَفْعِل على رأيهما، وأن يَفْعُل بضم العين مضارع لا يُخالَف لفَعُل؛ وهو باب أصيل ومتمكن في اللازم، ووصفه ابن هشام (ت: ٧٦١هـ) بأنه وقفٌ على أفعال السجايا وما أشبهها، مما يقوم بفاعله ولا يتجاوزه[2].

وهذا التوافق الذي يحدث بين حركة عين (فَعُلَ) وحركة عين مضارعه (يَفْعُل)؛ يُعدُّ دليلًا على خصوصية هذا البناء في باب اللازم، ولابن جني تعليق لطيف على توافق الحركة بين عيني الماضي والمضارع في هذا البناء؛ إذ يقول: "فإن قلت: فقد نجد في الثلاثي ما تكون حركة عينيه في الماضي والمضارع سواءً، وهو باب فَعُل؛ نحو كَرُم يَكْرُمُ، وظَرُفَ يَظْرُفُ. قيل: على كل حال فاؤه في المضارع ساكنة، وأما موافقة حركة عينيه فلأنه ضرب قائم في الثلاثي برأسه؛ ألا تراه غير متعدّ البتة، وأكثر باب فَعَلَ وفَعِلَ متعدّ، فلمَّا جاء هذا مخالفًا لهما —وهما أقوى وأكثر منه– خولف بينهما وبينه، فوُوفِق بين حركتي عينيه، وخُولِف بين حركتي عينيهما"[3].

(١) الخصائص، ١/ ٣٨٠.

(٢) مغني اللبيب، ٥٩٦.

(٣) الخصائص، ١/ ٣٧٧.

إذًا فالتكوين الصوتي الذي يظهر توافق حركة العينين في الماضي والمضارع أسهم في إبراز قوة (فَعُلَ يَفْعُل) في باب اللازم، وأصالته وتمكنه فيه؛ وتفوقه في هذا الباب على (فَعَلَ يَفْعِلُ، وفَعِلَ يَفْعَلُ)، في مقابل تفوقهما في باب المتعدي.

ولابن مالك (٦٧٢هـ) توجيه آخر لتوافق حركة عين (فَعُل) ومضارعه (يَفْعُل)، فهو يرى أن للدلالة الصرفية التي يختص بها هذا البناء ومضارعه طرفًا في استسهال كون حركة العينين واحدة؛ قال ابن مالك: "ولما كان (فَعُلَ) في الغالب موضوعًا للغرائز كشَجُعَ وجَبُنَ وهي معانٍ ثابتة في أصل الخلقة، قلَّت الحاجة فيهما إلى غير الماضي، فاستسهل كون حركة العينين واحدة؛ فلذلك كان مضارع (فَعُلَ) (يَفْعُل)"[١]، وفي المقابل بينما وُضِع (فَعَلَ) و(فَعِلَ) اللازمين للمعاني المستقرة في أصل الخلقة، وللمعاني الطارئة، أُحْتِيج فيهما إلى المضارع والماضي كثيرًا؛ لذا خولف بين حركتي عينيهما في الغالب للتخفيف؛ لأن تخالف المتعاقبين أخف من تماثلهما[٢]؛ وفيه إشارة إلى تأثير الدلالة الصرفية في التكوين الصوتي لبنية الفعل الثلاثي اللازم ومضارعه.

(١) شرح الكافية الشافية، ابن مالك، ٢/ ٤٢٤.

(٢) انظر: شرح الكافية الشافية، ٢/ ٤٢٤.

المطلب الثاني: بناء الفعل الثلاثي اللازم للمفعول:

إن تركيب الفعل وفق بنية (فُعِلَ) أو (يُفْعَل)، والخروج به عن طريقة (فَعَلَ)، طريقة من طرق العربية للتعبير عن أغراض دلالية متنوعة، ويتأثر السياق عند بناء الفعل للمفعول؛ من جهة بإفقاده المسند إليه (الفاعل)، ومن جهة أخرى بتفويض مكمِّل من مكمِّلات الجملة ليقوم مقام الفاعل المحذوف، وتنقل إليه العلامة الشكلية للفاعل الحقيقي، فينوب هذا المكمِّل عن الركن الإسنادي المحذوف، ولذا سمي نائب الفاعل.

وتبدو الحاجة كبيرة إلى الإجابة عن سؤال هام هو: هل يجوز أن يبنى الفعل اللازم للمفعول؟ إن جميع الأفعال تقبل البناء للمفعول من الناحية الصوتية البحتة باستثناء (ليس)، وفعل الأمر[1]، ولكن قصور الفعل اللازم عن الوصول إلى المفعول به؛ يجعل بناءه للمفعول أمرًا محدودًا عند أكثر النحويين بحالات خاصة؛ إذ لا يجوز بناء الفعل اللازم للمفعول إلا في الحالات التالية:

١. مع الظروف والمصادر المتصرفة المختصة؛ ويقصد بذلك أن يكون الظرف مما يجوز استعماله في موضع الرفع، ويكون مضافًا أو موصوفًا، نحو: سِيرَ يومُ الجُمْعة، وَوُقِفَ مَكَانُ الأمير، وقُضِيَ شهرٌ جَمِيلٌ، بخلاف ما يلزم

(١) انظر: دروس في علم الصرف، ١/ ١٥٠.

حالة واحدة، نحو: عِند، و(سَحَر) إذا أريد به سحر يوم بعينه[١]، فلا يبنى الفعل اللازم معها للمفعول، وأن يكون المصدر مما لم تلتزم العرب فيه النصب على المصدرية، ولا يقصد به مجرد التوكيد، بل يكون مخصصًا بوصف أو إضافة، نحو: جُلس جلوسٌ حسنٌ، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ [الحاقة: ١٣][٢]، بخلاف اللازم حالة واحدة؛ نحو: سُبْحَانَ، ومَعَاذَ اللهِ، ورَيْحَانَهُ[٣].

٢. مع المجرور الذي لم يلزم الجارُّ له طريقة واحدة، نحو: فُرِح بقدوم محمد، بخلاف اللازم حالة واحدة، نحو (مُذْ ومُنْذُ) لأنهما مختصان بجر الزمان[٤]، فلا يبنى الفعل اللازم معها للمفعول[5].

ونسب الزجاجي (ت: ٣٤٠هـ) إلى سيبويه جواز بناء الفعل اللازم للمفعول على إضمار المصدر، فيقال: (قُعِدَ وضُحِكَ)، لأن الفعل يدل على مصدره؛ فكأنه قصد: (قُعِدَ القُعُودُ وضُحِكَ الضَّحِكُ)[١].

١() انظر: شرح التصريح على التوضيح، ١/ ٤٢٦، ٤٢٨، النحو العربي، محمود الدريني، ٢٨٦-٢٨٧.

(٢) انظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني، ٢/ ٩٢، النحو العربي، ٢٨٨.

(٣) انظر: شرح جمل الزجاجي، ١/ ٥٤٧.

(٤) انظر: علل النحو، الورَّاق، ٢٨٠-٢٨١، النحو العربي، ٢٨٩.

(5) انظر: أسرار العربية، الأنباري، ٩٩؛ شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، ٨٥.

ويمكن تحليل الأمور التي تحد من جواز بناء الفعل اللازم للمفعول من جهتين؛ الأولى: اقتصاره على الفاعل، وعدم وقوعه على المفعول بنفسه، أسهم في تعليق بنائه للمفعول في حدود حالات معينة، يراها العلماء صالحة للنيابة عن فاعله عند الحذف، حتى إن هذه الحالات الجائزة ضُيِّق نطاقها أيضًا؛ فالظروف والمصادر لا يصلح منها للنيابة عن الفاعل إلا المتصرف، والمختص عن طريق الإضافة أو الوصف، والجار والمجرور الذي لا يلزم طريقة واحدة.

ومن جهة ثانية؛ لا يُتَصَوَّر على المستوى الوظيفي لعناصر الجملة الفعلية أن يحذف الفاعل إذا كان الفعل لازمًا مكتفيًا بفاعله؛ فالفعل اللازم متعلّق بالفاعل إجباريًّا؛ ولو جاز بناء الفعل اللازم للمفعول على حدود واسعة لقيل في سَارَ زيدٌ: سِيرَ، فيصبح الفعل خاليًا من لفظ فاعله، وهذا التغيير الصوتي والصرفي في بنية الفعل اللازم يتسبب في إفساد المعنى وإبهامه، وهنا تتأكد خصوصية الفعل اللازم من ناحية تمسكه بالفاعل؛ ومزية هذه العلاقة المحافظة على صحة المعنى النحوي، قال ابن جني: "فإن لم يكن الفعل متعديًا لم يَجُز إلا أن تذكر الفاعل؛ لئلَّا يكون الفعل حديثًا عن غير مُحَدَّث عنه، وذلك نحو قولك قَامَ زيدٌ، وقَعَدَ عمروٌ، ولا تقول: قِيمَ ولا قُعِدَ لما ذكرتُ لك"(٢).

---

(١) انظر: الجمل في النحو، الزجاجي، ٧٧، ولم أجده في كتاب سيبويه، ونسبه الصبان في حاشيته، ٢/ ٩٣، إلى ابن درستويه.

(٢) اللمع في العربية، ابن جني، ٣٥.

وأضاف الشريف عمر الكوفي (ت: ٥٣٩هـ) في شرحه على اللُّمع أنّ جعل الفعل اللازم متعديًا بهمزة النقل أو تضعيف عينه أمر يسهل بنائه للمفعول؛ فيقال في (خَرَجَ): أَخْرَجْتُه وخَرَّجْتُه، ثم يبنى للمجهول، فيقال: أُخْرِجَ زيدٌ، وخُرِّجَ زيدٌ(١).

وقد ورد عن العرب مما يُحفظ ولا يُقاس عليه أفعالٌ لازمة جاءت على صيغة المبني للمفعول، وهي في الحقيقة للفاعل، ومن ذلك:

عُنِيَ فلان بحاجتك: أي اهتمَّ، وزُهِيَ علينا: أي تكبَّر، وفُلِجَ: أصابه الفالِج، وحُمَّ: استحرَّ بدنه من الحُمَّى، وسُلَّ: أصابه السُّل، وجُنَّ عقلُه: استتر، وغُمَّ الهِلالُ: احتجب، والخبرُ: استعجم، وأُغْمِيَ عليه: غُشِيَ، وشُدِهَ: دَهِشَ وتحيَّر، وامتُقِع أو انتُقِع لونُهُ: تغيّر.

"وهذه الأفعال لا تنفك عن صورة المبنيّ للمفعول، ما دامت لازمة، فهي ملازمة لهذه الصيغة، والوصف منها على مَفْعُول، فيقال: مَجْنُون، ومَدْهُوش، ومَتْقُوع، ومَحْمُوم، فكأن العلماء لاحظوا فيها وفى نظائرها أن تنطبق صورة الفعل على الوصف، فأتَوا به على فُعِل بالضم، وجعلوا المرفوع بعده فاعلًا"(2).

(١) البيان في شرح اللمع، الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي، ١٣٢.

(2) شذا العرف في فن الصرف، ٥٥.

فهذه الأفعال الماضية مستثناة من القاعدة؛ لأنها بنيت على هيئة (فُعِلَ)[1]، والمرفوع بعدها لا يعرب نائب فاعل على الرأي الراجح، وبناؤها على هذه الطريقة بناء صوريّ، لأنها في الحقيقة مبنية للفاعل.

قال ابن جني في (باب في نقض العادة): "وهذا الموضع هو الذي دعا أبا العباس أحمد بن يحيى في كتاب فصيحه أن أفرد له بابًا، فقال: هذا باب فُعِلَ –بضم الفاء– نحو قولك: عُنِيتُ بحاجتك وبقية الباب، إنما غرضه فيه إيراد الأفعال المسندة إلى المفعول ولا تسند إلى الفاعل في اللغة الفصيحة، ...، ويقولون: امتُقِعَ لونُه ولا يقولون: امْتَقَعَهُ كَذا، ويقولون: أُنقُطِعَ بالرَّجُل، ولا يقولون: انْقَطَعَ به كذا، فلهذا جاء بهذا الباب، أي ليريك أفعالًا خُصَّت بالإسناد إلى المفعول دون الفاعل، كما خُصَّت أفعال بالإسناد إلى الفاعل دون المفعول، نحو قام زيدٌ، وقَعَد جعفرٌ، ..."[2]، ثم قال: "ولو كان غرضه أن يريك صورة ما لم يسمَّ فاعله مجملًا غير مفصل على ما ذكرنا لأورد فيه نحو ضُرِب ورُكِب وطُلِب وقُتِل وأُكِلَ وسُمِل وأُكرِم وأُحسِن إليه واستُقصِي عليه، وهذا يكاد يكون إلى ما لا نهاية له"[3].

---

(١) انظر: الخصائص، ٢/٢١٩.

(٢) الخصائص، ٢/ ٢٢١.

(٣)الخصائص، ٢/ ٢٢١.

المبحث الثالث: العلاقة بين أبنية المشتقات الوصفية وأبنية الفعل اللازم في أبواب الثلاثي المجرد:

المطلب الأول: التداخل بين أبنية المشتقات الوصفية من أبواب الفعل الثلاثي اللازم:

أورد النحويون المشتقات الوصفية من أبنية الفعل الثلاثي اللازم، وما يقاس منها في أبوابه وما لا يقاس[1]، ويكتفي البحث بتحليل أوجه العلاقة بين أبنية الفعل الثلاثي اللازم والمشتقات الوصفية منها، بما يحقق هدفه، مستغنيًا بما ذكره النحويون في كتبهم، عن عرض المشتقات الوصفية من أبنية الفعل اللازم، وطريقة بنائها من الثلاثي وغير الثلاثي.

وقد قامت هذه العلاقات على التداخل والتركُّب الملحوظ بين أبنية المشتقات الوصفية في أبواب الفعل الثلاثي اللازم، وتنطلق هذه العلاقة من عدة اعتبارات، أبرزها:

١. السماع وتداخل اللغات:

فحين يعد بناء (فَاعِل) قياسيًّا في الثلاثي المجرد (فَعَلَ)؛ نجد النحويين يعدونه شاذًّا في (فَعُلَ)، فهل لهذا علاقة بتمكن (فَعَلَ) في المتعدي واللازم ووقف فَعُل على اللازم، الذي يتميز -كما سبق- بالمعاني

(١) انظر: شرح الكافية الشافية، ٢/ ٤٢٩-٤٣٠؛ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ٣/ ٢١٨- ٢٢١؛ همع الهوامع، ٣/ ٢٨٧-٢٨٩.

الغريزية؟ يرى ابن جني أن (طَاهِر وشَاعِر وحَامِض وخَاثِر) قد استغنت فيه العرب بفَاعِل عن فَعِيل، وهو في أنفسهم وعلى بالٍ من تصورهم، وعده من تداخل اللغات وتركبها؛ إذ الأصل في أفعال هذا كله: (طَهَرَ وشَعَر وحَمَض وخَثَرَ: فَعَلَ)، إلا أن طول الملابسة لهذه المعاني جعلها كالغريزة، فخرجوا بها إلى باب (فَعُلَ)، وأتوا بالوصف منها على (فَاعِل) وهم يريدون (فَعِيل)، والدليل على ذلك تكسير (شَاعِر) على (شُعَرَاء: فُعَلَاء) وهو القياس في تكسير (فَعِيل)، فدل هذا على استغنائهم بِفَاعِل عن فَعِيل في فَعُلَ[1]؛ قال ابن جني: "ومما عدوه شاذًّا ما ذكروه من فَعُلَ فهو فَاعِل، نحو طَهُرَ فهو طَاهِر، وشَعُرَ فهو شَاعِر، وحَمُضَ فهو حَامِض...، واعلم أن أكثر ذلك وعامّته إنما هو لغات تداخلت فتركبت...، هكذا ينبغي أن يُعتقَد، وهو أشبه بحكمة العرب"[2]، وقال أبو حيان: "وقالوا حَمُضَ ومَثُلَ وطَهُرَ وفَضُلَ بضم العين وفتحها وجاء اسم الفاعل منها على فَاعِل فهو من تداخل اللغتين"[3].

إذًا فإن علاقة اسم الفاعل بفَعُلَ مبنية على وجه من السماع؛ رُوعِي فيه معنى (فَعِيل) لأنه الوصف القياسي لفَعُلَ.

---

(١) انظر الخصائص، ١/ ٣٨٢.

(٢) الخصائص، ١/ ٣٧٦.

(٣) ارتشاف الضرب، أبو حيان، ٢/ ٥١١.

٢. التقارب في المعنى:

فقد عقد سيبويه في كتابه أبوابًا حافلة بالأمثلة التي تتضح من خلالها العلاقات المتداخلة بين أوصاف أبنية الثلاثي اللازم لتقارب المعنى[١]؛ ومن ذلك دخول الوصف (أَفْعَل) على (فَعِل) الوصف القياسي في باب (فَعِلَ يَفْعَل)؛ قال سيبويه في باب ما جاء من الأدواء على مثال (وَجِعَ يَوْجَعُ وَجَعًا)، وهو (وَجِع) لتقارب المعاني: "وجاء ما كان من الذعر والخوف على هذا المثال، لأنه داء قد وصل إلى فؤاده كما وصل ما ذكرنا إلى بدنه، وذلك قولك: (فَزِعْتُ فَزَعًا) وهو (فَزِعٌ) ...، و (وَجِرَ وَجَرًا) وهو (وَجِرٌ)، وقالوا: (أَوْجَرُ) فأدخلوا (أَفْعَل) ههنا على (فَعِل) لأن (فَعِلًا) و(أَفْعَل) قد يجتمعان، كما يجتمع (فَعْلَانُ) و(فَعِلٌ)، وذلك قولك: (شَعِثٌ) و(أَشْعَثُ)، و(حَدِبٌ) و(أَحْدَبٌ)، و(جَرِبٌ) و(أَجْرَبُ)، وهما في المعنى نحوٌ من الوجع"[٢].

ومنه دخول (فَعِيل) على (فَاعِل) في باب (فَعَلَ يَفْعُل) اللازم؛ قال سيبويه: " "وقالوا: نَبَهَ يَنبُه وهو نَابِه، وهي النباهة، كما قالوا: نَضَرَ يَنْضُرُ

(١) انظر: الكتاب، ٤/ ١٣١-١٤٧، الأصول في النحو، ٣/ ٩٣-١٠١، ارتشاف الضرب، ٢/ ٥٠٩-٥١١.

(٢) الكتاب، ٤/ ١٣١-١٣٢.

وجهُه، وهو نَاضِر، وهي النَّضَارة، وقالوا: نَبِيهٌ، كما قالوا: نَضِيرٌ، جعلوه بمنزلة ما هو مثله في المعنى، وهو شَرِيفٌ"[١].

ومنه أيضًا دخول (فَعْلَان) على (فَاعِل) في باب (فَعِلَ يَفْعَل)؛ حيث يقال: جَاعَ يَجُوع فهو جَائِعٌ

على القياس، وأدخلوا جَوْعَان لأن معناه غَرْثَان، وأكثر ما يبنى من الأسماء في هذا المعنى على (فَعْلَان)[٢].

ودخل (أَفْعَلُ) على (فَعِيل) الوصف القياسي لما دل على لون في باب (فَعُلَ يَفْعُل)؛ "وقالوا: (أَشْنَع)، فأدخلوا (أَفْعَل) في هذا إذ كان خصلة فيه كاللون، وقالوا: (شَنِيع) كما قالوا (خَصِيفٌ) فأدخلوه على أَفْعَل"[٣].

ودخولها أيضًا على (فَعِل) مما دل على الهيجان في باب (فَعِلَ يَفْعَل)؛ نحو: حَمِسَ يَحْمَسُ حَمَسًا وهو حَمِسٌ، وذلك حين يهيج ويغضب، وقالوا: أَحْمَسُ كما قالوا: أَوْجَرُ، وصار أَفْعَل بمنزلة فَعْلَان وغَضْبَان[٤].

***

(١) الكتاب، ٤/ ١٤٥.

(٢) انظر: الكتاب، ٤/ ١٣٥-١٣٦.

(٣) الكتاب، ٤/ ١٤٢.

(٤) انظر: الكتاب، ٤/ ١٣٣.

٣. المبالغة في المعنى:

ومنه دخول (فُعَال) على (فَعِيل) في باب (فَعُلَ يَفْعُل)؛ بقصد التكثير والمبالغة في المعنى، قال سيبويه: "وقالوا: (شَجُعَ شَجَاعَةً) وهو (شُجَاعٌ)، وقالوا: (شَجِيعٌ)، و(فُعَالٌ) أخو (فَعِيل)"(١) وفصّل ابن جني ذلك بقوله: "ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله، وذلك فُعَال في معنى فَعِيل؛ نحو طُوَال، فهو أبلغ معنى من طَوِيل، وعُرَاض؛ فإنه أبلغ معنى من عَرِيض، وكذلك خُفَاف وخَفِيف، ...، فَفُعَال –لعمري– وإن كانت أخت فَعِيل في باب الصفة، فإن فَعِيلًا أخص بالباب من فُعَال؛ ألا تراه أشد انقيادًا منه؛ تقول، جَمِيل ولا تقول: جُمَال، ...، فلما كانت فَعِيل هي الباب المطرد وأريدت المبالغة، عُدِلت إلى فُعَال"(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

***

(١) الكتاب، ٤/ ١٤٣.

(٢) الخصائص، ٣/ ٢٧٠-٢٧١.

٤. التفريق بين (فَعُلَ) و(فَعِلَ) اللازمين في بعض المعاني:

نجد أن (فَعِيل) هو الوصف القياسي في باب (فَعِلَ يَفْعَل) الدال على الزينة الباطنة أو الأدواء الباطنة (الجسمية أو الخُلْقِيَّة)، وما يشابهها مما دل على حُزن أو غمٍّ، وما يضادّها مما دل على سرور، ولَمَّا كان (فَعِيل) هو الوصف القياسي أيضًا في باب (فَعُلَ يَفْعُل) المتمكن في باب اللازم؛ أدخلت العرب الوصف (فَعِل) في باب (فَعِلَ يَفْعَل) -الدال على المعاني السابقة- على (فَعِيل)، حذفوا ياء (فَعِيل) فخففوه على (فَعِل)، وبنوا عليه كل ما أخذ من (فَعِلَ) اللازم في تلك المعاني، فقالوا: وَجِعَ يَوْجَع فهو وَجِعٌ، وتَعِبٌ، وضَجِرٌ، ومَرِحٌ، وقَلِقٌ، وفَرِحٌ، وفَطِنٌ، ولَبِقٌ؛ وتركوا (فَعِيل) لوصف ما أخذ من (فَعُلَ يَفْعُل)، ومع هذا فقد أبقوا بعض الألفاظ في باب (فَعِلَ يَفْعَل) على الوصف (فَعِيل) للدلالة على أنه الأصل في باب (فَعِلَ)، نحو: مَرِضَ يَمْرَضُ فهو مَرِيضٌ، وسَقِيمٌ، وسَلِيمٌ، وهي ألفاظ لا يقاس عليها مع كونها على الأصالة[١].

ومن الملاحظ أيضًا أن (فَعِل) قد يدخل على (فَعِيل) في باب (فَعُلَ يَفْعُلُ)، فيقال: خَشِن، وسَمِج، وقد يخفف (فَعِل) بحذف كسرة العين فيصير (فَعْل)، فيقال: ضَخْم، وفَخْم، وصَعْب، وسَمْج، وقد تبدل كسرة

(١) انظر: جامع الدروس العربية، ١/ ١٣٣-١٣٤-١٣٥.

عينه فتحة، فيصير (فَعَل)، فيقال: بَطَل وحَسَن، أو يتعرض لزيادة ألف المد بعد عينه، فيصير (فَعَال)، فيقال: جَبَان، وحَصَان، ورَزَان.

ويدل هذا التداخل بين أوصاف الفعل اللازم على تأثير التنوع اللهجي في التنوع البنيوي، للمشتقات الوصفية من الفعل اللازم، وأن هذه العلاقات المتداخلة لا يصح حملها على الشذوذ؛ بل هي لغات تركَّبت، على الوجه الذي وضحه ابن جني بقوله: "ثم تلاقى صاحبا اللغتين، فاستضاف هذا بعض لغة هذا، وهذا بعض لغة هذا، فتركبت لغة ثالثة"[١]، ولا يحمله على الشذوذ إلا من ضعف نظره، وخف فهمه لظاهر اللغة كما ذكر[٢].

***

(١) الخصائص، ١/ ٣٨٢.

(٢) انظر: الخصائص، ١/ ٣٧٥.

المطلب الثاني: صياغة المشتقات الوصفية من الفعل الثلاثي اللازم بين القلة والكثرة:

من الملاحظ غَلَبة أبنية الصفة المشبهة في أبواب الفعل الثلاثي اللازم، وقد يُرَدُّ هذا لدلالتها على الثبوت واللزوم؛ لكون صياغتها غالبة في بابي (فَعِلَ يَفْعَل)، الدال على الصفات الباطنية من الأدواء، والزينة، والألوان، و(فَعُلَ يَفْعُل)، الدال على الصفات الفطرية، فمعنى الثبوت واللزوم الذي تؤديه الصفة المشبهة يناسب هذه المعاني في الفعل اللازم.

أما بالنسبة لاسم المفعول فعلاقته بالفعل اللازم محدودة في حالات؛ وهي الظرف، والمصدر، والجار والمجرور، ويمكن تفسير العلاقة المحدودة بينهما بالدلالة الصرفية لاسم المفعول؛ فهو صفة تؤخذ من الفعل المبني للمفعول، للدلالة على حدث وقع على الموصوف بها، على وجه الحدوث والتجدد، لا على وجه الثبوت واللزوم[(١)]، ومن هنا يرتبط اسم المفعول بالفعل المتعدي أكثر من ارتباطه باللازم؛ لأن الفعل اللازم -كما سبق- لا يبنى للمفعول إلا في نطاق ضيق مع تلك العناصر، التي لو لم تلحقه لفسد المعنى؛ إذ لو قيل افتراضًا: (قُعِدَ) و(الحُجرةُ مَقْعُودٌ)، لفسد المعنى، لافتقاد التركيب النحوي إلى حرف جر بعده يتمم معناه[(٢)].

---

(١) انظر: جامع الدروس العربية، ١/ ١٢٩.

(٢) انظر: النحو الوافي، ٢/ ١٣٣.

أما أمثلة المبالغة؛ فيرى البصريون أنها مشتقات وصفية مسموعة، لا تصاغ إلا من مصدر فعل ثلاثي متصرف متعدٍّ، ويقلُّ أن تصاغ من مصدر الفعل اللازم، فعلاقتها بالمتعدي أوسع، وقد تردّ هذه القلة إلى أن صيغ المبالغة تحوَّل في الأصل عن اسم الفَاعِل، من الثلاثي المتعدي للمبالغة فيه(١)، وإن صيغت من اللازم أصبحت تدل على أن الوصف صار كالطبيعة والغريزة في الموصوف، فتكون حينئذٍ أقرب للصفة المشبهة في الدلالة الصرفية، فالأصل أن تكون على (فَعِيل)؛ لغلبته فيما صار له كالطبيعة(٢) لكثرة الملابسة، ولكن أكثر مجيئها في اللازم على (فَعَّال)، ومما ورد من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ● هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١]، مِن حَلَفَ يَحْلِفُ بالله، ومَشَى يَمْشِي بالنميمة؛ فهو من باب (فَعَلَ يَفْعِل) اللازم، إذ أصبح من كثرة مداومته للحلف ومشيه بالنميمة كأنه مطبوع عليهما، وقولهم: فلانٌ بَسَّامُ الثَّغْرِ، ضَحَّاكُ السِّنِّ، ومنه كذلك قول الشاعر:

وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنُوبُنِي وَحَسْبُكَ أَنَّ اللهَ أَثْنَى عَلَى الصَّبْرِ

وَلَسْتُ بِنَظَّارٍ إِلَى جَانِبِ الغِنَى إِذَا كَانَتِ العَلْيَاءُ فِي جَانِبِ الفَقْرِ(٣).

---

(١) انظر: حاشية الصبَّان على شرح الأشموني، ٢/ ٤٤٨.

(٢) انظر: همع الهوامع، ٣/ ٥٩.

(٣) البيتان للمعذل بن غيلان في معاهد التنصيص، شرح شواهد التلخيص، العباسي، ١/ ١٢٨، وانظر: النحو الوافي، ٣/ ٢٠٣-٢٠٤، والشاهد فيهما: (صَبَّار، نَظَّار)، إذ بُنِيَ (فَعَّال) للمبالغة من الثلاثي اللازم.

ولكن الواقع اللغوي يفرض كثرة اشتقاق (فَعَّال) للمبالغة من مصدر الفعل الثلاثي اللازم، للحاجة الشديدة إليه في الاستعمال اللغوي[١]؛ لذا أيَّد عباس حسن ذلك، إذ قال: "وهو رأي حسن"[٢]، وإذا كثر استعمال الشيء في معنى جاز القياس عليه.

وقد ورد ما يؤيد استعمال بعض أمثلة المبالغة من اللازم على غير (فَعَّال)؛ إذ يُصرف (فَاعِل) إلى (فِعِّيل)، و(مِفْعِيل)، و(مِفْعَال)، و(فَعُول)؛ فيقال: فِسِّيق، رجلٌ سِكِّيرٌ؛ كثير السُّكْرِ، وخِمِّيرٌ؛ كثيرُ الشُّربِ للخَمرِ، وفِخِّيرٌ؛ كثيرُ الفَخْرِ، وسِكِّيتٌ؛ دائمُ السُّكُوتِ، وضِلِّيلٌ، ورجلٌ مِضْحَاكٌ؛ إذا كان مُدِيمًا للضَّحِك، ورجلٌ عَبُوسٌ، وضَحُوكٌ، وبَشُوشٌ[٣].

وهذه الأمثلة جميعها تؤيد جواز اشتقاق أمثلة المبالغة من أبنية الفعل اللازم، وأن الأمر ليس مقتصرًا على بناء (فَعَّال) وحده، فقد شاركه في

---

(١) وقد نص مجمع اللغة العربية بالقاهرة على جواز صياغة (فَعَّال) للمبالغة، من الفعل الثلاثي اللازم، للحاجة إليه، واستقرأ المجمع (٨٩) لفظًا، صاغتها العرب من الفعل اللازم، على وزن (فَعَّال) للمبالغة؛ انظر: مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، المطبعة الأميرية، بولاق، صفر، ١٣٥٤هـ- مايو، ١٩٣٥م، ٢/ ٥٥-٦٢.

(٢) النحو الوافي، ٣/ ٢٠٣.

(٣) انظر: الكتاب، ٤/ ١١٤، أدب الكاتب، ابن قتيبة، ٣٣٠، دقائق التصريف، ٨٩-٩١، النحو الوافي، ٣/ ٢٠٣.

الاستعمال (فِعِّيل)، و(مِفْعِيل)، و(مِفْعَال)، و(فَعُول)، فمجيئها للمبالغة من الثلاثي اللازم سائغ متقبل.

وأما أَفْعَل التفضيل فعلاقته قوية بالثلاثي اللازم من باب (فَعُلَ)؛ أي فيما دل على الطبائع والسجايا الفطرية، نحو: كَرُمَ زيدٌ يَكْرُمُ وهو أَكْرَمُ من خالد، وحَسُنَ يَحْسُن، وفي المقابل فإن له علاقة غير مباشرة بالثلاثي اللازم من باب (فَعِلَ)، إن دلّ دلالة حسية على لون (خَضِرَ)؛ أو عيب ظاهر (عَمِيَ)، أو حلية ظاهرة (كَحِلَ)، فالوصف منها (أَفْعَل) ومؤنثه (فَعْلَاء)، إذ يوقع بناء (أَفْعَل) التفضيل مباشرةً منها في الالتباس[1]، لكون القياس في الوصف من (فَعِلَ) في هذه الدلالات الصرفية مبنيًّا على (أَفْعَل)؛ فتكون الصيغة مشغولة بالوصف عن التفضيل[2]، ولعل هذا هو المقصد من منعها التفضيل على (أَفْعَلَ) بصورة مباشرة، ولابن هشام حجة في منع المفاضلة مباشرةً من فَعِلَ اللازم في هذه الدلالات؛ فهو يرى تقدير الزيادة في هذه الأفعال وإن كانت ثلاثية مجردة في الظاهر، وهذا يعارض شرطًا من شروط البناء على أَفْعَل التفضيل، وهو بناؤها من فعل ثلاثي مجرد لفظًا وتقديرًا؛ إذ يقول: "ولا من نحو هَيِفَ، وغَيِدَ، وحَوِلَ، وسَوِدَ، وعَوِرَ، وحَمِرَ، وعَمِيَ، وعَرِجَ، لأنها وإن كانت ثلاثية مجردة في اللفظ؛ لكنها مزيدة في التقدير، إذ أصل حَوِلَ:

(١) انظر: شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأستراباذي ٣/ ٥١٤.

(٢) شذا العرف في فن الصرف، ٩١.

احْوَلَّ، وعَوِرَ: اعْوَرَّ، وغَيِدَ: اغْيَدَّ، والدليل على ذلك أن عيناها لم تقلب ألفًا مع تحركها وانفتاح ما قبلها، فلولا أن ما قبل عيناها ساكن في التقدير؛ لوجب فيها القلب المذكور"[(١)]، وللمفاضلة فيها ينبغي تدخّل لفظ من بناء (فَعُلَ)، والاستعانة به في التوصل إلى معنى المفاضلة في (فَعِلَ)، مما دل على الألوان والعيوب والحلى –مثل أَجْمَل وأَكْبَر وَأَفْضَل وأَكْثَر– نحو: السَّهلُ أَجْمَلُ حُضْرَةً من الجَبلِ، وزيدٌ أَكْثَرُ عمًى من عَمْرٍو.

أما إن قصد بها الدلالة المعنوية المرتبطة بالأمور الباطنة؛ فيمكن حينئذٍ أن يفضل منها مباشرة على (أَفْعَل)، نحو: فلان أَبْلَدُ من فلان، ، وأجْهَلُ منه، وأحْمَقُ منه، وأَرْعَنُ، قال الأستراباذي: "لا يبنى أفعل التفضيل من الألوان والعيوب الظاهرة دون الباطنة، لأن غالب الألوان أن تأتي أفعالها على: (افْعَلَّ)، و(افْعَالَّ)، كابْيَضَّ، واسْوَدَّ، واحْمَارَّ، واصْفَارَّ، فحمل كل ما جاء من الثلاثي عليها"[(٢)]. وقال أيضًا: "وأما العيوب المحسوسة فليس الغالب فيها المزيد فيه، لكن بعضها: المزيد فيه أكثر استعمالًا فيه من غيره، كاحْوَلَّ واعْوَرَّ، فإنهما أكثر استعمالًا من حَوِلَ وعَوِرَ"[(٣)].

---

(١) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ٣٧٩.

(٢) شرح كافية ابن الحاجب، ٣/ ٥١٤.

(٣) شرح كافية ابن الحاجب، ٣/ ٥١٤.

الخاتمة:

من النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة:

١. تأكيد التوافق بين الأبنية الصرفية المتنوعة للفعل اللازم ومفهومه النحوي، وطبيعة عمله في الجملة.

٢. يختص (فَعُلَ) ومضارعه (يَفْعُلُ) من الناحية الصوتية بتوافق حركة عينيهما، ومن الناحية الصرفية بأن (فَعُلَ يَفْعُلُ) أصل متمكن في باب اللازم؛ ووقف على أفعال السجايا وما شابهها؛ ولهذا هو أقيس من (فَعَلَ يَفْعِلُ) و(فَعِلَ يَفْعَلُ) في اللازم منهما.

٣. أسهم إدخال بعض اللواصق التصريفية على بنية الفعل الأساسية في تعدد أبنية اللازم من الثلاثي غير المجرد، وتنوع دلالاتها الصرفية، والتمييز بين البنية الأساسية في الدلالة العامة.

٤. المطاوعة معنى دلاليٌّ تختص فيها بعض أبنية اللازم بإحداث تحولات داخلية على مستوى الوظيفة النحوية؛ بتحويل المفعول به إلى الفاعل.

٥. التأكيد على ما أشار إليه عدد من العلماء؛ من أصالة بناء (انْفَعَلَ) في معنى المطاوعة، ودخول بناء (افْتَعَلَ) عليه في هذا المعنى، لأن الأكثر فيه التعدي؛ لذا قلَّ استعمال (افْتَعَلَ) اللازم للمطاوعة.

٦. نصَّ العلماء على أنه ليس كل فعل لازم صالحًا لأن يبنى منه (انْفَعَلَ) للمطاوعة، وأن المطاوعة لا تصح إلا إذا كان الفعل علاجيًّا.

٧. قد تخالف بعض الأفعال حلقية الفاء أو العين شرط اعتبار (فَعِيل) الوصف قيدًا للزوم (فَعَلَ).

٨. مجاورة النون للفاء في بناء (انْفَعَلَ) أكسبته خصوصية على المستوى الصوتي؛ بالدلالة على الضعف والوهن، وهي مرتبطة بدلالته الصرفية على المطاوعة، التي يضعف بها أثر الفعل المطاوَع، بوضعه في بناء (انْفَعَلَ).

٩. تضعيف العين أقوى وأقعد في دلالة بعض أبنية الفعل اللازم على المبالغة من تضعيف اللام، على الرغم من اشتراكهما صوتيًّا في صفة الجهر.

١٠. قصور الفعل اللازم عن الوصول إلى المفعول به جعل بناءه للمفعول أمرًا مقيدًا بحالات خاصة؛ وهي الظرف، والجار والمجرور، والمصدر، في نطاقات محدودة أيضًا.

١١. ظهرت خصوصية الفعل اللازم في منعه من البناء للمفعول من ناحية تمسكه بالفاعل، وهذه مزية للمحافظة على صحة المعنى النحوي، وسلامة تركيبه.

١٢. العلاقة بين أبنية المشتقات الوصفية من الفعل اللازم في أبواب الثلاثي المجرد تقوم غالبًا على التداخل والتركُّب، وهو نتاج ما سمعه العربي من العربي، أو التقارب في المعاني، أو المبالغة فيها، أو لإرادة التفريق في بعض المعاني بين أبواب الثلاثي المجرد اللازم.

المصادر والمراجع:

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه، معجم ودراسة، خديجة الحديثي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ارتشاف الضرب من لسان العرب، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق وشرح ودراسة: د. رجب عثمان محمد، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت: ٧٦٧ هـ)، تحقيق: د. محمد بن عوض بن محمد السهلي، أضواء السلف — الرياض، ط١، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت: ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت- لبنان، ط٤، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري، (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د.ط، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
- الإيضاح في شرح المفصل، أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس الدوني المعروف بابن الحاجب (ت: ٦٤٦هـ)، تحقيق: أ.د. إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م.

- البيان في شرح اللمع لابن جني، الشريف عمر بن إبراهيم الكوفي (ت: ٥٣٩هـ)، تحقيق: د. علاء الدين حموية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمَّان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ)، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الجمل في النحو، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت: ٣٤٠هـ)، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- حاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني، محمد بن علي الصبَّان الشافعي، (ت: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤، د.ت.
- دروس في علم الصرف، أبو أوس إبراهيم الشمسان، مكتبة الرشد، الرياض، د.ط، ١٤١٧هـ.
- دقائق التصريف، أبو القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: أ.د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

- الشافية في علم التصريف، جمال الدين، عثمان بن عمر الدويني، المعروف بابن الحاجب (٦٤٦هـ)، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي (ت: ١٣٥١هـ)، تحقيق: إبراهيم محمد إبراهيم، مكتبة المتنبي، الدمام، ط١.
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك (ت: ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- شرح التسهيل، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجياني، المعروف بابن مالك (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد بن عبد الله الأزهري، (ت: ٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الإشبيلي (ت: ٦٦٩هـ)، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، (ت: ٦٨٦هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، قديمي كتب خانة، د.ط، د.ت.
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي النحوي، (ت: ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت — لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد خير طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

- شرح الكافية الشافية، أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك، (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- شرح كتاب الحدود في النحو، عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت:٩٧٢هـ)، تحقيق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة – القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت: ٣٦٨ هـ)، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- شرح المفصل، يعيش بن علي بن يعيش، موفق الدين الأسدي الموصلي، (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف، أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي (ت: ٨٠٧ هـ)، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، د. محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- علل النحو، أبو الحسن محمد بن عبد الله الورَّاق (ت: ٣٢٥هـ)، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور عبد الملك الثعالبي (ت: ٤٢٩هـ)، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

- الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- الكناش في النحو والتصريف، أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت: ٧٣٢هـ)، دراسة وتحقيق: د. رياض بن حسن الخوام، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ٢٠٠٠م.
- اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، دار الفكر– دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني (ت: ٧٩٢هـ)، تحقيق: د. سميح أبو مغلي، دار مجد لاوي للنشر، عمَّان، د.ط، ١٩٨٨م.
- مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، المطبعة الأميرية، بولاق، صفر، ١٣٥٤هـ- مايو، ١٩٣٥م.
- معاهد التنصيص، شرح شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي (ت: ٩٦٣هـ)، المطبعة البهية، ١٣١٦هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. محمد محيي الدين عبد الحميد، الكتبة العصرية، صيدا- بيروت، د.ط، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- المفتاح في الصرف، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)، حققه وقدم له: د. علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- المفصل في علم العربية، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، (ت: ٥٣٨هـ)، دار الجيل، بيروت- لبنان، د.ط، د.ن.

- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)، أبو إسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: مجموعة محققين، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: حسن حمد، مراجعة: د. إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الممتع الكبير في التصريف، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحَضْرَمي الإشبيلي، المعروف بابن عصفور (ت: ٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١ ١٩٩٦م.
- المنصف (شرح كتاب التصريف للمازني)، عثمان ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- النحو العربي، محمود محمود السيد الدريني، مكتبة المتنبي، الدمام، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- النحو الوافي، عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ)، آوند دانش للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
- همع الهوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

***

التَّنْمِيطُ الْفَخْرِيُّ الْحَمَاسِيُّ بَيْنَ ذَاتِيَّةِ الارْتِقَاءِ وَجَمْعِيَّةِ الانْتِمَاءِ
دَرْسٌ اسْتِقْرَائِيٌّ لِشِعْرِ عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ

د. طـه غالب عبد الرَّحيم طـه
قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها– كلية العلوم والدِّراسات الإسلاميَّة
قلقيلية، فلسطين

التَّنْمِيطُ الْفَخْرِيُّ الْحَمَاسِيُّ بَيْنَ ذَاتِيَّةِ الارْتِقَاءِ وَجَمْعِيَّةِ الانْتِمَاءِ
دَرْسٌ اسْتِقْرَائِيٌّ لِشِعْرِ عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ

د. طـه غالب عبد الرَّحيم طـه

قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها– كلية العلوم والدِّراسات الإسلاميَّة
قلقيلية، فلسطين

تاريخ تقديم البحث: ١/ ١/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٣/ ٧/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

يمضي هذا الدَّرس لتجلية التَّمثُّلات المعنويَّة، والتَّشكُّلات البنيويَّة، لنمطيَّة الفَخْرِ الحَمَاسيّ، بتأطيرَيْها: الذَّاتيّ، والجَمْعيّ، في شعر عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ؛ لغاية استبطان العلائق الشَّبكيَّة، بين اللَّوحات الشِّعريَّة، واستظهار المضامين القيميَّة، في الفَخْريَّات المثاليَّة.

ويُضيء الباحث معالجته بتأسيسٍ تمهيديٍّ؛ في نطاقي: (الْمَفَاهِيمِ اللُّغَوِيَّةِ وَالاصْطِلَاحِيَّةِ)، وَ(مَضَامِينِ الْفَخْرِ وَبَوَاعِثِهِ وَعَلَائِقِهِ وَسِمَاتِهِ، وَأَنْوَاعِ الْفَخْرِ وَنَزَعَاتِهِ وَمَظَاهِرِهِ وَمِثَالِهِ)، كما يُعمِّق المدَارَسة التَّحليليَّة؛ بمُوَاقَعة التَّنْميطِ الفَخْريّ الذَّاتيّ؛ من خلال الْفَخْرِ: (الْفُرُوسِيّ، وَالأَخْلَاقِيّ، وَالشِّعْرِيّ)؛ واستنطاق تنميطاته الجَمْعيَّة؛ في الْفَخْرِ: (الْفُرُوسِيّ، وَالأَخْلَاقِيّ، وَالْحَرْبِيّ)؛ مع استخلاص الفَرَادَات المضمونيَّة، والمؤَسِّسات الأسلوبيَّة، الكائنة في حيثيَّات الشَّواهد الشِّعريَّة.

ويقارب البحث مناهج الدَّرْسِ العِلْميّ؛ بالتَّوصيفِ المفهوميّ العامّ، والاستقراءِ الشِّعريّ التَّامّ، فضلًا عن الاستنباطِ الاستدلاليّ للمباني الشِّعريَّة، في ضوء المنهجيَّة النَّقديَّة التَّكامُليَّة، مع استقطاب الأنظار الثَّقافيَّة، في قراءة العلائق الاجتماعيَّة.

الكلمات المفتاحية: التَّنْمِيط الفَخْرِيّ الحَمَاسِيّ، ذَاتِيَّة الارْتِقَاء، جَمْعِيَّة الانْتِمَاء، عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ.

The enthusiastic profiling of pride between the individual transcendence and collective affiliation An inductive research of Abid ibn al-Abras al-Asadi Poetry

Dr. Taha Ghaleb Abdul Rahim Taha
Department of Arabic Language and Literature - College of Science and Islamic Studies
Qalqilya - Palestine

Abstract:

This research aims at explaining the abstract manifestation and the substantial realizations of the enthusiastic style of pride, through its two forms: the individual and collective, in Abid ibn al-Abras al-Asadi Poetry; to introspect Intertwined relationships between poetry verses and to invoke the valuable meanings from the idealities of pride.

The researcher illuminates their treatment of the subject with an introductory foundation in the domains of (linguistic and idiomatic concepts); and (the implications, motives, relations, and the characteristics of pride, in addition to its types, tendencies, manifestations, etc…). They also deepen the analytical study by examining the enthusiastic profiling of pride; through equestrian, moral, and poetic pride, and exploring its collective style; in equestrian, moral and martial pride. This can be also achieved through extracting the substantive vocabulary and the stylistic foundations; which can be found in the analysis of poetic evidence.

This research draws together the scientific research method, the general conceptual characterization with the complete poetic induction, as well as the inferential extrapolation of poetic formation, in light of the integral critical methodology, with the attracting of cultural perceptions in social relationships.

key words: The enthusiastic profiling of pride, Individual transcendence, Collective affiliation, Abid ibn al-Abras al-Asadi.

– ١: تأسيسٌ تمهيديٌّ: قراءةٌ في المفاهيم والمداخل.

– ١. ١: قراءةٌ في المفاهيم.

– ١. ١. ١: قراءةٌ لغويَّةٌ.

توحي المقاربة اللُّغويَّة للأصل (نمط) بمعنى الاجتماع[١]، كما تزجي تصاريف الأصل دلالات: الضَّرب أو النَّوع من أيِّ شيءٍ، والطَّريقة، والمذهب، والفنِّ[٢]، ويُرسِّخ "التَّنميط" الدَّلالة على الشَّيء المحَدَّد؛ بتمايزه عن غيره[٣]، في الأسلوب أو الصِّنف أو الطِّراز[٤].

(١) يُنظَر: معجم مقاييس اللُّغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زَكريَّاء القزوينيّ الرَّازيّ، (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، تح: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (١٩٧٩م)، مادَّة (نمط).

(٢) يُنظَر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدِّين محمَّد بن مكرم بن عليّ بن منظور، (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، دار صادر، بيروت، (ط١)، (د. ت)، مادَّة (نمط)؛ ويُنظَر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد مرتضى الزَّبيديّ، (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تح: عبد العليم الطَّحاويّ، وزارة الإعلام الكويتيَّة، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د. ط)، (١٩٧٤م)، مادَّة (نمط).

(٣) يُنظَر: القاموس المحيط، مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، (ت٨١٧هـ/ ١٤١٥م)، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، مادَّة (نمط)؛ ويُنظَر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيديّ، مادَّة (نمط).

(٤) يُنظَر: المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس مع آخرين، (ت١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، دار المعارف، القاهرة، (ط٢)، (١٩٧٢م)، مادَّة (نمط).

بينما يدلُّ الأصل (فخر) "على عِظَمٍ وقِدَمٍ"(١)؛ ومن معانيه: "التَّمدُّح بالخصال، والافتخار، وعدُّ القديم... وادِّعاء العِظَم والكبر والشَّرف... والمِفْخَرَة والمِفْخُرَة، بفتح الخاء وضمِّها: المأْثُرة وما فُخِرَ به"(٢).

ويشي الأصل (حمس) بدلالة "الشِّدَّة؛ فالأَحْمَس: الشُّجاع، والحَمَس والحماسة: الشَّجاعة والشِّدَّة"(٣)، "والأَحْمَس أيضًا: الشَّديد الصُّلب في الدِّين والقتال"(٤)، "والحماسة: المَنْع والمحاربة"(٥)، "والحُمْسة، بالضَّمِّ: الحُرْمة... والحَمْس: الصَّوت، وجَرْس الرِّجال... واحْمَوْمَسَ: غضب"(٦).

وهكذا؛ تُقدِّم الأصول اللُّغويَّة، معًا، دلالة الطِّراز الفنِّيِّ المتَفرِّد عن غيره، ضمن الفخر المعتلق بالخصال الحميدة، كما تنضاف إليها حماسة الشَّجاعة والصَّلابة والشِّدَّة والقُوَّة، اللَّاحقة بعزائم الرِّجال، في ميادين القتال والفروسيَّة.

---

(١) معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس، مادَّة (فخر).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادَّة (فخر)؛ ويُنظَر: القاموس المحيط، الفيروزآباديّ، مادَّة (فخر)؛ ويُنظَر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيديّ، مادَّة (فخر).

(٣) معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس، مادَّة (حمس).

(٤) الصِّحاح؛ تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، لأبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)، تح: محمَّد زكريَّا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٤)، (١٩٩٠م)، مادَّة (حمس).

(٥) لسان العرب، ابن منظور، مادَّة (حمس).

(٦) القاموس المحيط، الفيروزآباديّ، مادَّة (حمس)؛ ويُنظَر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيديّ، مادَّة (حمس).

- ١. ١. ٢: قراءةٌ اصطلاحيَّةٌ.

يمكننا أن نُعرِّف "النَّمط" أو "الشَّكل الدَّالّ"؛ على أنَّه: "المثال أو النَّموذج الشَّكليُّ الَّذي يَمْثُلُ في ذهن الفنَّان أو الأديب، ويحتذيه في التَّأليف. ومن جهةٍ أخرى يمكن اعتباره الشَّكل الإجماليّ الَّذي يستنبطه القارئ أو المستمع أو المشاهد للأثر الَّذي يُقدَّم إليه. وكثيرًا ما يُخلَط بين البنية والشَّكل النَّمطيِّ للأثر الأدبيّ أو الفنّيّ؛ فلكُلِّ أثرٍ أدبيّ بنيةٌ خاصَّةٌ به؛ أمَّا الشَّكل النَّمطيُّ فهو مُخَطَّطٌ عامٌّ يتَّفق في التزامه أو محاكاته عددٌ كبيرٌ من الآثار الفنّيَّة أو الأدبيَّة"(١).

وعرَّف ابن رشيقٍ (ت٤٥٦هـ) "الافتخار"، قائلًا: "والافتخار: هو المدح نفسه، إلَّا أنَّ الشَّاعر يخصُّ به نفسه وقومه، وكلُّ ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكلُّ ما قبح فيه قبح في الافتخار"(٢)؛ وعليه يوحي ابن

---

(١) معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، (ط٢)، (١٩٨٤م)، ص٤٢٠، (- باب النُّون/ - النَّمط، الشَّكل الدَّالّ، [Pattern])؛ ويُنظَر: معجم المصطلحات الأدبيَّة المعاصرة؛ (عرض وتقديم وترجمة)، د. سعيد علُّوش، دار الكتاب اللُّبنانيّ، بيروت، وسوشبريس، الدَّار البيضاء، (ط١)، (١٩٨٥م)، ص٢٢١، ٢٢٢، (٦٦٩ – النَّمط/ ٦٧٠ – النَّمط)؛ ويُنظَر: المعجم المفَصَّل في الأدب، د. محمَّد التُّونجيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (ط٢)، (١٩٩٩م)، ٢: ٨٦٧، (- حرف النُّون/ - النَّمط، النَّموذج).

(٢) العُمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده، لأبي عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ، (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، تح: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الجيل للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، بيروت، (ط٥)، (١٩٨١م)، ٢: ١٤٣، (- باب في أغراض الشِّعر وصنوفه/ - باب الافتخار).

رشيقٍ بالارتباط الوثيق بين "الفخر" و"المدح"؛ من جهتي: المضامين، والسِّمات.

أمَّا "الفخر" في ثيماته العامَّة؛ فهو "تمدُّح المرء بخصال نفسه وقومه، والتَّحدُّث بحسن بلائهم ومكارمهم، وكرم عنصرهم، ووفرة قبيلهم، ورفعة حسبهم ونسبهم، وشهرة شجاعتهم"(١)، وهو "بابٌ من أبواب الشِّعر الغنائيِّ(٢)، اشتهر به العرب منذ الجاهليَّة؛ فغالَوْا فيه، واتَّخذوه مُتَنفَّسًا لهم في تعداد فضائلهم، والإبانة عمَّا تميَّزوا به من رفعةٍ"(٣).

ويتبدَّى "الفخر"، في الاصطلاح النَّقديِّ؛ بوصفه غرضًا شعريًّا؛ "ينطوي على زهو الشَّاعر واعتزازه بنفسه وقومه؛ وهو وليد الأَثَرة والإعجاب بالذَّات. وإذا كان الإنسان مفطورًا على حبِّ نفسه والإدلال بها وبمآثرها؛ فالشَّاعر

---

(١) الوسيط في الأدب العربيّ وتاريخه، الشَّيخ أحمد الإسكندريّ، (ت١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، الشَّيخ مصطفى العنابيّ، (ت١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م)، حقوق الطَّبع محفوظة للمُؤَلِّفَيْن، القاهرة، (ط١)، (١٩١٩م)، ص٣٩، (– النَّظم؛ الشِّعر والشُّعراء/ – الشِّعر/ ١ – أغراضه وفنونه في الجاهليَّة/ – الفخر).

(٢) في علاقة الفخر بالشِّعر الغنائيّ؛ يُنظَر: تاريخ الأدب العربيّ، أحمد حسن الزَّيَّات، (ت١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، دار نهضة مصر للطَّبع والنَّشر، القاهرة، (ط٢)، (١٩٨١م)، ص٣٠ – ٣٢، (– الباب الأوَّل: العصر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: الشِّعر/ – أنواع الشِّعر وأغراضه)؛ ويُنظَر: المعجم الأدبيّ، نوَّاف نصَّار، دار ورد للنَّشر والتَّوزيع، عمَّان، (ط١)، (٢٠٠٧م)، ص١٥٠، (– ف/ – فخر [شعر]).

(٣) المعجم الأدبيّ، جَبُّور عبد النُّور، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٢)، (كانون الثَّاني، يناير/ ١٩٨٤م)، ١: ١٨٩، (القسم الأوَّل: مصطلحات/ – ف/ – فخر).

المتَميّز برهافة الحسّ، وفصاحة اللِّسان، وجمال التَّعبير والتَّصوير؛ أقدر من سواه على التَّفاخر، وأجدر به"[١].

وننتهي ممَّا سبق؛ إلى أنَّ "الفخر": "ضربٌ من الحماسة؛ وهو التَّغنّي بالفضائل والمثُل العليا، والتَّباهي بالسَّجايا النَّفسيَّة والصِّفات القوميَّة، والزَّهو بالفعال الطَّيِّبة، وألذُّ أحاديث المرء عنده هو حديثه عن نفسه وخصاله وفعاله؛ من: الشَّجاعة، والكرم، والمروءة، وحماية الجار، وطيب المنبت، وعراقة الأصل، وكثرة المال والولد، إلى غير ذلك، ممَّا يزهو به الإنسان، ويختال به على غيره"[٢].

وتتجلَّى "الحماسة"؛ في كونها "من أبواب الشِّعر العربيّ وموضوعاته؛ وفيها الإشادة بالأمجاد والانتصارات في الحروب، والحقد البالغ على الخصوم، والتَّغنّي بالمثُل الرَّفيعة؛ من: كرمٍ، ووفاءٍ، وغير ذلك"[٣]، وهي من الأبواب "الَّتي يفتخرون بها؛ لأنَّهم يذكرون فيها أمجادهم وشمائلهم وحروبهم"[٤].

---

(١) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، د. غازي طليمات، أ. عرفان الأشقر، مكتبة الإيمان، دمشق، ومكتبة دار الإرشاد، حمص، (ط١)، (شباط/ ١٩٩٢م)، ص١٣٥، (– الباب الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: الفخر والحماسة/ أ – الفخر والحماسة لغةً واصطلاحًا).

(٢) الشِّعر الجاهليّ؛ خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوريّ، مُؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، (ط٥)، (١٩٨٦م)، ص٣٠٠، ٣٠١، (– الباب الثَّاني: الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: فنون الشِّعر الجاهليّ/ – الحماسة/ – الفخر).

(٣) معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب، وهبة والمهندس، ص١٥٣، (– باب الحاء/ – الحماسة).

(٤) المعجم المفَصَّل في الأدب، التُّونجيّ، ١: ٣٨١، (– حرف الحاء/ – الحماسة).

و"الشِّعر الحماسيُّ" على ذلك: "هو الشِّعر الَّذي غرضه الأساسيُّ وصف البطولة، والوقائع الحربيَّة، وإلهاب المشاعر في الإقدام والشَّجاعة، كما أنَّ وصف المعارك والفرسان، وهزيمة الأعداء، من أغراض شعر الحماسة"(١).

ولشموليَّة المفهوم أن تُعمِّق الحيثيَّات القتاليَّة، في هذا الضَّرب الشِّعريّ؛ فهو "فنُّ الحرب والقتال والشَّجاعة، والتَّغنِّي بصفات: البطولة، والرُّجولة، وركوب المخاطر، وخوض غمرات القتال، ووصف ما في الحرب؛ من: كرٍّ، وفرٍّ، وعددٍ، وسلاحٍ، ودماءٍ، وجرحى، وقتلى، ودعوةٍ للحرب، وأخذٍ بالثَّأر، وما إلى ذلك؛ فهو، بجملته، فنُّ البطولة"(٢)، وقد "كان الشَّاعر العربيُّ القديم لسان قومه في تسجيل مآثرهم، والدِّفاع عنهم، ونشر محامدهم"(٣).

---

(١) المعجم المفصَّل في الأدب، التُّونجيّ، ٢: ٥٥٥، (- حرف الشِّين/ - الشِّعر الحماسيّ).

(٢) الشِّعر الجاهليّ؛ خصائصه وفنونه، الجبوريّ، ص٢٩٣، (- الباب الثَّاني: الشِّعر الجاهليّ/ - الفصل الثَّالث: فنون الشِّعر الجاهليّ/ - الحماسة).

٣() المصطلح النَّقديّ في التُّراث الأدبيّ العربيّ، محمَّد عزَّام، دار الشَّرق العربيّ، بيروت وحلب، (ط١)، (د. ت)، ص١٤٩، (- حرف الحاء/ - الحماسة)؛ وحول مفهومي: الفخر، والحماسة، والعلاقة بينهما؛ يُنظَر: شعر الفخر والحماسة في صدر الإسلام؛ دراسة نقديَّة تحليليَّة، عندليب يوسف اسمندر، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. سمر الدّيوب، جامعة البعث، حمص، (٢٠١٠/ ٢٠١١م)، ص٧ – ٢٢، (- التَّمهيد).

– ١. ٢: قراءةٌ في المداخل الفخريَّة.

– ١. ٢. ١: مضامين الفخر وبواعثه وعلائقه وسماته.

لم يكن هذا اللَّون الشِّعريُّ "شعر قُوَّةٍ وبطولةٍ فحسب؛ فقد تغنَّوْا فيه بكريم الشِّيم، وكُلِّ ما اتَّخذوه مثلًا رفيعًا لهم في حياتهم وسلوكهم؛ من: كرمٍ ووفاءٍ، وغير كرمٍ ووفاءٍ؛ فعلى نحو ما صوَّروا فيه بطولةً وشجاعةً نادرةً، صوَّروا كثيرًا من الفضائل الحميدة"(١)، كما صوَّروا فيه أسلحتهم، وأطالوا في وصف الخيل الَّتي ركبوها في اللِّقاء، مع ذكر ألقابها(٢).

ويُعَدُّ "الفخر الحماسيُّ" "من الموضوعات المتداخلة؛ فكثيرٌ من معاني الفخر تقع في باب الحماسة، وكذلك يصعب الفصل بين الصُّور المختلفة للفخر والحماسة؛ ومن هذا المنطلق لم يفرد أبو تمَّام (ت٢٣١هـ) بابًا للفخر ولا ضمَّه إلى غيره؛ وإنَّما تحدَّث عنه في باب الحماسة الَّذي سمَّى مختاراته باسمه"(٣).

---

(١) تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر الجاهليّ، د. أحمد شوقي عبد السَّلام ضيف، (ت١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، دار المعارف، القاهرة، (ط١١)، (١٩٨٦م)، ص٢٠٦، (– الفصل السَّادس: خصائص الشِّعر الجاهليّ/ ٣ – الموضوعات).

(٢) يُنظَر: تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر الجاهليّ، شوقي ضيف، ص٢٠٥، ٢٠٦.

(٣) الأدب الجاهليّ، د. سامي يوسف أبو زيد، د. منذر ذيب كفافيّ، دار المسيرة للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، عمَّان، (ط١)، (٢٠١١م)، ص٨٩، (– الفصل الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليّ/ – المبحث الثَّاني: الفخر والحماسة).

وعلى الرَّغم من الالتئام الفكريّ العامّ بين "الفخر" و"الحماسة"؛ إلَّا أنَّه يمكن تأطيرهما وفق المضامين الثَّانويَّة؛ حين "يُقصَد بالحماسة: الشَّجاعة الحربيَّة، الَّتي تتجلَّى في ميادين القتال؛ من: ضربٍ بالسَّيف، وطعنٍ بالرُّمح، وإقدامٍ على المخاطر، وركوب الأهوال؛ ويُقصَد بالفخر: ما له صلةٌ بالقبيلة؛ من: فخرٍ بأمجادها، وذكرٍ لأيَّامها، ودفاعٍ عنها، وهجاءٍ لخصومها، وثأرٍ لقتلاها؛ وما له صلةٌ بالفرد؛ من: فروسيَّةٍ، وصعلكةٍ، وكرمٍ، وشجاعةٍ، ونسبٍ، وشرفٍ، وسيادةٍ، وتعقُّلٍ، وحَمِيَّةٍ، وجهلٍ، وأناةٍ. وقد كانت حياة القبائل، وما بينها من تنافسٍ في طلب المرعى والماء، وعداءٍ وحروبٍ تدوم أيَّامًا وأعوامًا؛ أسبابًا دعت إلى نشوء هذا الغرض، الَّذي احتلَّ المكان الأوَّل في ديوان الحماسة لأبي تمَّام"[1].

(١) العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، د. محمَّد صبري الأشتر، مديريَّة الكتب والمطبوعات الجامعيَّة، جامعة حلب، حلب، (د. ط)، (١٩٩٤/ ١٩٩٥م)، ص٣٧٧؛ ولمطالعة التئام الفخر بالحماسة، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٣٧٧ – ٤٢٣، (– الفصل الرَّابع: موضوعات المعَلَّقات وأساليب القول فيها/ ٦ – الفخر والحماسة)؛ ويُنظَر أيضًا: تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرَّافعيّ، (ت١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، مكتبة الإيمان، المنصورة، (ط١)، (١٩٩٧م)، ٢: ٩٢، ٩٣، (– الباب الخامس: تاريخ الشِّعر العربيّ ومذاهبه/ – الفخر والحماسة).

وتمثَّلت بواعث شعر "الفخر"، عند الجاهليّين؛ في نظام مجتمع القبيلة؛ القائم على تقدير الدُّستور الأخلاقيّ المثاليّ[١]، فضلًا عن تحدِّي ظروف الصَّحراء القاسية؛ بتمثُّل القيم الأخلاقيَّة والفروسيَّة[٢]، وملاحم أيَّام العرب وما صاحبها من منافراتٍ ومفاخراتٍ[٣]، كما أسهمت البطولة في انتشار "الفخر"، على نحوٍ واضحٍ[٤]؛ مع علاقتها بمعاني: الشَّباب، والكرم، والنَّجدة، والاستمتاع بملذَّات الحياة[٥].

(١) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٥، ١٣٦، (– الباب الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: الفخر والحماسة/ ب – طبيعة الفخر وعوامل ازدهاره في العصر الجاهليّ).

(٢) يُنظَر: الأدب الجاهليّ، أبو زيد وكفافيّ، ص٩١؛ ولاستبطان أثر الصَّحراء، في شيوع شعر الفخر؛ يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضايا، وفنون، ونصوص، أ. د. حسني عبد الجليل يوسف، مُؤسَّسة المختار للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، (ط١)، (٢٠٠١م)، ص٧٩، (– قسم الشِّعر/ – الباب الأوَّل: الشَّاعر والمجتمع الجاهليّ/– رابعًا: الفخر)؛ ويُنظَر: الفخر في الشِّعر العربيّ، سراج الدِّين محمَّد، دار الرَّائد الجامعيَّة، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، ص٦، (– في العصر الجاهليّ).

(٣) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٦.

(٤) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٧.

(٥) يُنظَر: العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٤١٠.

واعتلق "الفخر" بالأغراض الشِّعريَّة الأخرى؛ ذلك أنَّ له صلةً وثيقةً بِـ"الفروسيَّة"، في باب ترسيخ قيمة الرُّجولة الحقَّة[١]، كما ارتبط بِـ"الغزل" في علاقة حبِّ البقاء بحبِّ المرأة[٢]، ثمَّ إنَّ له علاقةً قويَّةً بِـ"الهجاء"، في سياق "الفخريَّات الحماسيَّة"[٣]؛ فحين نقف عليها في "المفضَّليَّات" و"الأصمعيَّات"؛ فإنَّنا سنستظهر العلاقة الوثيقة بينها وبين "الهجاء" المغَلَّف بالتَّهديد[٤]، بحضور المثُل الأخلاقيَّة وأضدادها[٥]، كما يتَّضح أثر "الفخر الحماسيِّ"، في الأغراض الأخرى؛ كالمدح، ووصف الحرب، والرِّثاء[٦].

---

(١) يُنظَر: الفروسيَّة في الشِّعر الجاهليِّ، د. نوري حمُّودي القيسيّ، دار التَّضامن، بغداد، (ط١)، (١٩٦٤م)، ص٢٣٩، (– الباب الثَّاني: شعر الفروسيَّة/ – الفصل الثَّالث: موضوعات شعر الفروسيَّة/ – الفخر والحماسة).

(٢) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٦.

(٣) يُنظَر: تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر الجاهليّ، شوقي ضيف، ص٢٠٢؛ ولاستظهار "المثاليَّة العربيَّة"، وتمثُّلها الإيجابيّ في حالة "المدح"، وتوظيفها السَّلبيّ في غرض "الهجاء"؛ يُنظَر: عيار الشِّعر، لأبي الحسن محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم طَبَاطَبَا العلويّ، (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)، تح: عبَّاس عبد السَّاتر، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (ط٢)، (٢٠٠٥م)، ص١٨، ١٩، (– المثُل الأخلاقيَّة عند العرب وبناء المدح والهجاء عليها).

(٤) يُنظَر: تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر الجاهليّ، شوقي ضيف، ص٢٠٢، ٢٠٣.

(٥) يُنظَر: الشِّعر الجاهليّ؛ منهج في دراسته وتقويمه، د. محمَّد النُّويهيّ، (ت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، الدَّار القوميَّة للطِّباعة والنَّشر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ١: ٢٢٢؛ وللاطِّلاع على المضامين الفخريَّة الجاهليَّة؛ يُنظَر: الشِّعر الجاهليّ؛ منهج في دراسته وتقويمه، النُّويهيّ، ١: ٢٠٩ – ٢٥٤، (– الفصل السَّادس: القيم الاجتماعيَّة؛ الفخر القبليّ).

(٦) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٦.

ويمكن إجمال سمات "الفخر": العاطفيَّة، والمضمونيَّة، والنَّفسيَّة، والفنِّيَّة؛ في صِدْقيَّة العاطفة؛ بفعل عمق التَّجربة المصَوَّرة(١)، وامتزاج الذَّات المتَضخِّمة بكيان القبيلة(٢)، ومخالطته مضامين الأغراض الأخرى، مع براعة التَّنقُّل بينها؛ ممَّا عزَّز أواصر القصيدة الجاهليَّة، فضلًا عن تفلُّته من رقابة المنطق والعقل، وانطلاقه صوب آفاقٍ لا تحدُّ من المبالغات، والتقائه بالمدح في صياغة المثل الأعلى للإنسان العربيّ الجاهليّ، ووقوفه على أحداثٍ كثيرةٍ خطيرةٍ في العصر الجاهليّ، وعلى أسماء الأبطال الَّذين صنعوا هذه الأحداث(٣).

أمَّا من النَّاحية النَّفسيَّة؛ فيرتبط "الفخر" بقمَّة التَّوتُّر العاطفيّ؛ ففيه ينظر الشَّاعر إلى نفسه وقبيلته بمرآةٍ مُقعَّرةٍ؛ فيراهما كبيرتين مزهوَّتين من صنف العمالقة(٤). ويتميَّز "الفخر"، من النَّاحية الفنِّيَّة، بالصُّور الحيَّة المتَحرِّكة، وبالألوان الحادَّة النَّاطقة، وبالبراعة في وصف الحرب والخيل والأسلحة، وباللَّوحات المصَوَّرة الَّتي يطغى عليها لون الدَّم، وبريق الدُّروع، ولمعان السُّيوف، وسواد الغبار الثَّائر؛ ممَّا يتطلَّب إيقاعًا لفظيًّا قويًّا، مُتَردِّد الصَّدى، شديد الجَرْس، مُتَدفِّق النَّبرة(٥).

---

(١) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٦.

(٢) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٧.

(٣) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٥٦، ١٥٧، (– الباب الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: الفخر والحماسة/ هـ – خصائص الفخر)، (بتصرُّف).

(٤) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٥٧، (بتصرُّف).

(٥) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٥٧، ١٥٨، (بتصرُّف).

– ١. ٢. ٢: أنواع الفخر ونزعاته ومظاهره ومثاله.

يمكننا تقسيم "الفخر الجاهليّ" إلى: "فخرٍ فرديٍّ، وفخرٍ قبليٍّ؛ أمَّا الفخر الفرديُّ فمبعثه إعجاب الشَّاعر بنفسه، وادِّعاؤه تفوُّقه على مَن حوله، وقدرته على تهديد النَّاس بسلاحٍ لا يملكون مثله؛ يرفع به ويضع، ويعد ويتوعَّد"(١)؛ وهو، على ذلك، يشمل "ما يقوله الشَّاعر فخرًا بنفسه؛ من: عفَّةٍ، وكرمٍ، وبسالةٍ، وشجاعةٍ، ونسبٍ، وقد يفخر الشَّاعر بشعره وتفوُّقه فيه"(٢).

ويفخر كثيرٌ من الشُّعراء، في إطار "الفخر الذَّاتيّ"؛ "بقُوَّتهم وشجاعتهم وبسالتهم، في مواجهة الأعداء؛ وربَّما كان للبيئة الصَّحراويَّة القاسية تأثيرٌ في دفع الشَّاعر الجاهليّ إلى الفخر بذاته وقُوَّته؛ ليكون ردَّ فعلٍ لتلك الحياة الصَّعبة"(٣).

---

(١) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٧؛ ولاستجلاء "المفاخر الفرديَّة"؛ يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٣٧ – ١٤٧، (– الباب الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّالث: الفخر والحماسة/ ج – الفخر الفرديّ وأهمّ معانيه وصوره: ١ – الشِّعر والفصاحة. ٢ – صلة الخمر بالفخر. ٣ – الأنفة. ٤ – الكرم. ٥ – الشَّجاعة. ٦ – الفخر بمكارم الأخلاق).

(٢) المعجم الأدبيّ، نصَّار، ص١٥٠، (– ف/ – فخر [شعر]).

(٣) الأدب الجاهليّ، أبو زيد وكفافيّ، ص٨٩.

ويُقال "الفخر الجمعيُّ"؛ "افتخارًا بالقبيلة وتاريخها وأمجادها، وما يتحلَّى به رجالها؛ من: المآثر... والعراقة، والسُّرعة، إلى النَّجدة... والكرم، والجاه، وحسن الجوار"[(١)]؛ ممَّا يوحي بترسيخ الأطر الأساسيَّة في نطاق الاهتمام الجاهليِّ؛ ممثَّلةً في: التَّاريخ، والأمجاد، والفضائل.

وإذا ما وقفنا عند مظاهر شعر "الفخر"؛ ألفينا أظهرها ماثلًا في ارتباط الفرد بالقبيلة، ضمن أهدافها ومطامحها وتحدِّياتها[(٢)]؛ ليحضر الإطار القبليُّ في "الفخر"؛ لإنشاده في ظلِّ القبيلة[(٣)]، ولهذا الانتماء القبليِّ؛ أن يظهر في

---

(١) المعجم الأدبيّ، نصَّار، ص١٥٠، (– ف/ – فخر [شعر]).

(٢) يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٤٧، ١٤٨؛ ولمعاينة "المفاخر الجمعيَّة"؛ يُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص١٤٧ – ١٥٦، (– الباب الثَّالث: موضوعات الشِّعر الجاهليِّ/ – الفصل الثَّالث: الفخر والحماسة/ د – الفخر القبليّ وأهمّ معانيه وصوره: ١ – القتال قبل السُّؤال. ٢ – النَّفرة الدَّائمة إلى الحرب والأخذ بالثَّأر. ٣ – السَّطوة على الملوك. ٤ – الأنساب والأمجاد. ٥ – السِّيادة وكثرة العدد والعتاد. ٦ – الفخر بمكارم الأخلاق).

(٣) يُنظَر: الجامع في تاريخ الأدب العربيِّ؛ الأدب القديم، حنَّا الفاخوريّ، (ت٢٠١١م)، دار الجيل للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، بيروت، (ط١)، (١٩٨٦م)، ص١٦٦، (– الأدب العربيّ القديم: الأدب الجاهليّ/ – الباب الرَّابع: الشِّعر الجاهليّ/ – الفصل الثَّاني: أقسام الشِّعر الجاهليِّ/ ب – شعر الحياة والمناقب القبليَّة)؛ ولاستطلاع الدَّوافع: الاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والسِّياسيَّة، والنَّفسيَّة، للفخر القبليِّ؛ يُنظَر: شعر الفخر عند الشُّعراء الفرسان في العصر الجاهليِّ؛ دراسة تحليليَّة، حنان أحمد جاد الله الحتاملة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: د. إبراهيم السّنجلاويّ، جامعة اليرموك، إربد، (١٩٩٤م)، ص٣٧ – ١٠٢، (– الفصل الثَّالث: دوافع

تقاطع المضامين الفخريَّة: الذَّاتيَّة، والجمعيَّة[1]؛ إذ كان الشَّاعر الجاهليُّ يقوم بذلك في إطار ولائه للقبيلة[2].

ونصل، من ذلك، إلى نتيجةٍ راسخةٍ؛ مفادها: أنَّ "المطَّلِع على الشِّعر الجاهليّ؛ سيجد أنَّ شعر الفخر، بشكلٍ عامٍّ، كان مرتبطًا، إلى حدٍّ بعيدٍ، بالقبيلة وسادتها وفرسانها وأفرادها؛ فهو ليس فخرًا ذاتيًّا أو فرديًّا؛ لأنَّ شخصيَّة الفرد ما هي إلَّا شخصيَّة القبيلة نفسها، وما يُحقِّقه الفرد من إنجازٍ شخصيٍّ، على صعيد المزايا والصِّفات والانتصارات؛ فإنَّما هو تحقيقٌ لكلِّ أفراد القبيلة، الَّتي كان الولاء الأوَّل لها، والجهد الأكبر ينصبُّ على خدمتها

شعر الفخر القبليّ ومعانيه وقيمه العامَّة)؛ وللتَّعرُّف إلى أسباب الفخر، وأقسامه، وموضوعاته؛ يُنظَر: الفخر في الشِّعر الجاهليّ؛ "الفخر بين عنترة بن شدَّاد وعمرو بن كلثوم"؛ دراسة موازنة، نوال حدو، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. رضوان النَّجَّار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (٢٠١٠/ ٢٠١١م)، ص٦ – ٢٤، (– الفصل الأوَّل: الفخر في الشِّعر الجاهليّ).

(١) يُنظَر: المعجم الأدبيّ، عبد النُّور، ١: ١٨٩، (– ف/ – فخر)؛ وللوقوف على تعالق النَّزعتين: الذَّاتيَّة، والقبليَّة، في الفخر؛ يُنظَر: شعر الفخر عند الشُّعراء الفرسان في العصر الجاهليّ؛ دراسة تحليليَّة، الحتاملة، ص١٠٣ – ١٦٨، (– الفصل الرَّابع: المراوحة بين النَّزعة الذَّاتيَّة والنَّزعة القبليَّة في شعر الفخر).

(٢) يُنظَر: الفرد والجماعة في الشِّعر الجاهليّ، د. عبد المجيد زَراقط، مجلَّة الفكر العربيّ، معهد الإنماء العربيّ، بيروت، لبنان، (ع: ٥٤)، (كانون الأوَّل، ديسمبر/ ١٩٨٨م)، ص٧٠، (– مهمَّة قبليَّة: ولاء مطلق للجماعة).

وإعلاء شأنها، وعَبِيد بن الأَبْرَص، في شعره، لم يكن بعيدًا عن ذلك الإطار؛ فهو شاعر القبيلة الَّتي يعيش لها، ويدافع عنها، ويهب نفسه فداءً لها؛ فقد استأثرت القبيلة منه بالاهتمام الكبير، وقلَّما تقرأ قصيدةً أو مقطوعةً إلَّا وللقبيلة وأفرادها ذكرٌ يُمجِّد المحاسن والفضائل، ويذبُّ عن الأهل والحرمات"[(١)].

ولعلائق "الفخر" بالنَّزعتين: الفرديَّة، والقبليَّة، أهمِّيَّةٌ بالغةٌ في فهم الصُّورة الشِّعريَّة الإجماليَّة؛ السَّاعية إلى تكريس المثال في الذَّات المؤطَّرة بانتماء الجماعة؛ "فالنَّزعة القبليَّة تعني تمسُّك العربيّ بنسب قبيلته تمسُّكًا شديدًا، وخضوعه التَّامَّ لشريعة القبيلة"[(٢)]؛ وفق مبدأ التَّعصُّب الشَّديد لها، والالتحام الوجوديّ بها[(٣)]؛ وعليه انبنى معيار التَّمايز بين الولاء والتَّمرُّد[(٤)].

---

(١) الصُّورة الفنِّيَّة في شعر عَبِيد بن الأَبْرَص، عامر سمار الرّشيديّ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. خليل الرّفوع، جامعة مؤتة، الكرك، (٢٠١٠م)، ص٢٦، (- الفصل الثَّاني: أغراض الصُّورة الفنِّيَّة عند عَبِيد بن الأَبْرَص/ ٢. ١. موضوعات الصُّورة/ ٢. ١. ١. الفخر).

(٢) الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، د. عبد الغنيّ أحمد زيتونيّ، مركز زايد للتُّراث والتَّاريخ، العين، (ط١)، (٢٠٠١م)، ص٥١.

(٣) يُنظَر: الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص٥١؛ ولتَبيُّن حيثيَّات "النَّزعة العصبيَّة"، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص٥١ – ٨٣، (- الباب الأوَّل: العلاقات الاجتماعيَّة/ - الفصل الثَّاني: النَّزعة العصبيَّة).

(٤) يُنظَر: الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص١١٣، ١١٤، (- الباب الأوَّل: العلاقات الاجتماعيَّة/ - الفصل الثَّالث: النَّزعة الفرديَّة/ ٣ – الموقف من الأفراد/ - ثالثًا: الخصم)؛

وممَّا يسترعي الانتباه، تأصيل "الفخريَّات الجاهليَّة"، لمظاهر "الفروسيَّة" المختلفة؛ "أمَّا الفروسيَّة فهي صورةٌ ممتازةٌ من صور الفُتُوَّة؛ وقد دعت إليها حياة العرب في الصَّحراء، ونظامهم القبليُّ، وتنوَّعت مظاهر الفروسيَّة؛ فمن فروسيَّة الصَّعاليك الَّتي تجلَّت في المخاطرة والمغامرة، إلى فروسيَّة الفرسان من سادات القبائل وأبطالها؛ وقد ارتبطت هذه الفروسيَّة بمعنى السِّيادة والشَّرف والنُّبل، وتجلَّت في ساح القتال"(١)، و"تمثَّلت الفروسيَّة بجانبيها: الحربيّ، والخُلُقيّ، في الشُّعراء الفرسان؛ الَّذين تغنَّوْا بصفاتهم ومُثُلهم العليا، ورفعوا البطولة إلى مقامٍ كريمٍ، وبذلوا النَّفس في سبيلها"(٢).

وللفارس أن ينماز، في وحي السَّابق، "بصفاتٍ خاصَّةٍ؛ فهو يجيد ركوب الخيل، ويَحذِق استعمال السِّلاح، ويخوض غمرات القتال؛ دفاعًا عن العشيرة، وقد يمنع الجار من عدوِّه، وينجد الضَّيف، ويحترم المرأة، وهو أَبِيٌّ كريمٌ؛ ومَظْهَرُ

ولاستكناه ملامح "النَّزعة الفرديَّة"؛ يُنظَر: الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص٨٤ – ١١٤، (– الباب الأوَّل: العلاقات الاجتماعيَّة/ – الفصل الثَّالث: النَّزعة الفرديَّة/ ١ – الخروج على القبيلة/ ٢ – التَّميُّز الفرديّ/ ٣ – الموقف من الأفراد).

(١) العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٤١٠

(٢) العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٤١١.

كَرمِه: شُرْبُ الخمر، وإنفاق المال، ودعوة النَّدامى إلى مجلس الشَّراب، ونحر الجَزُور في الشِّتاء، وإطعام الجيران والضِّيفان، والتَّحلِّي بالصِّدق والوفاء"[(١)].

ويُجسِّد عَبِيد (ت٢٥ ق. هـ) أمثولةً مهمَّةً، في الفخر الجاهليّ؛ وقد عدَّه ابن سلَّام الجمحيُّ (ت٢٣١هـ)، ضمن شعراء الطَّبقة الرَّابعة، من فحول الجاهليَّة، ذاكرًا شعراء هذه الطَّبقة، بقوله: "وهم أربعةُ رَهْطٍ، فحولٌ شعراءُ، موضعُهم مع الأوائل؛ وإنَّما أخلَّ بهم قلَّة شعرهم بأيدي الرُّواة؛ طَرَفَة بن العَبْد (ت٦٠ ق. هـ)... وعَبِيد بن الأَبْرَص بن جُشَم بن عامر أحد بني دُودَان بن أسد بن خُزَيْمة، وعَلْقَمة بن عَبَدَة (ت٢٠ ق. هـ)... وعَدِيّ بن زَيْد (ت٣٥ ق. هـ)"[(٢)].

---

(١) العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٤١١؛ ولاستبيان أظهر ملامح الفروسيَّة، عند الشُّعراء؛ من حيث عدَّة الفارس وتقاليده؛ يُنظَر: العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، الأشتر، ص٤١١ – ٤١٩، (– الفصل الرَّابع: موضوعات المعَلَّقات وأساليب القول فيها/ ٦ – الفخر والحماسة/ أ – عدَّة الفارس: ١ – الخيل. ٢ – السِّلاح. ٣ – لَبُوس الفارس/ ب – تقاليد الفارس).

(٢) طبقات فحول الشُّعراء، لأبي عبد الله محمَّد بن سلَّام بن عبيد الله الجمحيّ، (ت٢٣١هـ/ ٨٤٦م)، تح: محمود محمَّد شاكر، دار المدنيّ، جدَّة، ومطبعة المدنيّ، القاهرة، (د. ط)، (١٩٧٤م)، ١: ١٣٧، (– الطَّبقة الرَّابعة).

ونرى ابن سلَّامٍ يصف الشَّاعر وشعره، على نحوٍ إجماليّ، قائلًا: "وعَبِيد بن الأَبْرَص قديمٌ عظيم الذِّكر، عظيم الشُّهرة، وشعره مضطربٌ ذاهبٌ، لا أعرف له إلَّا قوله[1]:

[من مُخلَّع البسيط]

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ فَالْقُطَبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ

ولا أدري ما بعد ذلك"[2].

ويلزمنا، في ضوء السَّابق، التَّأكيد على أنَّ "الشِّعر الَّذي صحَّ لعَبِيد بين أيدي الرُّواة قليلٌ، وحُمِل عليه شعرٌ غثٌّ يتداوله النَّاس؛ أمَّا مقالة ابن سلَّام بأنَّه لا يصحُّ له إلَّا "**أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ**"؛ فتلك مقالةٌ تحمل المبالغة والمغالاة،

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ، (ت٢٥ ق. هـ/ ٦٠٠م)، تح: د. عمر فاروق الطَّبَّاع، دار القلم للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، (د. ط)، (١٩٩٤م)، ص١١، (– قافية الباء/ – المعَلَّقة، المجَمْهَرة)؛ ولالتماس القراءة النَّقديَّة البلاغيَّة المعَمَّقة للقصيدة؛ يُنظَر: مُجَمْهَرة عَبِيد بن الأَبْرَص؛ دراسة نقديَّة بلاغيَّة، ناجي، ص١ – ٢٠٨؛ ولمتابعة التَّحقيق الموسيقيّ للقصيدة؛ يُنظَر: مُجَمْهَرة عَبِيد بن الأَبْرَص في الميزان الشِّعريّ/ الموسيقيّ، د. عبد الحميد حمام، مجلَّة كُلِّيَّة الآداب، جامعة الملك سعود، الرِّياض، السُّعوديَّة، (مج: ٣)، (ع: ٢)، (١٩٩١م)، ص٣٤٥ – ٣٨٢.

(٢) طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلَّام الجمحيّ، ١: ١٣٨، ١٣٩، (١٦٧ – عَبِيد بن الأَبْرَص).

وتنقضها مقالته الثَّانية؛ الَّتي تقرُّ بعشر قصائد لعَبِيد وطَرَفَة[1]... أمَّا الَّذي لا خلاف فيه؛ فهو أنَّ الَّذي أصاب شعر عَبِيد من السُّقوط والحَمْل عليه أكثر ممَّا أصاب غيره من فحول الجاهليَّة؛ ففي ديوان عَبِيد شعرٌ محمولٌ؛ بعضه غثٌّ مرذولٌ، وبعضه ذو صبغةٍ إسلاميَّةٍ واضحةٍ؛ من زيادة بعض المتَأخِّرين، غير أنَّ هذا المحمول من الهيِّن تمييزه؛ ولا سيَّما أنَّ شعر عَبِيد يحمل قدرًا كبيرًا من الذَّاتيَّة الفنِّيَّة"[2].

وللشَّاعر حضورٌ فروسيٌّ لافتٌ في مجتمع القبيلة؛ "ومن المحَقَّق أنَّه كان لعَبِيد في تاريخ قومه مقامٌ لا يُجهَل؛ فقد اشترك في قيادة زحوفهم، في غاراتهم المختلفة، بينهم وبين كثيرٍ من القبائل العربيَّة، في داخل الجزيرة، ومع بعض ملوك الشَّام من الغسَّانيِّين، في حروبهم الخارجيَّة"[3].

ولذا؛ نجده يصف نفسه "باعْتِسَاف اللَّيل، واقتحام الأخطار، وهو على ظهر وَجْنَاء ناجيةٍ، أو في صَهْوَة جوادٍ سابحٍ، يطيل الافتخار بآثار القبيلة،

---

(١) قال ابن سلَّام الجمحيُّ: "وممَّا يدلُّ على ذهاب الشِّعر وسقوطه؛ قلَّة ما بقي بأيدي الرُّواة المصَحِّحين لطَرَفَة وعَبِيد، اللَّذَيْن صحَّ لهما قصائد بقَدْر عشرٍ..."؛ نقلًا عن: طبقات فحول الشُّعراء، ابن سلَّام الجمحيّ، ١: ٢٦.

(٢) عَبِيد بن الأَبْرَص؛ ديوانه والمستدرك عليه، د. محمَّد عليّ دقَّة، مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة، دمشق، سوريا، (مج: ٧٢)، (ج: ٣)، (١٩٩٧م)، ص٥٣٣.

(٣) الأدب العربيّ وتاريخه في العصر الجاهليّ، محمَّد هاشم عطيَّة، (ت١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده، القاهرة، (ط٣)، (١٩٣٦م)، ص٢٩٨، (- تراجم الشُّعراء/ ٧ – عَبِيد بن الأَبْرَص/ - حياته وأخباره).

ويـذكر انتصـاراتها علـى الأعـداء، ويتحـدَّث، دائمًـا، بثـورة قومـه بـني أسـد، وخـروجهم علـى حُجـر (د. ت) أبي امـرئ القـيس وقتلـه. ويـذكر امـرأ القـيس (ت٨٠ ق. هـ)، ويُعرِّض بخذلانه لأبيه، وعجزه عن الأخذ بثأره، ويعارضه في بعض قوافيه، ويشير إلى رحلته إلى بلاد الرُّوم؛ للاستعانة بقيصر (جستينيان الأوَّل/ ت نحو ٥٧ ق. هـ)، ثمَّ يعود إلى نفسه؛ فيذكر بلاءه وأيَّامه، وبذله لإخوانه، ويُلِمُّ بالشَّراب والغناء ولهو الحياة، وأينما ذهبت به مفارق الكلام لا ينسى ديار قومه؛ ويمضي، في هذه النَّاحية، حتَّى لا يدع ماءً ولا جبلًا ولا ثَنِيَّةً ولا دارةً من داراتهم إلَّا ذكر أسماءها، وعرف مواقعها؛ وشعره، من هذه الجهة، شعرٌ تاريخيٌّ يتناول الاجتماع البدويَّ[(١)]، بما يشبه صنيع المؤَرِّخين في حياة الأمم"[(٢)]، مع انضوائه ضمن مرحلة النُّضج الطَّبيعيِّ، لشعر الجاهليَّة[(٣)].

(١) للتَّعمُّق في حيثيَّات "مظاهر البداوة"، في الشِّعر الجاهليِّ؛ يُنظَر: مظاهر البداوة وصورها في الشِّعر الجاهليِّ، أحمد اسبيتان الشَّواورة، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، إشراف: أ. د. خليل الرّفوع، جامعة مؤتة، الكرك، (٢٠١٥م)، ص٤ – ١٧، (– الفصل الأوَّل: البداوة؛ مفهومها وخصائصها)؛ ص١٨ – ٥٣، (– الفصل الثَّاني: البادية وآثارها الاجتماعيَّة)؛ ص٥٤ – ٨٧، (– الفصل الثَّالث: مسكن البدويِّ وأدواته)؛ ص٨٨ – ١١٣، (– الفصل الرَّابع: الحياة الاقتصاديَّة عند البدو)؛ ص١١٤ – ١٥٠، (– الفصل الخامس: مصادر الصُّورة وأنماطها).

(٢) الأدب العربيّ وتاريخه في العصر الجاهليِّ، عطيَّة، ص٣٠٠، ٣٠١، (– تراجم الشُّعراء/ ٧ – عَبِيد بن الأَبْرَص/ – حياته وأخباره/ – شعره).

(٣) يُنظَر: مُجْمَهَرة عَبِيد بن الأَبْرَص؛ دراسة نقديَّة بلاغيَّة، د. أحمد سعد عبد الرَّازق ناجي، مجلَّة كُلِّيَّة اللُّغة العربيَّة، جامعة الأزهر، إيتاي البارود، البحيرة، مصر، (مج: ٢٣)، (ع: ٢)،

وكان عَبِيد "من دُهَاة الجاهليَّة وحكمائها، وهو أحد أصحاب "المجمهرات" المعدودة طبقة ثانية عن المعَلَّقات. عاصر امرأ القيس، وله معه مناظراتٌ ومناقضاتٌ. عُمِّرَ طويلًا حتَّى قتله النُّعمان بن المنذر (ت٢٨ ق.هـ)، وقد وفد عليه في يوم بؤسه"(١).

(٢٠٠٨م)، ص١٩ - ٢٣، (- التَّمهيد/ - ثالثًا: شعر عَبِيد يُمثِّل مرحلة النُّضج الطَّبيعيّ للشِّعر الجاهليّ).

(١) الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدِّين الزِّرِكْليّ، (ت١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، (ط١٥)، (أيَّار، مايو/ ٢٠٠٢م)، ٤: ١٨٨، (- حرف العين/ - عَبِيد بن الأَبْرَص، [ت نحو ٢٥ ق. هـ = نحو ٦٠٠م])؛ ولمقاربة ترجمة الشَّاعر الحياتيَّة والأدبيَّة؛ يُنظَر: الشِّعر والشُّعراء، لأبي محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوريّ، (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، تح: أحمد محمَّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، (١٩٨٢م)، ١: ٢٦٧ - ٢٦٩، (- تراجم الشُّعراء/ ٢٢ – عَبِيد بن الأَبْرَص [الأسديّ])؛ ويُنظَر: تاريخ آداب اللُّغة العربيَّة، جرجي زيدان، (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، طبعة جديدة راجعها وعلَّق عليها: د. شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، (د. ط)، (د. ت)، ١: ١١٤ – ١١٦، (- الشِّعر في العصر الجاهليّ/ - أشهر شعراء الجاهليَّة/ - أصحاب المعَلَّقات/ ١٠ – عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ، [تُوفِّي سنة ٥٥٥هـ])؛ ويُنظَر: الأدب العربيّ وتاريخه في العصر الجاهليّ، عطيَّة، ص٢٩٦ – ٣١٧، (- تراجم الشُّعراء/ ٧ – عَبِيد بن الأَبْرَص)؛ ويُنظَر: الجامع في تاريخ الأدب العربيّ؛ الأدب القديم، الفاخوريّ، ص٢٤١ – ٢٤٣، (- الأدب العربيّ القديم: الأدب الجاهليّ/ - الباب السَّابع: شعراء البلاط والتَّكسُّب/ - الفصل الأوَّل: في موكب المعَلَّقات/ – عَبِيد بن الأَبْرَص، [تُوفِّي نحو سنة ٥٥٤م])؛ ويُنظَر: الأدب الجاهليّ؛ قضاياه - أغراضه - أعلامه - فنونه، طليمات والأشقر، ص٤٣٩ – ٤٥٩، (- الباب الرَّابع: شعراء المعَلَّقات العشر/- الفصل العاشر: عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ، [٤٥٥ –

كما كان شاعرًا "ذا شأنٍ، وكان لشعره شيوعٌ وسيرورةٌ؛ أمَّا قبيلته بنو أسد فقد كانت في نجد؛ بين شماليّ الحجاز وجنوبيّ الشَّام، وشرقيّ طريق التِّجارة الَّذي يصل الشَّام باليمن، وغربيّ جبلي طَيِّء: أجأ، وسلمى؛ وربَّما أدَّى قرب بني أسد من طَيِّء إلى نوعٍ من الاتِّصال بالطَّائيِّين؛ وهذا الموضع يعني أنَّهم كانوا جيران الغساسنة؛ ولذلك كانت أسد أولى القبائل غير اليمنيَّة الَّتي كان الملك الغسَّانيُّ يحاربها لتأديبها، وكفِّ غزواتها عن ملكه، وعن بلاد الرُّومان"(١).

***

٥٤٥م])؛ ويُنظَر: عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ؛ حياته وشعره، رفعت عبد الله مصطفى عابد، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الأردنيَّة، عمَّان، (١٩٨٩م).

(١) الأدب الجاهليّ؛ قضاياه – أغراضه – أعلامه – فنونه، طليمات والأشقر، ص٤٣٩.

– ٢: التَّنميط الفخريُّ الحماسيُّ الذَّاتيُّ.

– ٢. ١: التَّنميط الفروسيُّ.

حضر التَّنميط الفروسيُّ الذَّاتيُّ؛ ضمن نسقي: المباشرة، والإيحاء؛ أمَّا المباشرة فكانت تأصيلًا لفروسيَّة الشَّاعر ضمن نمطي: العطاء، والفداء؛ ليقترن الأوَّل بالسُّمُوِّ المسلكيِّ المادِّيِّ؛ ويرتبط الثَّاني بالجدارة القتاليَّة؛ مع مُثُول الإيحاء في الفَخْر بمثاليَّة النَّاقة والفرس؛ في نطاقات: القتال، والتَّرحال، والصَّيد.

ويكون مستهلُّ الخطاب بزجر أبي كَربٍ، عقب المطلع الغزليِّ الطَّيفيِّ في "أسماء" الرَّاحلة؛ لغاية توجيه الصَّدارة التَّعبيريَّة، للفخر بالذَّات، بسبيل التَّأكيد الإخباريِّ الاسميِّ الرَّاسخ، ثمَّ الفعليِّ الفروسيِّ، فيقول عَبِيد[١]:

[من البسيط]

اذْهَبْ إِلَيْكَ فَإِنِّي مِنْ بَنِي أَسَدٍ ... أَهْلِ الْقِبَابِ وَأَهْلِ الْجُرْدِ وَالنَّادِي

قَدْ أَتْرُكُ الْقِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ ... كَأَنَّ أَثْوَابَهُ مُجَّتْ بِفِرْصَادِ

أَوْجَرْتُهُ وَنَوَاصِي الْخَيْلِ شَاحِبَةٌ ... سَمْرَاءَ عَامِلُهَا مِنْ خَلْفِهِ بَادِي

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣٦، (– قافية الدَّال/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١٣]: طَافَ الْخَيَالُ عَلَيْنَا لَيْلَةَ الْوَادِي...).

وعندما يبتني الشَّاعر من مفتاح اللَّوحة أداة الإنشاء الزَّاجِر؛ فلغاية المكْنة الأصوليَّة المرتدَّة إلى النَّسب القبليّ، وفي لُبِّ المقُول تتبدَّى "أسد" بعظمة كينونتها؛ بالكنايات المؤَكِّدة ثيمَات: السِّيادة بدالِّ "القِبَاب"، والفروسيَّة بملفوظ "الجُرْد"، وزعامة الرَّأي والحكمة بإيحاء "النَّادِي"، على اعتلاقها جميعًا بالأهليَّة؛ المنبئة عن الرُّسوخ والثَّبات، وارتدادها الفخريّ إلى الأنويَّة المندغمة مع الجماعة؛ وأمَّا الإشارة إلى نادي القبيلة فتندرج ضمن الإشارات الكثيرة له في الشِّعر الجاهليّ؛ "وفي ذلك تدليلٌ على مدى تماسك الأواصر القبليَّة، وسيادة مبدأ الشُّورى، عند أهل الرَّأي، قبل مرحلة الرِّئاسة المطلقة، وذوبان الفرد في الجماعة"(١).

ويتَّخذ التَّنْميط الفخريُّ الذَّاتيُّ، تاليًا، أمثولة الفروسيَّة، في المواجهة القتاليَّة الحاسمة، الَّتي تتمظهر بالمؤَدَّى، ثمَّ ترعوي إلى المسَبِّب النَّاجز في جسد الخصم القتيل؛ حين يصرع الشَّاعر خصمه لينزف دمًا إلى حدِّ الاصفرار؛ ذلك الَّذي بدا في تقانة التَّصوير البلاغيّ مُؤَكَّد الكَثْرة، بحُمْرة اللَّون، الموازية حُمْرة التُّوت؛ على ما في الأسلوب الشِّعريّ من مُؤَشِّر الفخر الفروسيّ بالظَّفَر السَّاحق في النِّزال؛ بفعل الطَّعن النَّافذ بالرُّمح في جسد الآخر.

---

(١) قصَّة الأدب العربيّ، د. خالد يوسف، مُؤسَّسة الرِّحاب الحديثة، بيروت، (د. ط)، (٢٠١١م)، ص٨٠، (- القسم الثَّاني: الأدب العربيّ في ظلِّ المؤَثِّرات/ - المجتمع والنِّظام السِّياسيّ/ - النَّادي القبليّ في الجاهليَّة).

وينهج الشَّاعر نهج الفخر الذَّاتيّ المشتمل بالفروسيَّة، المتَّكئة على أداتي التَّرْحال في بيئة الجاهليّين؛ بمثالي: الفرس، والنَّاقة؛ وفيهما خصيصة الارتقاء التَّصويريّ بالسِّمات الخَلْقيَّة الأسطوريَّة؛ في مقامي: الصَّيد، والتَّرْحال، على ما في اللَّوحات الشِّعريَّة من فخريَّاتٍ ذاتيَّةٍ ظاهرةٍ ومُبَطَّنةٍ؛ تتوسَّل بالمثال الحيوانيّ ترسيخ مثاليَّة الفارس العربيّ الهُمَام.

ويستعيد الشَّاعر ذكرى "سُلَيْمَى" واصفًا يوم الرَّحيل، ومُعَرِّجًا، في إثر ذلك، على ابتناء لوحة الصَّيد بالفرس المثاليَّة، الَّتي تلامس أقطاب: الخِلْقة، والحركة، والصَّيد، والمؤَدَّى، قائلًا(١):

[من الطَّويل]

وَقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ الْغَطَاطِ وَصَاحِبِي أَمِينُ الشَّظَا رِخْوُ اللَّبَانِ سَبُوحُ

إِذَا حَرَّكَتْهُ السَّاقُ قُلْتُ مُجَنَّبٌ غَضِيضٌ غَذَتْهُ عَهْدَةٌ وَسُرُوحُ

مَرَاتِعُهُ الْقِيعَانُ فَرْدٌ كَأَنَّهُ إِذَا مَا تُمَاشِيهِ الظِّبَاءُ نَطِيحُ

فَهَاجَ لَهُ حَيٌّ غَدَاةً فَأَوْسَدُوا كِلَابًا فَكُلُّ الضَّارِيَاتِ يُشِيحُ

إِذَا خَافَ مِنْهُنَّ اللَّحَاقَ نَمَتْ بِهِ قَوَائِمُ حَمْشَاتُ الأَسَافِلِ رُوحُ

وَقَدْ أَتْرُكُ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ بِصَدْرِهِ مُشَلْشِلَةٌ فَوْقَ النِّطَاقِ تَفُوحُ

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣٠، ٣١، (- قافية الحاء/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٩]: نَأَتْكَ سُلَيْمَى فَالْفُؤَادُ قَرِيحُ...).

دَفُــوعٌ لأَطْـرَافِ الأَنَامِــلِ ثَـــرَّةٌ لَهَـا بَعْـدَ إِشْـرَافِ الْعَبِيـطِ نَشِيـحُ

إِذَا جَـاءَ سِـرْبٌ مِـنْ ظِبَـاءٍ يَعُدْنَـهُ تَبَــادَرْنَ شَتَّـــى كُلُّهُـــنَّ تَنُـــوحُ

وينبني تأسيس استهلال اللَّوحة، على مقاربةٍ واعيةٍ للغُدُوّ الاستشرافيّ، في المِوَازِيات النَّصِّيَّة الجاهليَّة؛ الَّتي تقاطعت في إنماء الحسّ الحركيّ للخصوبة الحياتيَّة، عقب البُعد الأنثويّ، وارتحال القبيلة؛ ليكون للحركة المقترنة بانبلاج الزَّمن؛ في صباح القابل على إخصاب اللَّوحة بمُبْتَنى التَّصوير الفعليّ؛ أثر المجابهة التَّوليديَّة لدواعي الحياة والنَّماء.

ويكون المنحى الفنِّيُّ الإنمائيُّ منبعثًا للفخر الذَّاتيّ الَّذي يُجلِّل اللَّوحة بكُلِّيَّتها؛ من خلال التَّوصيف الدَّقيق لسمات الفرس المثاليَّة؛ ذات العظم الرَّقيق، والصَّدر الواسع، والسَّير المنبسط، والسِّمَن المتَوَلِّد من الأمطار المتتابعة والمراعي الخصيبة، ثمَّ تتجلَّى مشهديَّة الطَّرد في حركة ملاحقة الفرس والكلاب للهدف/ الظَّبية؛ لتتعالى البؤرة التَّصعيديَّة للفعل الفخريّ بدقَّة الإصابة؛ لإيحاء مُكْنة الصَّائد من الصَّيد؛ على مفارقة الحُبُور من جهة الفارس، والنُّوَاح من جهة سرب الظِّباء.

ويمكننا وفق الفهم المحايث للَّوحة الشِّعريَّة، قراءة مُخرَجها الغائيّ على نمطي: وَقْعَنة الحدث، وأَسْطَرة الفنّ؛ بتبدِّي انتصار الفعل على سكون الطَّلل في الأوَّل، ومُثُول إخصاب التَّصوير لجَدْب المكان في الثَّاني، مع حضور مُؤَسِّسات الحياة، ورموز الأسطورة؛ الموحية بقيم الخصوبة الحياتيَّة.

ويُؤسِّس عَبِيد لنمط الفخر الفروسيّ المثاليّ؛ بحضور النَّاقة تارةً، والفرس تارةً أخرى، على تملُّك المطيَّتَيْن سمات الفرادة الشَّكليَّة والفِعليَّة؛ ولهذا كلِّه أن يحيل إلى الفخر الذَّاتيّ، على سبيل امتلاك الحيوان المثال، في عظيم الملمَّات؛ وليس أدعى لهذا الخلق الفنّيّ؛ من أزمة الفناء عقب الحياة الخصيبة؛ فانتفاء حضور الأنثى؛ مدعاةٌ للقلق الوجوديّ؛ المنعكس على تصوير المشهد؛ بفاجعة التَّأمُّل البكائيّ في جَدْب الطَّلل، واسترسال الاستبصار الرُّوحيّ في إثر الموكب الرَّاحل.

ويصدر المقول الفخريُّ، عن عَبِيد، في لُبِّ الأزمة الطَّلليَّة، مُشَبِّبًا بـ"فاطمة" الرَّاحلة، ومُستذكِرًا ملامح حسنها الفريد؛ ليتناسى، تاليًا، حُبَّها بالنَّاقة المثال؛ تَقدِمةً للفخر الذَّاتيّ والجمعيّ، حيث يقول[1]:

[من الكامل]

أَفَـلا تُنَـاسِـي حُبَّهَـا بِجُلالَـةٍ وَجْنَـاءَ كَالأُجُـمِ الْمَطِينِ وَلُـوسِ

...

أَمَّـا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهَـا فَكَأَنَّـهَـا ذَبُلَتْ مِـنَ الْهِنْـدِيِّ غَيْـرَ يَبُوسِ

أَمَّـا إِذَا اسْتَدْبَرْتَهَـا فَكَأَنَّـهَـا قَـارُورَةٌ صَفْـرَاءُ ذَاتُ كَبِيـسِ

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٥٢ – ٥٤، (- قافية السِّين/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢٣]: لِمَنِ الدِّيَارُ بِصَاحَةٍ فَحَرُوسِ...).

وَإِذَا اقْتَنَصْنَا لا يَجِفُّ خِضَابُهَا وَكَـأَنَّ بِرْكَتَهَـا مَـدَاكُ عَـرُوسِ
وَإِذَا دَفَعْنَـا لِلْحِـرَاجِ فَنَهْبُـهَـا أَدْنَـى سَـوَامِ الْجَامِـلِ الْمَحْلُوسِ
هَاتِيكَ تَحْمِلُنِي وَأَبْيَـضَ صَارِمًـا وَمُحَـرَّبًـا فِـي مَـارِنٍ مَخْمُـوسِ
فِي أُسْرَةٍ يَـوْمَ الْخِفَـاظِ مَصَالِتٍ كَالأُسْـدِ لا يُنْمَـى لَهَـا بِفَرِيـسِ
وَبَنُـو خُزَيْمَـةَ يَعْلَمُـونَ بِأَنَّنَـا مِـنْ خَيْرِهِـمْ فِـي غِبْطَـةٍ وَبَئِيـسِ
نُبْكِـي عَدُوَّهُـمُ وَيَنْطَـحُ كَبْشُنَـا لَهُـمُ وَلَيْـسَ النَّطْـحُ بِالْمَوْمُوسِ

وتتوالى التَّوصيفات المشبعة بمثاليَّة التَّصوير الحسِّيّ؛ فالنَّاقة المثال ضخمة البنية، صلبة المِراس، فضلًا عن سماتها الماثلة في: شدَّة القِوام، وسرعة الجري، ونشاط الحركة، واستطالة القوائم، وحدَّة المشافر، وقوَّة العزم، وهي، حال الاستقبال، هزيلةٌ ضامرةٌ؛ لسيرها الحثيث، وفي الإدبار قارورة شرابٍ؛ لاستدارة أوراكها، ولا يجفُّ دم الصَّيد عن صدرها الحجريّ الصُّلب، كما أنَّها قادرةٌ على التَّكيُّف مع الدَّرب الوعر؛ ولهذه السِّمات المثاليَّة أن تواكب دورها الواقعيَّ، وإشاريَّتها الرَّمزيَّة؛ لتجاوز الجَدْب السَّابق؛ باستلهام الخِصْب المنشود(١).

(١) حول رمزيَّة "النَّاقة" للتَّجاوز، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: دلالات الوحدة في قصيدة الصَّيد الجاهليَّة، عصام محمَّد المشهراويّ، مجلَّة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانيَّة، غزَّة، فلسطين، (مج: ١٢)، (ع: ٢)، (٢٠١٠م)، ص١٢٥ – ١٣٢، (ج – النَّاقة رمزٌ للتَّجاوز).

ولمجمل اللَّوحة اقترانٌ بالفخر في أعلى مراتب الفروسيَّة؛ حين يتَّخذ الشَّاعر من مفتاح الإشارة "هاتيك" مُتَّكأً للإخبار الفِعليّ؛ المنبئ عن التَّحفُّز في القتال، وقد اتَّشح الفارس بسيفه الصَّارم، وحمل رمحه المستطيل، مقبلًا مع رهطه في يوم الحَمِيَّة والنِّزال، وهم الشُّجعان كالأُسْد الشَّامخة الَّتي لا تُصَاب في مقتلٍ.

وعندما يقف الشَّاعر على دار "هند" باكيًا وصحبه أطلالها، نراه، لاحقًا، يخلص إلى تسرية الذَّات بالنَّاقة المثال، فيقول(١):

[من البسيط]

وَقَدْ أُسَلِّي هُمُومِي حِينَ تَحْضُرُنِي ... بِجَسْرَةٍ كَعَلاةِ الْقَيْنِ شِمْلالِ

زَيَّافَةٍ بِقُتُودِ الرَّحْلِ نَاجِيَةٍ ... تَفْرِي الْهَجِيرَ بِتَبْغِيلٍ وَإِرْقَالِ

مَقْذُوفَةٍ بِلَكِيكِ اللَّحْمِ عَنْ عُرُضٍ ... كَمُفْرَدٍ وَحَدٍ بِالْجَوِّ ذَيَّالِ

هَذَاْ وَرُبَّتُ حَرْبٍ قَدْ سَمَوْتُ لَهَا ... حَتَّى شَبَبْتُ لَهَا نَارًا بِإِشْعَالِ

تَحْتِي مُضَبَّرَةٌ جَرْدَاءُ عِجْلِزَةٌ ... كَالسَّهْمِ أَرْسَلَهُ مِنْ كَفِّهِ الْغَالِي

وَكَبْشِ مَلْمُومَةٍ بَادٍ نَوَاجِذُهُ ... شَهْبَاءَ ذَاتِ سَرَابِيلٍ وَأَبْطَالِ

أَوْجَرْتُ جُفْرَتَهُ خُرْصًا فَمَالَ بِهِ ... كَمَا انْثَنَى مُخْضَدٌ مِنْ نَاعِمِ الضَّالِ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٧٥، ٧٦، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٣]: يَاْ دَارَ هِنْدٍ عَفَاهَا كُلُّ هَطَّالِ...).

وحازت ناقة عَبِيد من خصال المثال؛ ما يُؤسِّس للقُوَّة والضَّخامة، بالإضافة إلى إتقان ضروب السَّير والعدو بسرعةٍ وخِفَّةٍ، ثمَّ إنَّها مكتنزة اللَّحم، موثوقة الخِلْقة، تمشي في زهوٍ وتبخترٍ، وللتَّوصيف الشِّعريّ وجه الموَازاة التَّصويريَّة مع الفرس؛ بالشِّدَّة والقُوَّة، في المواجهة القتاليَّة لسيِّد الكتيبة الجرَّارة، المتَرنِّح بطعنة الرُّمح القاتلة؛ وبهذا يحرز الشَّاعر فخريَّته الذَّاتيَّة؛ من وجهي: مثاليَّة المِطِيَّة، وأمثولة الخصم الهُمَام القتيل، على أنَّ الخطاب يرعوي، تاليًا، إلى ذكرى الشَّباب اللَّاهي في حقلي: الخمر، والمرأة، مع دلالة علائم الشَّيب على دُنُوِّ الرَّحيل المجلَّل بالعبر؛ ممَّا يوحي بحرص الشَّاعر على إخصاب الأطلال بفخريَّة الفروسيَّة القتاليَّة، والشَّباب اللَّاهي المفعم باللَّذَّة والآمال.

وقد يجمع عَبِيد بين النَّاقة والفرس؛ في مقام دفع ملامة الرَّفيق بالحكمة، وصولًا إلى ذروة الفخر الذَّاتيّ، في خضمّ الملِمَّات؛ بالنَّاقة السَّريعة، والفرس الكريمة، مرتدًّا، في إثر ذلك، إلى لهو الشَّباب، ومقفلًا القصيد بحكمة حتميَّة الرَّحيل، ويقول في ذلك(١):

[من البسيط]

وَلا يُفَارِقُنِي مَا عِشْتُ ذُو حَقَبٍ نَهْدُ الْقَذَالِ جَوَادٌ غَيْرُ مِلْوَاحِ

أَوْ مُهْرَةٌ مِنْ عِتَاقِ الْخَيْلِ سَابِحَةٌ كَأَنَّهَا سَحْقُ بُرْدٍ بَيْنَ أَرْمَاحِ

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٨، (- قافية الحاء/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٨]: يَا صَاحِ مَهْلًا أَقِلَّ الْعَذْلَ يَا صَاحِ...).

وَمَهْمَـهٍ مُقْفِـرِ الأَعْـلامِ مُنْجَـرِدٍ نَائِي الْمَنَاهِلِ جَدْبِ الْقَـاعِ مِنْزَاحِ
أَجَزْتُـــهُ بِعَلَنْـــدَاةٍ مُذَكَّـــرَةٍ كَالْعَيْـرِ مَـوَّارَةِ الضَّبْعَيْنِ مِمْـرَاحِ

ويطالعنا الشَّاعر باللَّوحات الحيوانيَّة المثاليَّة، ذات الطَّابع الفخريّ الذَّاتيّ المبَطَّن، وتتموضع في مشاهدها التَّصويريَّة الحسِّيَّة النَّاقة المثال(١)، والفرس الأسطوريَّة العتيقة(٢)؛ لمبتغى دفع ملامح الفناء، بحضور فروسيَّة الشَّباب، على ما في واقعيَّة النَّمذجة؛ من غائيَّة التَّصوير الشِّعريّ، للقحل المكانيّ؛ صدورًا عن الفخر الذَّاتيّ باستشراف بواعث الحياة(٣).

وشكَّلت لوحة الرِّحلة، بذلك، تحدِّيًا للسُّكون الطَّلليّ، وقد "بدأت هذه الرِّحلة عندما امتطى الشَّاعر فرسه أو ناقته متجاوزًا عوالمَ مجهولةً ومخاطرَ مُحْدِقَةً، ثمَّ سجَّل بعض المواقف الدِّراميَّة بين الصَّيَّاد والحيوان الوحشيّ من جهةٍ، وبين الكلاب والحيوان الوحشيّ من جهةٍ أخرى؛ مواقف فيها من

(١) لمطالعة صورة "النَّاقة"، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: تطوُّر الصُّورة في الشِّعر الجاهليّ، د. خالد محمَّد الزَّواويّ، مُؤسَّسة حورس الدَّوليَّة للنَّشر والتَّوزيع، الإسكندريَّة، (د. ط)، (٢٠٠٥م)، ص١٢٦ – ١٤٧، (– الفصل الثَّاني: الصُّورة الجزئيَّة/ ٤ – النَّاقة).

(٢) لمدارسة صورة "الفرس"، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: تطوُّر الصُّورة في الشِّعر الجاهليّ، الزَّواويّ، ص١٤٨ – ١٦٢، (– الفصل الثَّاني: الصُّورة الجزئيَّة/ ٥ – الفرس).

(٣) يُنظَر: ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص١٥، ١٦، (– وصف النَّاقة والفرس)؛ ص١٨، (– وصف النَّاقة)؛ ص٣٧، ٣٨، (– وصف النَّاقة)؛ ص٧٤، (– وصف النَّاقة)؛ ص٩٢، ٩٣، (– وصف النَّاقة).

الصِّراع المستعر، لا يهدأ ولا يخفت، بعضه خارجيٌّ بين الكائنات، وبعضه داخليٌّ تمور به النَّفس وتغلي"[1].

وكانت الرِّحلة تُرْجُمان المواجهة الاستشرافيَّة مع سطوة الزَّمن والبيئة؛ "وذلك بتخطِّي فعل الزَّمن المدَمِّر وحتميَّة الموت ورعب المصير؛ بالمغامرة والطُّموح لنيل المكاسب. إنَّها مرحلة وصلٍ وجمعٍ مملوءةٌ بالرَّغبة الجامحة إلى تحقيق الاستقرار والتَّماسك الاجتماعيّ، وضمان الطُّمأنينة للذَّات في المحيط المتوحِّش؛ القائم على: الاضطراب، والصِّراع، والخطر، والتَّفكُّك، والانحلال"[2].

والثَّابت، في الخطاب الشِّعريّ الفخريّ الفروسيّ، حرص الشَّاعر على ترسيخ قيمة الشَّجاعة؛ بوصفها القيمة المثْلى؛ "لما لها من أثرٍ كبيرٍ في حياة الإنسان العربيّ ومعاشه؛ ذلك أنَّ حياة البادية الَّتي عاش فيها؛ تطلَّبت منه قُوَّةً في مجابهة عداء القبائل الأخرى، الَّتي ما فتئت تغير عليه وتغزو قبيلته، كما تطلَّبت منه قُوَّةً، أيضًا، في مجابهة طبيعةٍ صحراويَّةٍ جافَّةٍ؛ دفعته، في أكثر الأحيان، إلى تعسُّف الفلوات، وارتياد القفار؛ طلبًا للماء والمرعى حينًا، أو

---

(١) دلالات الوحدة في قصيدة الصَّيد الجاهليَّة، المشهراويّ، ص١٢٢، (ب – الرِّحلة ومشهد الصَّيد)؛ وللاطِّلاع على رمزيَّة "الرِّحلة" و"الصَّيد"، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: تطوُّر الصُّورة في الشِّعر الجاهليّ، الزَّواويّ، ص٢٣٠ – ٢٤٥، (- الفصل الثَّالث: الرَّمز والصُّورة/ ٢ - رمز الرِّحلة)؛ ص٢٤٦ – ٢٥٦، (٣ - رمز الصَّيد).

(٢) دلالات الوحدة في قصيدة الصَّيد الجاهليَّة، المشهراويّ، ص١٢٤.

طلبًا للصَّيد والقنص حينًا آخرَ. ولم يكن مستغربًا، بعد ذلك، أن تظهر القبيلة، في كثيرٍ من الأشعار، وهي تُمجِّد القُوَّة وأسبابها؛ فتُعلِي من مكانة الفرد القويّ، وتعتزُّ بالمقاتل الشُّجاع، وتباهي بالفارس البطل، وتعدُّ البأس أهمَّ وسيلةٍ تحميها، وتُحصِّنها، وتجعلها قويَّةً منيعةً قادرةً على البقاء والاستمرار في العيش"(١).

***

(١) الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص٢٠٤، (- الباب الثَّاني: القِيَم الخُلُقيَّة/ - الفصل الثَّاني: الشَّجاعة)؛ ولاستقراء بواعث الفروسيَّة وعناصرها وتقاليدها، في الشِّعر الجاهليّ؛ يُنظَر: الفروسيَّة في الشِّعر الجاهليّ، القيسيّ، ص٤١ – ١٣٥، (- الباب الأوَّل: الفروسيَّة/ - الفصل الثَّاني: بواعث الفروسيَّة)؛ ص١٣٦ – ١٩١، (- الفصل الثَّالث: عناصر الفروسيَّة)؛ ص١٩٢ - ٢٠٢، (- الفصل الرَّابع: تقاليد الفروسيَّة).

– ٢. ٢: التَّنميط الأخلاقيُّ.

سعى عَبِيد إلى ترسيخ النَّمطيَّة الأخلاقيَّة، في الإطار الفخريِّ الذَّاتيّ؛ بحميد الخصال والأعمال؛ الَّتي تنبئ عن جلال المنظومة الأخلاقيَّة الجاهليَّة، في معاملات النَّاس، ومخالقات البشر؛ المقترنة بحكمة العمل الدَّؤوب؛ للفوز بالحمد المنشود، في الحياة، وبعد الممات.

ويتموقع الخطاب الفخريُّ الأخلاقيُّ الفريد، في موقعٍ مُتَأخِّرٍ من القصيد، عقب دفع اللَّوم، والفخر بالمفازة، واستذكار لهو الشَّباب، فيقول الشَّاعر(١):

[من البسيط]

أَشْرِي التِّلادَ بِحَمْدِ الْجَارِ أَبْذُلُهُ ... حَتَّى أَصِيرَ رَمِيمًا تَحْتَ أَلْوَاحِ

بَعْدَ الظَّلالِ إِذَا وُسِّدْتُ حَثْحَثَةً ... فِي قَعْرِ مُظْلِمَةِ الأَرْجَاءِ مِكْلاحِ

أَوْ صِرْتُ ذَا بُومَةٍ فِي رَأْسِ رَابِيَةٍ ... أَوْ فِي قَرَارٍ مِنَ الأَرْضِينَ قِرْوَاحِ

كَمْ مِنْ فَتًى مِثْلِ غُصْنِ الْبَانِ فِي كَرَمٍ ... مَحْضِ الضَّرِيبَةِ صَلْتِ الْخَدِّ وَضَّاحِ

فَارَقْتُهُ غَيْرَ قَالٍ لِي وَلَسْتُ لَهُ ... بِالْقَالِ أَصْبَحَ فِي مَلْحُودَةٍ نَاحِي

هَلْ نَحْنُ إِلَّا كَأَجْسَادٍ تَمُرُّ بِهَا ... تَحْتَ التُّرَابِ وَأَرْوَاحٍ كَأَرْوَاحِ

أمَّا المجد فعنوان عناية التَّملُّك، في الفخريَّة الذَّاتيَّة؛ المقبلة على الجار بالسَّخاء، والشَّاعر صائرٌ بعد حينٍ من الظِّلِّ إلى التُّراب، ومن الحياة إلى

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٩، (– قافية الحاء/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٨]: يَا صَاحِ مَهْلًا أَقِلَّ الْعَذْلَ يَا صَاحِ...).

الفناء، بإحدى ميتتَيْن؛ مِيتَةٍ طبيعيَّةٍ؛ بكينونة الجسد في حفرةٍ مظلمةٍ؛ توحي بالقبح والكآبة، وقِتْلَةٍ في ميادين النِّزال؛ على صيرورة الرُّوح إلى هامةٍ هائمةٍ شريدةٍ[١]؛ ليضحي الإخبار الكمِّيُّ إيحاءً بحتميَّة الرَّحيل البشريّ صوب الفناء، وحكمة التَّطاير الرُّوحيّ اللَّاحق بالبشر[٢].

ويعتلق الفخر الأخلاقيُّ الذَّاتيُّ بالحكمة المنبثقة عن تطاول العمر؛ بما يحمل معه من تكاثر الأحداث، ومواجهة الملِمَّات، ليتموضع في بؤرة المقطع الشِّعريّ، مسبوقًا بتوصيف الحال بعد رحيله، ومتبوعًا بمواقعاته الحياتيَّة المختلفة، خلوصًا إلى حكمة فناء الإنسان وخلود الإله، فيقول عَبِيد في ذلك[٣]:

---

(١) (البُومَة): "الطَّائر الَّذي يخرج من رأس الميِّت، ويظلُّ ينادي: اسقوني؛ حتَّى يُؤخَذ بثأره"؛ نقلًا عن: ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٩، (– الحاشية)؛ ولاستيضاح أسطورة "الهامة والصَّدى"، في الفكر الجاهليّ؛ يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، د. أحمد محمَّد الحوفيّ، (ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، (ط٢)، (١٩٥٢م)، ص٣٩٩ – ٤٠٢، (– الباب الخامس: العادات والمعتقدات من الشِّعر/ ٧ – الهامة والصَّدى)؛ ويُنظَر: الهامة والصَّدى؛ صدى الرُّوح في الشِّعر الجاهليّ، أ. د. إحسان الدِّيك، مجلَّة جامعة النَّجاح للأبحاث، العلوم الإنسانيَّة، نابلس، فلسطين، (مج: ١٣)، (ع: ٢)، (١٩٩٩م)، ص٦٢٦ – ٦٧٩.

(٢) شاع في المعتقد الجاهليّ: "تطاير أرواح البشر، في كُلِّ صوبٍ، كالرِّياح"؛ نقلًا عن: ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٩، (– الحاشية).

(٣) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣٩، (– قافية الدَّال/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١٥]: وَلَتَأْتِيَنْ بَعْدِي قُرُونٌ جَمَّةٌ...).

[من الكامل]

وَلَتَأْتِيَـنْ بَعْـدِي قُـرُونٌ جَمَّـةٌ تَرْعَـى مَخَـارِمَ أَيْكَـةٍ وَلَـدُودَا
فَالشَّمْسُ طَالِعَـةٌ وَلَيْـلٌ كَاسِـفٌ وَالنَّجْمُ تَجْرِي أَنْحُسًـا وَسُعُـودَا
حَتَّى يُقَـالَ لِمَـنْ تَعَـرَّقَ دَهْـرَهُ: يَا ذَا الزَّمَانَـةِ هَـلْ رَأَيْتَ عَبِيـدَا؟
مائَتَـيْ زَمَـانٍ كَامِـلٍ وَنَصِيَّـةً عِشْرِينَ عِشْتُ مُعَمَّـرًا مَحْمُودَا
أَدْرَكْـتُ أَوَّلَ مُلْكِ نَصْـرٍ نَاشِئًـا وَبِنَـاءَ سِنْـدَادٍ وَكَـانَ أُبَيْـدَا
وَطَلَبْـتُ ذَا الْقَرْنَيْنِ حَتَّى فَاتَنِـي رَكْضًـا وَكِـدْتُ بِأَنْ أَرَى دَاؤُودَا
مَـا تَبْتَغِي مِـنْ بَعْـدِ هَـذَا عِيشَـةً إِلَّا الْخُلُـودَ وَلَـنْ تَنَـالَ خُلُـودَا
وَلَيَفْنَيَـنْ هَـذَا وَذَاكَ كِلاهُمَـا إِلَّا الإِلَـهَ وَوَجْهَـهُ الْمَعْبُـودَا

ويرصد الشَّاعر في المستهلّ تعاقب القرون على الأماكن، وتتابع الأيَّام بالشَّمس الطَّالعة واللَّيل الكاسف، وجريان النُّجوم بالنَّحس والسُّعود؛ على ما في مساءلة العاجز من إيحاء الرَّحيل؛ تَقْدِمَةً لبؤرة الفخر بالعمر الطَّويل، والسِّيرة المحمودة، مُرَسِّخًا بعض معايشاته المقترنة بأصالة التَّجربة، وعمق الالتئام بالتَّاريخ العربيّ التَّليد؛ ومنها: إدراكه أوَّل مُلْكِ "بني نصر"، من ملوك العرب المعروفين، وبناء قصر "سِنْدَاد"، من قصور ملوك بني لَخْم في العراق، وكاد مع ذلك أن يدرك ذا القرنَيْن وداود؛ مستنكرًا، في إثر ذلك، على ذاته، توهُّم إدراك الخلود؛ ومُؤَكِّدا، في الختام، الفناء الحياتيَّ المشهود في البشر دون الإله.

وممَّا يتقاطع مع اللَّوحة السَّابقة، على نحوٍ مختزلٍ، فخريَّة الشَّاعر بتطاول عمره، حتَّى أصبح رفيق النُّجوم؛ على إيحاء الحكمة المتَولِّدة من التَّجارب، وفي ذلك يقول(١):

[من الطَّويل]

وَهَلْ رَامَ عَنْ عَهْدِي وُدَيْكٌ مَكَانَهُ إِلَى حَيْثُ يُفْضِي سَيْلُ ذَاتِ الْمَسَاجِدِ

فَنِيتُ وَأَفْنَانِي الزَّمَانُ وَأَصْبَحَتْ لِدَاتِي بَنُو نَعْشٍ وَزُهْرُ الْفَرَاقِدِ

وينطلق الخطاب الفخريُّ، في إثر الوقفة الطَّلليَّة، والتَّأمُّل الغزليّ، في الصِّفات المثْلى لِـ"سَعْدة"؛ لغاية إقرار عَبِيد بهُيَامه فيها؛ وهو البادي بحال "الْحَائِمِ الصَّدِيّ"، حيث يقول(٢):

[من الطَّويل]

فَإِنِّي إِلَى سُعْدَى وَإِنْ طَالَ نَأْيُهَا إِلَى نَيْلِهَا مَا عِشْتُ كَالْحَائِمِ الصَّدِي

إِذَا كُنْتَ لَمْ تَعْبَأْ بِرَأْيٍ وَلَمْ تُطِعْ لِنُصْحٍ وَلا تُصْغِي إِلَى قَوْلِ مُرْشِدِ

فَلا تَتَّقِي ذَمَّ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا وَتَدْفَعُ عَنْهَا بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ

وَتَصْفَحُ عَنْ ذِي جَهْلِهَا وَتَحُوطُهَا وَتَقْمَعُ عَنْهَا نَخْوَةَ الْمُتَهَدِّدِ

وَتَنْزِلُ مِنْهَا بِالْمَكَانِ الَّذِي بِهِ يُرَى الْفَضْلُ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْمُتَحَمِّدِ

فَلَسْتَ، وَإِنْ عَلَّلْتَ نَفْسَكَ بِالْمُنَى بِذِي سُودَدٍ بَادٍ وَلا كَرْبِ سَيِّدِ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٤٣، (– قافية الدَّال/ – فاتح المقطوعة الشِّعريَّة [١٧]: وَهَلْ رَامَ عَنْ عَهْدِي وُدَيْكٌ مَكَانَهُ...).

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٤١، (– قافية الدَّال/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١٦]: لِمَنْ دِمْنَةٌ أَقْوَتْ بِحَرَّةِ ضَرْغَدِ...).

والماثل، في المقطوعة السَّابقة، يندرج ضمن الفخر الذَّاتيّ بأخلاق السِّيادة؛ إذ أرسله الهُيام المتَعطِّش للمرأة إلى إبانة السِّمات الرَّاسخة في سادة القبيلة، وهو أحدهم؛ من: تقبُّل الرَّأي، والاستماع للنُّصح، والإصغاء للإرشاد؛ في إيحاءٍ بالغٍ بأهمِّيَّة التَّآزر الفكريّ في حلِّ المعضلات الدَّاخليَّة والخارجيَّة؛ بالإضافة إلى الذَّود عن حياض القبيلة باللِّسان واليد، والصَّفح عن جاهلها، وحماية ذمارها، وقمع مُتَهدِّدها، وهو المنْزَل في مكان الفضل والعزِّ والرِّفادة والسِّيادة؛ ولهذا كلِّه أن يرتبط بالتَّأصيل الفعليّ الواقعيّ، دون الأماني المضَلِّلة.

ويُؤصِّل عَبِيد، بذلك، لمؤهِّلات السِّيادة في المجتمع الجاهليّ؛ ذلك أنَّه "يُشترَط للسَّيِّد أن يسوس قومه بالشُّورى، وأن يتحاشى ذمَّ العشيرة، وأن يدفع عنها باللِّسان والسِّنان، وأن يصفح عن الجاهل، وأن يرعاها، ويذلَّ أعداءها، ويرفع شأنها؛ وبالجملة أن يكون قادرًا على الأخذ بيدها نحو حياةٍ أفضل"[1].

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، د. فاروق أحمد اسليم، اتِّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، (د. ط)، (١٩٩٨م)، ص٢٩٨، (- الفصل الرَّابع: الانتماء الاجتماعيّ والسِّياسيّ/ ٢ – السَّادة والمستضعفون/ ١ – سادة ومَسُودون).

ويتَّجه الشَّاعر عقب النُّكران إلى الإثبات اليقينيّ، في خطاب الثَّبات، المرتكِز على المبادئ المثاليَّة، والخصال الفُضْلى، المؤَطَّرة بالمسلكيَّات الأخلاقيَّة الاجتماعيَّة، قائلًا(١):

[من الطَّويل]

لَعَمْرُكَ مَا يَخْشَى الْخَلِيطُ تَفَحُّشِي عَلَيْهِ وَلا أَنْأَى عَلَى الْمُتَوَدِّدِ
وَلا أَبْتَغِي وُدَّ امْرِئٍ قَلَّ خَيْرُهُ وَلا أَنَا عَنْ وَصْلِ الصَّدِيقِ بِأَصْيَدِ
وَإِنِّي لأُطْفِي الْحَرْبَ بَعْدَ شُبُوبِهَا وَقَدْ أُوقِدَتْ لِلغَيِّ فِي كُلِّ مَوْقِدِ
فَأَوْقَدْتُهَا لِلظَّالِمِ الْمُصْطَلِي بِهَا إِذَا لَمْ يَزَعْهُ رَأْيُهُ عَنْ تَرَدُّدِ
وَأَغْفِرُ لِلْمَوْلَى هَنَاةً تُرِيبُنِي فَأَظْلِمُهُ مَا لَمْ يَنَلْنِي بِمَحْقِدِي
وَمَنْ رَامَ ظُلْمِي مِنْهُمُ فَكَأَنَّمَا تَوَقَّصَ حِينًا مِنْ شَوَاهِقِ صِنْدِدِ
وَإِنِّي لَذُو رَأْيٍ يُعَاشُ بِفَضْلِهِ وَمَا أَنَا مِنْ عِلْمِ الأُمُورِ بِمُبْتَدِي

ويكون لاستهلال المقطوعة الشِّعريَّة بالقسم الصَّريح؛ ترسيخٌ لمخالقة: الخَلِيط، والمتَوَدِّد، والممسِك، والصَّديق، والمولى، والظَّالم؛ بعدم خشية التَّفحُّش، وانتفاء الصَّدِّ، ونكران الحرص، وتواضع الوصل، وغفران الزَّلة،

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٤١، (- قافية الدَّال/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١٦]: لِمَنْ دِمْنَةٌ أَقْوَتْ بِحَرَّةِ ضَرْغَدِ...).

ومجابهة الظُّلم؛ كيما يتجلَّى الإخبار، في المنتهى، مشتملًا بالتَّوكيد؛ على جهة توثيق عُرى الحكمة بسداد الرَّأي، وفرادة المنطق.

وتُقدِّم اللَّوحة السَّابقة النَّمذجة المثاليَّة للفارس العربيّ؛ "وإذا تأمَّلنا نموذج الفارس الملتزم بقضايا قومه ومجتمعه؛ نجد أنَّ الشَّاعر، في إطار الفروسيَّة الملتزمة، يُقدِّم الصُّورة الَّتي تبهر قومه، وتُؤكِّد مكانته وتَميُّزه، وتُعمِّق إحساس المجتمع بمكانته، وبما يُمثِّله من قيمٍ"(١).

ويستبين الفخر الذَّاتيُّ، تاليًا، من خلال الحكمة الشِّعريَّة؛ المنبئة عن الحالة المسلكيَّة الرَّاسخة في أخلاق عَبِيد، حيث يقول(٢):

[من الطَّويل]

إِذَا أَنْتَ حَمَّلْتَ الْخَؤُونَ أَمَانَةً ... فَإِنَّكَ قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرَّ مُسْنَدِ

وَجَدْتُ خَؤُونَ الْقَوْمِ كَالْعُرِّ يُتَّقَى ... وَمَا خِلْتُ غَمَّ الْجَارِ إِلَّا بِمَعْهَدِي

وَلَا تُظْهِرَنْ حُبَّ امْرِئٍ قَبْلَ خُبْرِهِ ... وَبَعْدَ بَلاءِ الْمَرْءِ فَاذْمُمْ أَوِ احْمَدِ

وَلَا تَتْبَعَنَّ رَأْيَ مَنْ لَمْ تَقُصَّهُ ... وَلَكِنْ بِرَأْيِ الْمَرْءِ ذِي اللُّبِّ فَاقْتَدِ

وَلَا تَزْهَدَنْ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ ... لِذُخْرٍ وَفِي وَصْلِ الأَبَاعِدِ فَازْهَدِ

وَإِنْ أَنْتَ فِي مَجْدٍ أَصَبْتَ غَنِيمَةً ... فَعُدْ لِلَّذِي صَادَفْتَ مِنْ ذَاكَ وَازْدَدِ

---

(١) الأدب الجاهليّ؛ قضايا، وفنون، ونصوص، يوسف، ص٧٩.

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٤١، ٤٢، (- قافية الدَّال/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١٦]: لِمَنْ دِمْنَةٌ أَقْوَتْ بِحَرَّةِ ضَرْغَدِ...).

تَـزَوَّدْ مِـنَ الدُّنْيَـا مَتَاعًـا فَإِنَّـهُ عَلَى كُـلِّ حَـالٍ خَيْـرُ زَادِ الْمُـزَوِّدِ
تَمَنَّى مُـرَيءُ الْقَيْسِ مَوْتِي وَإِنْ أَمُـتْ فَتِلْكَ سَبِيـلٌ لَسْـتُ فِيهَـا بِأَوْحَـدِ
لَعَـلَّ الَّذِي يَرْجُـو رَدَايَ وَمِيتَتِـي سَفَاهًـا وَجُبْنًـا أَنْ يَكُـونَ هُـوَ الرَّدِي
فَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو هَلَاكِي بِضَائِرِي وَلَا مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ قَبْلِي بِمُخْلِدِي

...

وللمقطع الأخير من القصيدة، أن يُكثِّف المنظومة الأخلاقيَّة، الَّتي احتكم إليها عَبِيد، في جملةٍ من القضايا الحياتيَّة المفصليَّة؛ بدعوته إلى: مجانبة الخَوُون الجَرِب، وعدم إظهار حُبِّ امرئٍ قبل اختباره، وبلاء المرء قبل الذَّمِّ والحمد، والاقتداء برأي اللَّبيب المعهود، ووصل الأقارب والزُّهد في الأباعد، والازدياد من أبواب المجد الَّتي أصاب المرء غنيمتها، والتَّزوُّد من الدُّنيا بكُلِّ خيرٍ، وللشَّاعر، في إثر ذلك، وقفة المسْتجلِي مُنْيَة امرئ القيس له بالموت، المدْرِك كلَّ البشر، على نحوٍ مكتوبٍ مُقَدَّرٍ، لا يفرُّ معه الرَّاجي والمرجوُّ له من الأجل المحتوم.

ويطالعنا الشَّاعر بفخريَّته الأخلاقيَّة، عقب الوصف المطريّ، والفخر بالبراعة الشِّعريَّة، وفي استهلالها القسم المعَزَّز بالإخبار الاسميّ المؤَكَّد؛ لدلالتي: الرُّسوخ، والثَّبات، قائلًا[1]:

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٥٧، (- قافية الصَّاد/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢٤]: أَقِفْتُ لِضَوْءِ بَرْقٍ فِي نَشَاصِ...).

[من الوافر]

لَعَمْـرُكَ إِنّــي لأُعِــفُّ نَفْسِــي وَأَسْتُـرُ بِالتَّكَرُّمِ مِــنْ خَصَـاصِ
وَأُكْـرِمُ وَالِدِي وَأَصُـونُ عِرْضِـي وَأَكْـرَهُ أَنْ أُعَــدَّ مِــنَ الْخِرَاصِ
إِذَا مَـا كُنْـتَ لَحَّاسًـا بَخِيــلًا سَــؤُولًا لِلْمُطَـاعِ وَذَا عِقَــاصِ
لِزَادِ الْمَــرْءِ آبَـصَ مِــنْ عُقَـابٍ وَعِنْدَ الْبَابِ أَثْقَلَ مِنْ رَصَاصِ
بَكَى الْبَوَّابُ مِنْكَ وَقَالَ: هَلْ لِي وَهَلْ لِلْبَابِ مِنْ ذَا مِنْ خَلاصِ
فَيُوشِـكُ أَنْ يَـرَاكَ لَــهُ عَــدُوًّا عَـدَاوَةَ مَـنْ يُلاطِـمُ أَوْ يُنَاصِـي
إِذَا مَـا كَـانَ عِرْضِي عِنْدَ بَطْنِـي فَأَيْـنَ مِـن انْ أُسَبَّ بِـهِ مَنَاصِي
فَإِنْ خَفَّتْ جُوعِ الْبَطْـنِ رِجْلِي فَـدَقَّ اللهُ رِجْلِــي بِالْمُعَــاصِ

ويتمحـور الخطـاب الشِّـعريُّ، في إطـار ارتقـاء الأخـلاق، الَّـذي أوحـى بمُؤشِّرات السُّمُوِّ الرُّوحيِّ؛ في سياقات: عفَّة النَّفس مع العَوَز، وكرم البذل رغم الخصاصة، فضلًا عن إكرام الوالد، وصيانة العِرْض، وانتفاء البخل، وعدميَّة التَّبذُّل، الَّتي كانت موطن العناية، في الالتفات الشِّعريِّ؛ المحِيل إلى تصوير السَّلب؛ على جهات: لعق وعاء الطَّعام، واقتناص أرزاق النَّاس، والمكوث عند الأبواب للسُّؤال؛ ممَّا يستدعي بكاء "البَوَّاب" وعداوته؛ ولهذا المتَّكأ الأسلوبيّ أن يُؤسِّس لمؤدَّى اللَّوحة؛ الكامن في إنكار انتهاك العِرْض بجوع البطن؛ على ما في الشَّرطيَّتَيْن الأخيرتَيْن من إيحاء الانتفاء؛ الَّذي يستحيل معه الدُّعاء بداء الرِّجْل؛ نبذًا لسقوط الذَّات، في شَرَك لذائذ الموائد.

ونستوحي من فضاء الأطروحة الشِّعريَّة السَّابقة؛ أنَّه "يمكن القول بوجود طبقةٍ من الفقراء، في مواجهة طبقة الأغنياء، في المجتمع الجاهليّ، وبأنَّ انتقال بعض النَّاس من طبقةٍ إلى أخرى كان كثيرًا ومباغتًا حدوثه، ومن الظَّاهر أنَّ انقسام النَّاس إلى طبقتين: فقراء، وأغنياء، وتلقِّي بعض الفقراء مساعداتٍ من أناس بعيد نسبهم؛ من الأدلَّة على أنَّ إضافة الانتماء الطَّبقيّ على الانتماء النَّسبيّ قد طوَّر الأخير؛ إذ سمح بالتَّواصل بين الجماعات المتباعدة، وبوجود اهتماماتٍ للفرد الجاهليّ، تتجاوز إطار قبيلته لتلتقي مع قبائل أخرى؛ فالفقراء كانوا لفقرهم يستشعرون الذُّلَّ والهوان؛ فارتضى بعضهم أن يسأل الأغنياء أعطوه أو منعوه، وأبى بعضهم أن يسأل تعفُّفًا وتكرُّمًا"(١).

ويبتني عَبِيد طريقته الخاصَّة في مخالقة العدوّ؛ القائمة على ذكاء الإدارة التَّفاعليَّة، في حالتي: اللِّين، والشِّدَّة؛ فاللِّين يكون حين لينه؛ والشِّدَّة المتبوعة بالمِطْل دواء التَّشدُّد؛ حتَّى إخضاعه لأدنى مراتب الطَّلب، حيث يقول(٢):

[من الطَّويل]

أَلِيـنُ إِذَا لانَ الْغَرِيـمُ وَأَلْتَـوِي إِذَا اشتَدَّ حَتَّى يُدْرِكَ الدَّيْنَ قَاتِلِي

وَأَمْطُلُـهُ الْعَصْرَيْـنِ حَتَّـى يَمَلَّنِـي وَيَرْضَى بِبَعْضِ الدَّيْنِ فِي غَيْرِ نَائِلِ

---

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، اسليم، ص٣٢١، (الفصل الرَّابع: الانتماء الاجتماعيّ والسِّياسيّ/ ٢ – السَّادة والمستضعفون/ ٢ – فقراء وأغنياء).

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٨٦، ٨٧، (– قافية اللَّام/ – فاتح المقطوعة الشِّعريَّة [٣٨]: أَلِينُ إِذَا لَانَ الْغَرِيمُ وَأَلْتَوِي...).

بيد أنَّ الوجهة التَّنميطيَّة للفخر الأخلاقيّ نزَّاعةٌ إلى الضِّدِّ في زمن الشَّباب، على خلاف ما بدا سابقًا حالةً من التَّزهُّد الدُّنيويّ، والارتقاء الخُلُقيّ، مع تطاول العمر، وهذا ما نلمسه في غير موطنٍ من ديوان عَبِيد، الَّذي استدرك على قفر الأطلال، ورحيل المعشوقة، بإضاءة لهو الشَّباب؛ في نطاقي: الخمر، والمرأة؛ وِفَاقًا لمكمن الدَّافع، ومُؤَدَّى التَّراتُب؛ وفي الأوَّل تتموقع أطروحة الفنّ في تخصيب الموات بفورة الشَّباب؛ أمَّا الثَّاني فحالةٌ تمثُّليَّةٌ عموديَّةٌ، للنَّمط التَّقليديّ البنائيّ، في القصيدة الجاهليَّة، بالانتقال من جلال الطَّلل، إلى قصديَّة الحياة والنَّماء، بغير سبيلٍ مضمونيّ، متَّخذًا من التَّوصيف الحيوانيّ، ثمَّ الطَّابع الفخريّ، مُستَندًا تعبويًّا للمساحات التَّعبيريَّة المترابطة في القصيدة؛ على ما في الفخر من مفارقة فَوْرة اللَّهو، وحكمة السِّيادة.

ونقرأ، من هذا القبيل، قول الشَّاعر في المقطوعة اللَّاحقة؛ المشرِقة بالموَازاة البنائيَّة؛ بين مضامين: الخمر، والمرأة، والكبر، على ما في ثناياها من الفخر المبَطَّن، في زمني: التَّحرُّر، والتَّعفُّف(١):

[من البسيط]

وَلَهْوَةٍ كَرُضَابِ الْمِسْكِ طَالَ بِهَا فِي دَنِّهَا كَرُّ حَوْلٍ بَعْدَ أَحْوَالِ

بَاكَرْتُهَا قَبْلَ مَا بَدَا الصَّبَاحُ لَنَا فِي بَيْتِ مُنْهَمِرِ الْكَفَّيْنِ مِفْضَالِ

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٧٦، ٧٧، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٣]: يَأْ دَارَ هِنْدٍ عَفَاهَا كُلُّ هَطَّالِ...).

وَعَبْلَـــةٍ كَمَهَـاةِ الجْـَــوِّ نَاعِمَـــةٍ كَـــأَنَّ رِيقَتَهَـــا شِيبَـتْ بِسَلْسَـالِ
قَـدْ بِـتُّ أُلْعِبُهَـا وَهْنًـا وَتُلْعِبُنِـي ثُـمَّ انصَرَفْتُ وَهِيْ مِنِّي عَلَى بَـالِ
بَـانَ الشَّبَـابُ فَآلى لا يُلِـمُّ بِنَـا وَاحْتَلَّ بِي مِنْ مُلِمِّ الشَّيْبِ مِحْلالِ
وَالشَّيْبُ شَيْنٌ لِمَـنْ يَحْتَلُّ سَاحَتَهُ للهِ دَرُّ سَـــوَادِ اللِّمَّـــةِ الْخَـالِـي

ويمكن التماس هذا النَّمط الفخريّ المؤَطَّر بالذَّات، في مواطنَ مختلفةٍ من ديوان الشَّاعر؛ على ما في موقعيَّتها من اعتلاقٍ واضحٍ بالمطالع والخواتم؛ وما لمضامينها من صلةٍ وثيقةٍ بالمؤَشِّرات الأخلاقيَّة العامَّة(١).

***

(١) يُنظَر: ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣١؛ ٧٨ – ٨٠؛ ٨١، ٨٢؛ ٩٧.

– ٢. ٣: التَّنميط الشِّعريُّ.

تمظهرت الأنا الشِّعريَّة عند عَبِيد، في موطنين اثنين من ديوانه؛ تراكمت فيهما سمات الأهليَّة الفنِّيَّة الشِّعريَّة؛ بسبيلي: تفوُّق البناء، وصدارة المضمون، مع توظيف العنصر التَّصويريّ، في الأطر المشهديَّة المستلَّة من عالم الحيوان؛ لترسيخ المكْنة الشِّعريَّة في فنون القول بعامَّةٍ، وهجائيَّات الخصومة بخاصَّةٍ.

وقد تبدَّت الفخريَّة الشِّعريَّة الأولى؛ بين: استهلال الوصف المطريّ، والفخر بالأخلاق الذَّاتيَّة، وفيها يقول الشَّاعر(١):

[من الوافر]

سَلِ الشُّعَرَاءَ هَلْ سَبَحُوا كَسَبْحِي ... بُحُورَ الشِّعْرِ أَوْ غَاصُوا مَغَاصِي

لِسَانِي بِالْقَرِيضِ وَبِالْقَوَافِي ... وَبِالأَشْعَارِ أَمْهَرُ فِي الْغَوَاصِ

مِنَ الْحُوتِ الَّذِي فِي لُجِّ بَحْرٍ ... يُجِيدُ السَّبْحَ فِي اللُّججِ الْقِمَاصِ

إِذَا مَا بَاصَ لاحَ بِصَفْحَتَيْهِ ... وَبَيَّضَ فِي الْمَكَرِّ وَفِي الْمَحَاصِ

تُلاوِصُ فِي الْمَدَاصِ مُلاوِصَاتٌ ... لَهُ مَلْصَى دَوَاجِنَ بِالْمِلاصِ

بَنَاتُ الْمَاءِ لَيْسَ لَهَا حَيَاةٌ ... إِذَا أَخرَجْتَهُنَّ مِنَ الْمَدَاصِ

إِذَا قَبَضَتْ عَلَيْهِ الْكَفُّ حِينًا ... تَنَاعَصَ تَحْتَهَا أَيَّ انْتِعَاصِ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٥٦، (– قافية الصَّاد/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢٤]: أَقِفْتُ لِضَوْءِ بَرْقٍ فِي نَشَاصِ...).

وَبَاصَ وَلاصَ مِـنْ مَلَـصٍ مَلاصٍ وَحُـوتُ الْبَحْـرِ أَسْـوَدُ أَوْ مِلاصُ
كَلَـوْنِ الْمَـاءِ أَسْـوَدُ ذُو قُشُـورٍ نُسِجْـنَ تَلاحُـمَ السَّـرْدِ الـدِّلاصِ

ويمكن استنطاق اللَّوحة السَّابقة، في مدارسةٍ مضمونيَّةٍ أسلوبيَّةٍ؛ توحي بالتَّنوُّع التَّعبيريّ والأسلوبيّ؛ لغاية المحَاجَّة بالمنطق، في شأن الصَّدارة الفنِّيَّة الشِّعريَّة؛ فعَبِيد يستهلُّ القول بالإنشاء الآمر، ثمَّ بالاستفهام الإنكاريّ؛ والفحوى صدارة الموازنة المرتكزة على مُقَوِّمي: البحر الشِّعريّ، وابتكار المعنى؛ ليكون الإخبار، تاليًا، تعضيدًا للمُكَثَّف السَّابق؛ على طريقة توصيف تفرُّد المعنى والصُّورة؛ بثُبوتيَّة الدَّوالِّ الاسميَّة؛ على المهارة العالية في ابتكار المعنى الشِّعريّ، وتعزيز مشهديَّة التَّصوير، للقدرة التَّعبيريَّة الغرضيَّة؛ ذلك أنَّ للحوت مُكْنة إجادة المخاتلة في المكَرّ والمفَرّ، حين يكون في مَغَاصِه المائيّ، فإذا ما أُخرِج تحرَّك وتنحَّى؛ لغايتي: الاستتار، والتَّوقِّي، مستغلًّا زلاقته القشريَّة، الشَّبيهة بحلقات الدِّرع المتلاحمة الملساء.

والجليُّ من اللَّوحة الشِّعريَّة ترابطها الأسلوبيُّ الممنهج بغير سبيلٍ؛ فقد جرى الأسلوب التَّعبيريُّ على حضور الإنشاء ثمَّ الإخبار، مع غلبة الثَّاني، وتنوُّع طرائقهما؛ كما أسهمت الشَّرطيَّات في البناء المشهديّ الحركيّ، على نحوٍ فاعلٍ؛ ورسَّخت مظاهر الجناس والتَّكرار مضامين اللَّوحة؛ وأوحت فخامة الصَّاد في رويّ الأبيات وثناياها بفخامة الفخر الشِّعريّ، على ما في الصَّفيريَّة من قيمةٍ تنبيهيَّةٍ للمُتَلقِّي؛ لتُجسِّد الملامح الكُلِّيَّة للَّوحة ترميزًا تصويريًّا مُوَازِيًا

للدُّون الشِّعريِّ في مقابل صدارة عَبِيد؛ بينما حضر الرَّابط الإحيائيُّ في مبنى القصيدة، بين مشهدي: المطر، والفخر؛ بقوام الحياة الماثل في الماء.

وتنبني الفخريَّة الشِّعريَّة الثَّانية على غرضيَّة الهجاء، عقب وصف الظَّعائن؛ في ملمحٍ تعويضيٍّ نفسيٍّ عن الرَّحيل المؤلم المقترن بدواعي السُّكون؛ بأطروحة الصَّدارة الشِّعريَّة؛ في تحقيق الأثر الهجائيِّ التَّرهيبيِّ، وفي ذلكم يقول عَبِيد[1]:

[من الطَّويل]

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ قَدْ ثَنَيْتُ عَلَيْهِمُ ... رِدَائِي وَفِي شَمْسِ النَّهَارِ دُحُوضُ

أَلَسْتُ أَشُقُّ الْقَوْلَ يَقْذِفُ غَرْبُهُ ... قَصَائِدَ مِنْهَا آبِنٌ وَهَضِيضُ

أُغِصُّ إِذَا شَغْبَ الأَلَدِّ بِرِيقِهِ ... فَيَنْطِقُ بَعْدِي وَالْكَلامُ خَفِيضُ

وَكَمْ مِنْ أَخِي خَصْمٍ تَرَكْتُ وَمَا بِهِ ... إِذَا قُلْتُ فِي أَيِّ الْكَلامِ نُحُوضُ

فَوَلَّيْتُ ذَا مَجْدٍ وَأُعْطِيتُ مِسْحَلًا ... حُسَامًا بِهِ شَغْبُ الأَلَدِّ نُهُوضُ

قَطَعْتَ بِهِ مِنْكَ الْحَوَامِلَ فَانْبَرَتْ ... فَمَا بِكَ مِنْ بَعْدِ الْهِجَاءِ نُهُوضُ

صَقَعْتُكَ بِالْغُرِّ الأَوَابِدِ صَقْعَةً ... خَضَعْتَ لَهَا فَالْقَلْبُ مِنْكَ جَرِيضُ

صَلِيتُمْ بِلَيْثٍ مَا يُرَامُ عَرِينُهُ ... أَبِي أَشْبُلٍ بَعْدَ الْعِرَاكِ عَضُوض

إِذَا مَا بَدَا ظَلَّتْ لَهُ الأُسْدُ عُكَّفًا ... فَهُنَّ حِذَارَ الْمَوْتِ مِنْهُ رُبُوضُ

تَرَى بَيْنَ مَوْقُوصٍ تَغَطْمَطَ فِي الرَّدَى ... وَذِي رَغْبَةٍ يَرْجُو الْحَيَاةَ نَحِيضُ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٦٠، ٦١، (- قافية الضَّاد/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢٥]: تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ...).

والبادي، في الأبيات السَّابقة، حرص الشَّاعر على حسم السُّمُوِّ الذَّاتيّ، في باب المنافرة الهجائيَّة الشِّعريَّة؛ على ما في الأسلوب من فاتح الاستفهام التَّقريريّ؛ المؤَكِّد قيمتي: القدرة الفائقة على القول الشِّعريّ الحادِّ، ومُكْنة هجائه في نطاقي: دقَّة التَّعييب، وتحقُّق الإيلام والتَّحطيم؛ ليمضي الإخبار على نهج ترسيخ الجدل الفوقيّ، في المصاولة الشِّعريَّة، المحتكمة إلى ضوابط المناظرة، تاركًا للخصم الألدِّ الاسترسال في اللَّغط؛ لغاية الانقضاض عليه تاليًا؛ ليكون لمنطوقه اللَّاحق الخفيض دلالات: الدُّون، والذُّلّ، والصَّغار.

أمَّا الإخبار الكمِّيُّ ثمَّ الفعليُّ؛ فينقلنا إلى مساحةٍ أخرى من خطاب الفخر؛ بتأطير الصُّورة المشهديَّة، لأُمثُولة الأثر الهجائيّ النَّفسيّ والعضويّ، بمُتَّكأ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وإنْ كان الخصم على حال السَّلامة، قبل شروع القدح واللَّوم؛ فلغاية تحقيق الإيلام باللِّسان الشِّعريّ السَّاحق، في تجلٍّ واضحٍ للمجاز والكناية؛ ممَّا يحيل المهجوَّ إلى بتر الأقدام؛ للدَّلالة على عدميَّة النُّهوض، وضرب الرَّأس بالأوابد الشِّعريَّة حتَّى موت القلب؛ لإيحاء الرُّكود الأبديّ اللَّاحق بالخصم.

ويتَّخذ عَبِيد، في إثر ذلك، مُتَّخذ الخطاب الجمعيّ؛ للتَّهديد بارتقاء جدارته الهجائيَّة، مستعيرًا لذاته هيئة الأسد الهَصُور، ولخصومه صورة الأُسْد الهزيلة، الَّتي بقيت رابضةً دون حراكٍ؛ حذر الموت، وقد انقسمت إلى فريقين: أحدهما غارقٌ في الرَّدى، والآخر راغبٌ في الحياة مع المذلَّة.

– ٣: التَّنميط الفخريُّ الحماسيُّ الجمعيُّ.

– ٣. ١: التَّنميط الفروسيُّ.

حرص عَبِيد على تجلية الطَّابع الفروسيّ، في فخريَّاته الجمعيَّة ببني أسد؛ من خلال بيان أركانه؛ الماثلة في: قُوَّة الفارس، وعدَّة القتال، ومطيَّتي الحرب: النَّاقة، والفرس؛ فضلًا عن ترسيخ سمات: الحماية، والشَّجاعة، والجرأة، والشِّدَّة، والإقدام؛ لتُشكِّل، معًا، نمطًا فريدًا للحالة الفروسيَّة القبليَّة.

وتمضي الفخريَّة الفروسيَّة الجمعيَّة؛ لترسيخ السِّمات المثاليَّة في الفارس والفرس، من قبيل قول الشَّاعر في مواجهة "بني جَدِيلَة"(١):

[من الكامل]

بَلْ لا مَحَالَةَ مِنْ لِقَاءِ فَوَارِسٍ كَرَمٍ مَتَى يُدْعَوا لِرَوْعٍ يَرْكَبُوا

شُمٍّ كَأَنَّ سَنَا الْقَوَانِسِ فَوْقَهُمْ نَارٌ عَلَى شَرَفِ الْيَفَاعِ تَلَهَّبُ

تَمْشِي بِهِمْ أُدْمٌ تَئِطُّ نُسُوعُهَا خُوصٌ كَمَا يَمْشِي الْهِجَانُ الرَّبْرَبُ

وَهُمُ قَدِ اتَّخَذُوا الْحَدِيدَ حَقَائِبًا وَخِلالَهُمْ أُدْمُ الْمَرَاكِلِ تُجْنَبُ

مِنْ كُلِّ مَمْسُودِ السَّرَاةِ مُقَلَّصٍ قَدْ شَفَّهُ طُولُ الْقِيَادِ وَأَلْغَبُوا

وَطِمِرَّةٍ كَالسِّيدِ يَعْلُو فَوْقَهَا ضِرْغَامَةٌ عَبْلُ الْمَنَاكِبِ أَغْلَبُ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٠، ٢١، (– قافية الباء/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣]: أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي جَدِيلَةَ أَوْعَبُوا...).

فلا مفرَّ للأعداء من لقاء الفوارس الكرام الشُّجعان، الَّذين يلبُّون نداء داعي الحرب؛ فيركبون خيولهم مقبلين على النِّزال دون وجلٍ، وهم الَّذين يشبه بريق "القَوَانِس" على رؤوسهم نارًا كائنةً على مرتفعٍ من الأرض، ويكون التَّفصيل، تاليًا، لمطاياهم وعدَّتهم؛ ممثَّلةً في الإبل البيضاء، غائرة العيون، مُوثَّقة الخَلق، حثيثة السَّير، وهي المشَبَّهة بقطيع البقر الوحشيّ، والفرس الكريمة الشَّبيهة بالذِّئب في سمتي: السُّرعة، والمراوغة، وقد امتطاها الفارس عظيم المنكبين والرَّقبة؛ كنايةً عن القُوَّة والشِّدَّة، والفرسان على ركائبهم احتقبوا الدُّروع الحديديَّة المتينة؛ واللَّوحة بتأسيسها التَّعبيريّ الإخباريّ، وقيمها التَّصويريَّة البلاغيَّة، تضيء تفاصيل مشهد الإعداد الفروسيّ للقتال؛ من جهات: الإنسان، والحيوان، والعتاد.

ويقف عَبِيد على الفروسيَّة الجمعيَّة، في إثر الطَّلل والنَّسيب؛ لتتجلَّى ملامح: الإقدام، والبسالة، والتَّحدِّي، في أخلاق فوارس القبيلة، المنافحين عن حماها، حيث يقول(١):

[من الخفيف]

إِنَّنَا إِنَّمَا خُلِقْنَا رُؤُوسًا ... مَنْ يُسَوِّي الرُّؤُوسَ بِالأَذْنَابِ

لَا نَقِي بِالأَحْسَابِ مَالًا وَلَكِنْ ... نَجْعَلُ الْمَالَ جُنَّةَ الأَحْسَابِ

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢٤، ٢٥، (- قافية الباء/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤]: لِمَنِ الدَّارُ أَقْفَرَتْ بِالْجَنَابِ...).

وَنَصُـدُّ الأَعْـدَاءَ عَنَّـا بِضَـرْبٍ ذِي خِـذَامٍ وَطَعْنِنَـا بِالْحِـرَابِ
وَإِذَا الْخَيْلُ شَمَّرَتْ فِي سَنَا الْحَرْ بِ وَصَارَ الْغُبَارُ فَوْقَ الذُّؤَابِ
وَاسْتَجَارَتْ بِنَـا الْخُيُـولُ عِجَـالًا مُثْقَـلاتِ الْمُتُـونِ وَالأَصْـلابِ
مُصْغِيَاتِ الْخُدُودِ شُعْثَ النَّوَاصِي فِـي شَمَاطِيـطِ غَـارَةٍ أَسْـرَابِ
مُسْرِعَـاتٍ كَأَنَّهُـنَّ ضِـرَاءٌ سَمِعَتْ صَـوْتَ هَاتِـفٍ كَـلَّابِ
لاحِقَاتِ الْبُطُـونِ يَصْهِلْنَ فَخْـرًا قَدْ حَوَيْنَ النِّهَابَ بَعْدَ النِّهَابِ

وتكمن الفخريَّة الفروسيَّة في تلافيف اللَّوحة؛ من خلال الإخبار المشبع بالضَّمائر الجمعيَّة، وفي الاستهلال يقع التَّباين الأسلوبيُّ بين: الإخبار المؤَكَّد المحصور، والإنشاء الاستفهاميّ التَّقريريّ؛ لمؤَدًّى معنويٍّ منسجمٍ مع غائيَّة اللَّوحة في تأكيد أهليَّة السِّيادة، الخليقة بقبيلة عَبِيد دون سواها، الَّتي كانت على مثال الرَّأس في عُلُوِّه على الذَّنب، وللفروسيَّة أن تتجلَّى، تاليًا، في المباينة التَّركيبيَّة بين النَّفي والإثبات؛ على ما في أخلاق الفرسان من إجلال الأحساب بالحماية والوقاية، وإنْ استدعى الأمر بذل نفيس المال، ثمَّ يكون للفعل الفروسيّ داخل الميدان إخبار المضارعة؛ الموحي بديمومة الفعل والتَّحفُّز؛ وبهما يكون صدُّ الأعداء ديدنًا، يُتَوسَّل بالسَّيف القاطع والحراب الحادِّ.

وتتصدَّر الخيل المشهد التَّصويريَّ؛ ليتوارى فرسان القبيلة في ظلال اللَّوحة؛ على ما في الصُّعود التَّعبيريّ من مُؤَشِّر اشتداد النِّزال الدَّامي؛ المَبَدِّي في حماسة الجياد حين التماع السُّيوف في أرض المعركة، وقد بدا الغبار على نواصي الجياد

الملتئمة في فرقٍ متلاحقةٍ، الضَّامرة المسرعة على طريقة كلاب الصَّيد المتَحفِّزة بنداء صاحبها، الصَّاهلة فخرًا بتحقُّق النَّصر والغُنْم، مرَّةً في إثر أخرى.

ويُعمِّق الشَّاعر خطابه في دائرة الفعل الفروسيِّ النَّاجز في ساحة النِّزال؛ على جهة التَّأسيس البنائيِّ المصَدَّر بالتَّفصيل الشَّرطيِّ المؤَكَّد، في إثر الوقوف المتَعجِّل على الأطلال، ومن ذلك قوله(١):

[من الكامل]

أَمَّا إِذَا كَانَ الطِّعَانُ فَإِنَّهُمْ ... قَدْ يَخْضِبُونَ عَوَالِيَ الْمُرَّانِ

أَمَّا إِذَا كَانَ الضِّرَابُ فَإِنَّهُمْ ... أُسْدٌ لَدَى أَشْبَالِهِنَّ حَوَانِي

أَمَّا إِذَا دُعِيَتْ نَزَالِ فَإِنَّهُمْ ... يَحْبُونَ للرُّكَبَاتِ فِي الأَبْدَانِ

فَخَلَدْتُ بَعْدَهُمُ وَلَسْتُ بِخَالِدٍ ... فَالدَّهْرُ ذُو غِيَرٍ وَذُو أَلْوَانِ

اللهُ يَعْلَمُ مَا جَهِلْتُ بِعَقْبِهِمْ ... وَتَذَكُّرِي مَا فَاتَ أَيَّ أَوَانِ

وتقع هذه المقطوعة الشِّعريَّة في دائرة الاستذكار الفخريِّ للماضي، بعد الوقوف الطَّلليِّ الباكي رحيل الإنسان؛ وحينها يكون لعَبِيد فعل الاستعادة التَّعويضيَّة، عن سوداويَّة الطَّلل، بالمحَفِّزات الفروسيَّة، للفخر الجمعيِّ، في متتالية الشَّرطيَّات؛ المؤَسِّسة للأقطاب الكُلِّيَّة: "الطِّعَان"، وَ"الضِّرَاب"،

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٩، (- قافية النُّون/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤٧]: لِمَنِ الدِّيَارُ بِبُرْقَةِ الرَّوْحَانِ؟...).

وَ"النِّزَال"؛ على سُبُل: تخضيب الرِّماح بالدِّماء، وافتداء القوم لحمايتهم، والزَّحف للقاء أعداء القبيلة، وقد انصرف الشَّاعر عن ضميريَّة الغياب إلى جأر التَّكلُّم؛ وفيه خلوده بخلود فروسيَّة قبيلته، على ما في الزَّمان من تقلُّباتٍ عاصفةٍ؛ خلَّفت تشتُّت المتَذكَّر مع تطاول العمر، وعمق مرارة الرَّحيل.

ويُكرِّس عَبِيد فخريَّته الآتية لقيمة الحماية؛ بوصفها سمةً فروسيَّةً لافتةً عند أبناء قبيلته، مستهلًّا بها القصيد بقوله(١):

[من البسيط]

دَعَا مَعَاشِرَ فَاسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُمْ ... يَا لَهْفَ نَفْسِيَ لَوْ تَدْعُو بَنِي أَسَدِ

تَدْعُو إِذًا حَامِيَ الْكُمَاةِ لا كَسِلًا ... إِذَا السُّيُوفُ بِأَيْدِي الْقَوْمِ كَالْوَقَدِ

لَوْ هُمْ حُمَاتُكَ بِالْمَحْمَى حَمَوْكَ وَلَمْ ... تُتْرَكْ لِيَوْمٍ أَقَامَ النَّاسَ فِي كَبَدِ

كَمَا حَمَيْنَاكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ شَطِبٍ ... وَالفَضْلُ لِلْقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدِ

ومكمن الخطاب قائمٌ على الضَّميريَّة الغيبيَّة؛ الَّتي تقف على منشود الآخر في نيل حماية الأسديّين، وهم حُمَاة الكُمَاة حين يقع الضَّرب في النِّزال؛ فتكون السُّيوف كالنِّيران المتَّقِدة؛ أمَّا حمايتهم فمدعاةٌ للأمان الَّذي لا يُرَى بعده ضيقٌ، على أنَّ التَّمثيل بحماية "يوم النَّعْفِ"؛ واقعٌ في دائرة الاعتداد بالمسَبِّبات الَّتي أحرز القوم بها سمة الأفضليَّة؛ من: قُوَّةٍ قتاليَّةٍ، وعددٍ متكاثرٍ، وعتادٍ كافٍ.

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣٣، (- قافية الدَّال/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١١]: دَعَا مَعَاشِرَ فَاسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُمْ...).

وتتمثَّل المفارقة المضمونيَّة في الفخريَّة الجمعيَّة، المقولة بين يدي الملك حُجر والد امرئ القيس، في مقام استعطاف الشَّاعر إيَّاه للرَّأفة بقومه، وقد أسر حُجر سادتهم وضربهم بالعصيّ؛ فشاعت تسميتهم بعبيد العصا[1]، وفي ذلك يقول[2]:

[من الكامل]

يَا عَيْنِ فَابْكِي مَا بَنِي أَسَدٍ فَهُمْ أَهْلُ النَّدَامَةْ

أَهْلَ الْقِبَابِ الْحُمْرِ وَالـ ـنَّعَمِ الْمُؤَبَّلِ وَالْمُدَامَةْ

وَذَوِي الْجِيَادِ الْجُرْدِ وَالأَ سَلِ الْمُثَقَّفَةِ الْمُقَامَةْ

ويتبدَّى الإنشاء النِّدائيُّ فالآمر؛ لغاية بكاء السَّادة المأسورين في حضرة الملك حُجر؛ لاستعطاف قلبه، وقد أردفه الشَّاعر ببيانٍ مُكَثَّفٍ لخصال السِّيادة والفروسيَّة فيهم، على ما في سمات: الكرم، والنَّعيم، والتَّحفُّز القتاليّ الدَّائم بالجياد الجُرْد والرِّماح المقَوَّمة؛ من دلالةٍ كُلِّيَّةٍ على الطَّابع الفروسيّ، الَّذي اشتملت به القبيلة، في نطاق الخصال المثاليَّة لحالتي: السِّلم، والحرب، على أنَّ القيمة الفخريَّة اللَّافتة، هنا، تكمن في مقام الضَّعف لا القُوَّة؛ مِمَّا يعكس وَقْعَنة الخطاب في التَّعاطي مع حالة الأسر؛ باستظهار محامد القوم بين يدي ملك "كِنْدة".

---

(١) يُنظَر: ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٣.

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٣، (- قافية الميم/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤٢]: يَا عَيْنِ فَابْكِي مَا بَنِي...).

– ٣. ٢: التَّنميط الأخلاقيُّ.

شملت لوحة الفخر، في منظومة الأخلاق، التَّبدِّيات الخيريَّة؛ في أُطُر: الحياة، والإسناد، والحكمة؛ لتتجسَّد المحامد الفضلى، والقيم المثاليَّة، بأفعال السَّادة والعامَّة، في عظيم الشَّدائد، على نهج الائتلاف الرُّوحيّ، المرَسِّخ تعاضد أفراد المجتمع، بكلِّ طبقاته؛ لتجاوز مختلف العقبات، وإدراك مفازة الفخر قبل الموت.

ويقف عَبِيد على السِّمات الأخلاقيَّة العامَّة لقبيلته؛ من خلال الدَّوالِّ الشِّعريَّة المكَثَّفة؛ الَّتي تحيل إلى تشكيل الصُّورة النَّمطيَّة الكُلِّيَّة للفخريَّة؛ بسبيل التَّقديم الوجدانيّ، المسْتنِد إلى فعل التَّذكُّر، ويقول في ذلك(١):

[من الطَّويل]

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ بِمَلْحُوبِ فَقَلْبِي عَلَيْهِمْ هَالِكٌ جِدُّ مَغْلُوبِ

تَذَكَّرْتُ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْبَاعِ وَالنَّدَى وَأَهْلَ عِتَاقِ الْجُرْدِ وَالْبِرِّ وَالطِّيبِ

تَذَكَّرْتُهُمْ مَا إِنْ تَجِفُّ مَدَامِعِي كَأَنْ جَدْوَلٌ يَسْقِي مَزَارِعَ مخْرُوبِ

وترتكز مُقَوِّمات الاستهلال الشِّعريّ السَّابق، على التَّقديم الوجدانيّ السَّامي، الَّذي يسمو بفعل التَّذكُّر صوب خصال القبيلة المثاليَّة؛ لتسرية الألم الدَّفين المعتمر قلب الشَّاعر، وتشعُّ الذَّاتيَّة الفاعلة بالالتئام الشُّموليّ مع

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص١٧، (– قافية الباء/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢]: تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ بِمَلْحُوبِ...).

المفعوليَّة القبليَّة؛ المَوصَّفة بالصَّلاح تارةً، والمضَافة إلى الخيريَّة تارةً أخرى، والمنْعتِقة من أيِّ قيدٍ توصيفيٍّ أو إضافيٍّ في تارةٍ ثالثةٍ؛ إذ الصَّلاح المنسجم مع المعاني الرُّوحيَّة والمسلكيَّة، دواء القلب المحزون بالفَقْد، والمغلوب بوَجْد الفراق؛ أمَّا الخيريَّة فتَقْدِمَةٌ لمتسلسلة: العطاء، والكرم، والفروسيَّة، والإحسان، والطِّيب، بينما يجيء التَّذكُّر خلوًا من التَّوصيف أو الإضافة؛ لغاية الإطلاق الذِّهنيِّ الإلحاقيِّ، المرْتكِز على كفاية (المفعول به: "هُمْ") بذاته، عن ذكر مزيد الخصال الحميدة؛ وفي الإطلاق التَّركيبيِّ فحوى الانطلاق البكائيِّ السَّيَّال، الشَّبيه بالجدول السَّاقي كُلَّ خَربٍ؛ ولعلَّها تروية الشَّاعر قَفْر المكان، ببكاء المحامد الإنسانيَّة؛ في مقابلة الجَدْب بالحياة، ومُوَازاة جسامة الفَقْد بمزيد الدُّموع/ الماء.

ويمكن الاستناد إلى الأبيات السَّابقة؛ في الإشارة إلى أنَّ "الإنسان الجاهليَّ بذل جهودًا مُنَظَّمَةً في مواطنَ كثيرةٍ؛ استهدفت الاستقرار الدَّائم بها؛ باستثمارها في مجالي: الزِّراعة، والبناء. والجهد الإنسانيُّ الجاهليُّ المبذول لتطوير أماكن استقرار الجاهليِّين، لا يقتصر على الزِّراعة والبناء، بل يتعدَّاهما إلى الصِّناعة اللَّازمة لتلبية مُتَطلَّبات الجاهليِّ؛ من: ثيابٍ، وطعامٍ، وشرابٍ، وسلاحٍ"[1].

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليِّ، اسليم، ص٢٠٧، (- الفصل الثَّالث: الانتماء المكانيّ/ ١ – القرار بالمكان/ ٤ – تطوير أماكن الاستقرار).

وتبعث الظَّعائن المعاني الشِّعريَّة، في الفخر الأخلاقيّ؛ انسجامًا مع دافع استذكار الماضي التَّليد؛ فينبري الشَّاعر لتعداد مآثر القوم، على مثال قوله[1]:

[من البسيط]

وَفِتْيَـةٌ كَلُيُـوثِ الْغَـابِ مِـنْ أَسَـدٍ ... مَـا لِلنَّدَى عَنْهُـمُ نَـزْحٌ وَلا شَحَـطُ

بِيضٌ بَهَالِيلُ يَنْفِي الْجَهْلَ حِلْمُهُمُ ... وَتَفْزَعُ الأَرْضُ مِنْهُم إِنْ هُمُ سَخِطُوا

إِذَا تَخَمَّـطَ جَبَّـارٌ ثَنَـوْهُ إِلَـى ... مَا يَشْتَهُونَ وَلا يُثْنَـوْنَ إِنْ خَمِطُـوا

وَالْفَارِجُو الْكَـرْبِ وَالْغُمَّى بِرَأْيِهِـمُ ... إِذَا تَشَابَهَـتِ الأَهْـوَاءُ وَالصُّـرُطُ

وَالْقَائِلُـو الْفَصْـلِ لا تَنْـآدُ طِينَتُهُـمْ ... وَمَـا لِقَوْلِهِـمُ خَلْـفٌ وَلا مَيَـطُ

وَالْخَالِطُو مُعْسِرٍ مِنْهُـم بِمُوسِرِهِـمْ ... وَأَكْـرَمُ النَّـاسِ مَطْرُوقًـا إِذَا اختُبِطُوا

مُرُّو اللِّقَاءِ وَمُبْقُو الْعَقْدِ إِنْ عَقَدُوا ... إِذَا أَضَـاعَ مِـنَ الْمِينَـاقِ مُشْتَـرِطُ

رُجْـحٌ إِذَا حَضَـرَ النَّـادِي حُلُومُهُـمُ ... وَفِيهِـمُ الزَّغْـفُ وَالْخَطِّـيُّ وَالزُّبُـطُ

وَالْمَشْرَفِيَّـةُ مَفْلُـولٌ ضَوَارِبُهَـا ... يَـوْمَ اللِّقَـاءِ وَأَيْـدٍ بِالنَّـدَى سَبِـطُ

لا يَحْسِبُونَ غِنًـى يَبْقَـى وَلا عَدَمًـا ... إِذَا رَأَى ذَاكَ مِنْهُـمْ مَعْشَـرٌ فُـرُطُ

والظَّاهر من النَّصِّ القيمة الشُّموليَّة في التَّوثيق الأخلاقيّ، للحالات التَّفاعليَّة الاجتماعيَّة، لتتربَّع القبيلة في موطن الصَّدارة، في زمني: السِّلم، والحرب؛ على إيحائيَّة الإخبار الاسميّ الغالب بالثَّبات النَّوعيّ لهاتيك

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٦٥، ٦٦، (- قافية الطَّاء/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٢٦]: بَانَ الْخَلِيطُ الأُلى شَاقُوكَ إِذْ شَحَطُوا...).

السِّـمات، المسـتهلَّة بتشـبيه الفتيـة الأشـدَّاء باللُّيـوث، مـع ترسـيخ تِقْنِيَّـة التَّشخيص اشتمالهم بالكرم الدَّائم، فضلًا عن: السَّماحة، والسِّيادة، والحِلْم، والغضـب، ثمَّ يُقـدِّم الشَّـرط المنفـتح علـى الاسـتقبال؛ قـيم: العِـزَّة، والأنفـة، والكبرياء، حين ينزل الجبابرة، دومًا، عند رأيهم، دون أن يخضعوا لأيٍّ منهم؛ بينما تأتي أسماء الفاعلين لتأكيد ثبات سمات: سداد الفكر، وتكاثر العطاء، والوفاء بالعهد؛ انسجامًا مع المقول السَّابق؛ وفيها فَصْل الخطاب في الملْتبِس المشْـكِل، دون خضـوعٍ أو ضـعفٍ، والكـرم السَّـائد في مختلـف الأحـوال والأزمان، والوضوح النَّاصع مع الآخر؛ في إطاري: الحرب والمجابهة، أو العهد والسَّلام.

وتقوم البنية المضمونيَّة، للبيتَيْن التَّاليَيْن، على التَّقابل التَّقاطعيّ، لحال الفتية في: السِّلم، والحرب؛ فإنْ كانوا على رجاحة العقل في المجالس؛ فلهم في الحرب كلمة الفعل الممهورة بالسَّيف والخيل، وحين تتجلَّى السُّيوف الضَّاربة في مقاتل الأعداء؛ تبسط أيادي الفرسان ذاتها تَقْدِمات كرمها لطالبها؛ أمَّا القولة الأخيرة فلها من وجه الفخر مُكْنة الحكمة من عقول القوم؛ وهم عقلاء ذوو تجربةٍ، لا يعتقدون بديمومة الغنى أو الفقر؛ إذ الدَّهر في تصاريفَ مُتَقلِّبةٍ ومُتَبدِّلةٍ.

ويحضر الملمح الاجتماعيُّ، في باب التَّشارك المادِّيّ؛ حيث يظهر من قول عَبِيد: "**وَالْخَالِطُو مُعْسِرٍ مِنْهُمْ بِمُوسِرِهِمْ**" "تضامن الجماعة الأبويَّة؛ فالأغنياء

يضمنون للفقراء عيشًا كريمًا، وفي لفظة (الخَالِطُو)؛ ما يوحي بحرص الأغنياء على أن يرقوا بمستوى حياة فقراء القبيلة إلى مستواهم"(١).

ولعلَّ التَّضامن المجتمعيَّ، البادي في الكرم والضِّيافة؛ ثمرة البيئة الصَّحراويَّة الصَّعبة؛ "إذ إنَّ هذه الظُّروف الصَّعبة يمكن أن تصيب كُلَّ إنسانٍ؛ وهذا يعني أنَّه يمكن أن يأتي وقتٌ يحتاج فيه كُلُّ شخصٍ إلى مساعدة الآخرين، ويُضَاف إلى ذلك، أنَّه على الرَّغم من أنَّ الغارات والغزوات كانت مألوفةً في العصر الجاهليّ، حاول العرب أن يُؤمِّنوا حركةً سِلْميَّةً، في الصَّحراء الوحيدة الواسعة، من خلال الضِّيافة؛ لأنَّه لا تُوجَد مطاعمُ أو استراحاتٌ يستطيع المسافرون فيها أن يسدُّوا حاجاتهم؛ ولكي لا يُعزَل البدو؛ فقد مارسوا الضِّيافة، الَّتي تكوَّنت قبل كلِّ شيءٍ؛ لضمان أمن المسافر، وحمايته خارج قبيلته"(٢).

ويوحي اقتران الشَّجاعة بالكرم، في اللَّوحة السَّابقة؛ بأنَّ "الإنسان العربيَّ كان يرى أنَّ الشَّجاعة والقُوَّة والبأس لا بُدَّ أن يردفها الكرم والجود والعطاء؛ لأنَّ الحياة القاسية الَّتي تطلَّبت منه قُوَّةً للاستمرار فيها؛ تطلَّبت منه، أيضًا،

---

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، اسليم، ص٣١٨، (الفصل الرَّابع: الانتماء الاجتماعيّ والسِّياسيّ/ ٢ – السَّادة والمستضعفون/ ٢ – فقراء وأغنياء).

(٢) الجود والبخل في الشِّعر الجاهليّ، د. محمَّد فؤاد نعناع، دار طلاس للدِّراسات والتَّرجمة والنَّشر، دمشق، (ط١)، (١٩٩٤م)، ص٢١، (– التَّمهيد/ ١ – أهمِّيَّة الضِّيافة والجود في العهود القديمة وفي مجتمع القبيلة العربيَّة).

تضامنًا وتكافلًا بين الأفراد، ومدَّ يد العون للآخرين؛ خشية هلاكهم جوعًا أو عطشًا. ويبدو أنَّه كان مقتنعًا قناعةً تامَّةً بأنَّ الرَّجل القويَّ لا يكتفي بتأمين رزقه ورزق أهله فقط، وإنَّما يمتدُّ عطاؤه ليشمل أفراد القبيلة المحتاجين، وليشمل، أيضًا، كُلَّ معتفٍ أو طالب حاجةٍ يطرق بابه، ويرتجي عونه"(١).

وتلزمنا الإشارة إلى حرص عَبِيد، على توثيق الأثر النَّفعيّ للعَقْد، في المجتمع الجاهليّ؛ بما يُؤسِّس لقيمة الوفاء؛ "والوفاء بهذا المعنى يشمل كُلَّ ما يلتزم به الفرد تجاه الآخرين، من قولٍ أو عملٍ، وخاصَّةً فيما يتَّصل بالجوار والحماية، أو بالحلف والعهد والميثاق"(٢).

---

(١) الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص٢٥٣، (- الباب الثَّاني: القِيَم الخُلُقيَّة/ - الفصل الثَّالث: الكرم)؛ ولتَتبُّع "الكرم"، في الحياة الجاهليَّة؛ يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، الحوفيّ، ص٢٤٠ – ٢٥٢، (- الباب الثَّالث: الحياة الخُلُقيَّة من الشِّعر/ - الكرم)؛ ولتَقصِّي "الشَّجاعة"، عند الجاهليّين؛ يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، الحوفيّ، ص٢٥٨ – ٢٦٧، (- الباب الثَّالث: الحياة الخُلُقيَّة من الشِّعر/ - الشَّجاعة).

(٢) الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص٣٠٧، (- الباب الثَّاني: القِيَم الخُلُقيَّة/ - الفصل الرَّابع: الوفاء)؛ وللتَّبصُّر في أهمِيَّة "الوفاء"، بين الجاهليّين؛ يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، الحوفيّ، ص٢٨١ – ٢٨٥، (- الباب الثَّالث: الحياة الخُلُقيَّة من الشِّعر/ - الوفاء)؛ ولمقاربة حضور "الحِلْف والجِوَار"، في البيئة الجاهليَّة؛ يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، الحوفيّ، ص٢١٧ – ٢٢٥، (- الباب الثَّاني: الحياة الاجتماعيَّة من الشِّعر/ - ثانيًا: الصِّلات القبليَّة/ ٣ – الحِلْف والجِوَار).

ولعَبِيد بعد بكائيَّة الطَّلل، وتأمُّليَّة النَّاقة، ووصفيَّة الحرب؛ أن يُعمِّق الحضور الفخريَّ الأخلاقيَّ، في ديار القبيلة، بأسلوب التَّعبير المجازيّ، المستند إلى الاستعارة؛ لمؤدَّى الفخر بقُدْمة امتلاك المكان، وتضحيات القوم دفاعًا عن الحضور الإنسانيّ فيه، ورسوخ آثار منازلهم على مرِّ الأزمنة[1]، حيث يقول[2]:

[من الرَّمل]

وَلَنَــا دَارٌ وَرِثْنَــا عِزَّهَــا الأَ ... قْـدَمَ الْقُدْمُوسَ عَنْ عَـمٍّ وَخَـالِ

مَنْــزِلٌ دَمَّنَــهُ آبَاؤُنَــا الْـ ... ـمُورِثُونَا الْمَجْدَ فِي أُولَى اللَّيَـالِ

مَا لَنَا فِيهَا حُصُونٌ غَيْـرُ مَا الْـ ... ـمُقْرَبَاتِ الْجُـرْدِ تَرْدِي بِالرِّجَـالِ

فِي رَوَابِـي عُدْمُلِـيٍّ شَامِـخِ الأَ ... نْـفِ فِيـهِ إِرْثُ مَجْـدٍ وَجَمَـالِ

فَاتَّبَعْنَـا ذَاتَ أُولانَـا الأُولَى الْـ ... ـمُوقِدِي الْحَرْبِ وَمُوفِي بِالْجِبَالِ

ويمكـن اسـتلال المكَـوِّنات المضـمونيَّة، للتَّصـوير النَّمطـيّ الأخلاقـيّ الجمعيّ؛ بمتتابعة: العزَّة، والثَّبات، والمجد، والمنعة، والأصالة، والشُّموخ، والقُوَّة، والوفـاء؛ فـالعزَّة موروثـةٌ مـن جهـتي: العمومـة، والخؤولـة، والثَّبـات نهـج الآباء

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، اسليم، ص٢٠٣، (- الفصل الثَّالث: الانتماء المكانيّ/ ١ – القرار بالمكان/ ٣ – آثار التَّقارب والتَّباعد)، (بتصرُّف).

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٨٤، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٦]: يَا خَلِيلَيَّ ارْبَعَا وَاسْتَخْبِرَا...).

الأوائل، والمجد ما أورثوه لأفراد القبيلة، والمنعة الجُرْد المقَرَّبات من الخيام، والأصالة مطبوعةٌ في مرابع القبيلة، والشُّموخ بادٍ في روابيها الموحية بالمجد والجمال، والقُوَّة دأب الأوائل في إيقاد الحرب حين حاجتها، والوفاء حفظٌ للودِّ والعهد، والحسب والنَّسب.

ويجري الشَّاعر على المنوال ذاته؛ فيفخر بالمكارم الأخلاقيَّة لقبيلته، بعد بكاء الطَّلل، ووصف النَّاقة، والفخر بالقدرة الحربيَّة لبني أسد، مع مَزِيَّة وصف "سُلَيْمَى" بعد الطَّلل، عن اللَّوحة السَّابقة، فيختم القصيدة بقوله[1]:

[من السَّريع]

قَوْمِي بَنُو دُودَانَ أَهْلُ النُّهَى ... يَوْمًا إِذَا أُلْقِحَتِ الْحَائِلُ

كَمْ فِيهِمُ مِنْ سَيِّدٍ أَيِّدٍ ... ذِي نَفَحَاتٍ قَائِلٌ فَاعِلُ

مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ وَمَنْ فِعْلُهُ ... فِعْلٌ وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ

الْقَائِلُ الْقَوْلَ الَّذِي مِثْلُهُ ... يَنْبُتُ مِنْهُ الْبَلَدُ الْمَاحِلُ

لا يَحْرِمُ السَّائِلَ إِنْ جَاءَهُ ... وَلا يُعَقِّي سَيْبَهُ الْعَاذِلُ

وَالطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَغَى ... يَذْهَلُ مِنْهَا الْبَطَلُ الْبَاسِلُ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٨٦، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٧]: أَمِنْ رُسُومٍ نَأْيُهَا نَاحِلُ...).

وتُغطِّي المقطوعة السَّابقة مساحةً مُتَفرِّدةً، من السِّمات القوميَّة المثاليَّة، للإطار الأخلاقيِّ الأسديِّ؛ وفي هذا التَّأطير من الاستهلال الغرائبيِّ رسوخ العقلانيَّة حين تحمل الأنثى الحائل؛ ممَّا يشير إلى القدرة الفائقة على قراءة الحلول المنطقيَّة للمعضلات الجسيمة، في دائرة الاهتمامات القبليَّة المعاشيَّة، ضمن المستويين: الدَّاخليِّ، والخارجيِّ، وإنْ كان للإخبار أَنْ يُغلِّف اللَّوحة بكُلِّيَّتها، فله، أيضًا، أن يتَّخذ السَّبيل الكمِّيَّ؛ في الدَّلالة على ملمحيَّة السِّيادة، في السَّواد الأعظم من رجالات أسد، تلك المعَزَّزة بالقُوَّة الفائقة، فالعطاء المسْترسِل، والفعل النَّاجز بعد القول النَّافذ.

وتجري الأخلاقيَّة الثُّلاثيَّة التَّالية، على نحوٍ تتابعيٍّ موصوليٍّ؛ لغاية ترسيخ القول والفعل والمعروف، في أفعال السَّادة الكرام؛ على أنَّ المستهلَّ القوليَّ يبدو محطَّ التَّعبير الاستهلاليِّ للبيت التَّالي؛ بسبيل اسم الفاعل؛ على جهة تعميق المنطق السَّديد، والقول الحكيم، في آرائهم الَّتي تستقيم بها معايش العباد، وأحوال بلادهم، أمَّا التَّشطير الإخباريُّ الفعليُّ المبنيُّ على النَّفي؛ فيكون لإثبات الضِّدِّ الماثل في ديمومة إجابة السَّائل، وإعطاء المسْتمنِح المحتاج؛ وللَّوحة أن تُجلَّل، في فضائها المضمونيِّ الأعلى، بأخلاق الفارس الهُمَام في القتال؛ على تَكِئَة اسم الفاعل الرَّاسخ بناجز الطَّعنة الدَّقيقة في المقتل، تلك الَّتي يذهل لبراعتها البطل الباسل.

أمَّا الابتناء الأسلوبيُّ للمضامين السَّابقة؛ فله أن يُقدِّم مزايا لافتةً؛ أسهمت في تكامليَّة النَّصِّ معنًى ومبنًى، على جهتي: الإطار، والأثر؛ ليكون التَّأطير ترسيخًا للثِّيمات: العقلانيَّة، والحِكَمِيَّة، والسِّياديَّة، والفعليَّة،

والإسناديَّة، والفروسيَّة؛ الَّتي ظهرت بتقاناتٍ تأثيريَّةٍ؛ ماثلةٍ في: غلبة الإخبار الاسميّ، والتَّوازي الجُمَلِيّ، والتَّجنيس الاشتقاقيّ، والتَّصويت التَّفخيميّ والصَّفيريّ؛ من قبيل: القاف، والطَّاء، والسِّين؛ على ما فيها من مناسبة الغرض من جانبٍ، وتحقيق القيمة الموسيقيَّة الدَّاخليَّة من جانبٍ آخرَ.

ويقتصد عَبِيد في الوقوف على الأطلال بناقته وبكائها؛ ليخلص إلى الفخر الأخلاقيّ فالحربيّ، وفي أخلاقيَّات قومه، الَّتي استذكرها في موقف الطَّلل الحزين، يقول(١):

[من الكامل]

لِمَنِ الدِّيَارُ بِبُرْقَةِ الرَّوْحَانِ؟ دَرَسَتْ وَغَيَّرَهَا صُرُوفُ زَمَانِ!

...

أَيَّامَ قَوْمِي خَيْرُ قَوْمٍ سُوقَةٍ لِمُعَصِّبٍ وَلِبَائِسٍ وَلِعَانِي

وَلَنِعْمَ أَيْسَارُ الْجَزُورِ إِذَا زَهَتْ رِيحُ الشِّتَاءِ وَمَأْلَفُ الْجِيرَانِ

أمَّا الأيَّام فكثرةٌ كاثرةٌ؛ تحيل إلى تأصُّل الخيريَّة في قومه للعامَّة؛ من مثال: الجائع، والفقير، والأسير، مع تبدِّي الإنشاء غير الطَّلبيّ؛ في مقام مدح الضَّاربين بالقداح للمقامرة، النَّاحرين الجَزُور للإطعام حين هبوب ريح الشِّتاء الباردة؛ حتَّى غدوا بكرمهم موطن ألفة الجيران.

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٩، (- قافية النُّون/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤٧]: لِمَنِ الدِّيَارُ بِبُرْقَةِ الرَّوْحَانِ؟...).

– ٣. ٣: التَّنميط الحربيُّ.

سعى عَبيد إلى تكريس الصُّورة الجمعيَّة، في السِّياق الحربيّ؛ بما تضمَّنه من فخرٍ بالغٍ بالانتصارات الباهرة، في الوقائع الفاصلة من أيَّام العرب؛ على طريقتي: تأريخ الأحداث، وتأصيل الاجتماع، لمجمل التَّفاعلات القبليَّة العربيَّة، في بيئة الجاهليّين؛ بفضل مزايا: كثرة العدد، وقيمة الفروسيَّة، وتفوُّق العتاد؛ لتكون للقبيلة كلمتها السَّائدة، المجلَّلة بريادة الحكمة، وصدارة المجد.

ويتبدَّى الفخر الجمعيُّ في مواجهة "بني جَدِيلَة"؛ من خلال الفخر الفروسيّ، ثمَّ الحربيّ، الكائن في النِّصف الثَّاني من القصيدة؛ ليوحي بالتَّهديد الصَّريح؛ من خلال ذكر انتصارات الأسديّين، في حروبهم المختلفة، فضلًا عن قتل الملك حُجر، فيقول الشَّاعر(١):

[من الكامل]

وَلَقَدْ شَبَبْنَا بِالْجِفَارِ لِدَارِمٍ نَارًا بِهَا طَيْرُ الأَشَائِمِ يَنْعَبُ
وَلَقَدْ تَقَادَمَ بِالنِّسَارِ لِعَامِرٍ يَوْمٌ لَهُمْ مِنَّا هُنَاكَ عَصَبْصَبُ
حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ فِيهَا الْمُثَمَّلُ نَاقِعًا فَلْيَشْرَبُوا
بِمُعَضَّلٍ لَجِبٍ كَأَنَّ عُقَابَهُ فِي رَأْسِ خُرْصٍ طَائِرٌ يَتَقَلَّبُ

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٢١، ٢٢، (– قافية الباء/ – فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣]: أُنْبِئْتُ أَنَّ بَنِي جَدِيلَةَ أَوْعَبُوا...).

وَلَقَـدْ أَتَانَـا عَـنْ تَمِيـمٍ أَنَّهُـمْ ذَئِـرُوا لِقَتْلَـى عَامِـرٍ وَتَغَضَّبُـوا
رَغْـمٌ لِأَنْـفِ أَبِيـكَ عِنْـدِي ضَائِـعٌ إِنِّـي يَهُـونُ عَلَـيَّ أَنْ لا يُعْتَبُـوا
وَغَـدَاةَ صَبَّحْـنَ الْجِفَـارَ عَوَابِسًـا يَهْـدِي أَوَائِلَهُـنَّ شُعْـثٌ شُـزَّبُ
لَمَّـا رَأَوْنَـا وَالْمَغَـاوِلُ وَسْطَهُـمْ وَالْخَيْـلُ تَبْـدُو تَـارَةً وَتَغَيَّـبُ
وَلَّـوْا وَهُـنَّ يَجُلْـنَ فِـي آثَارِهِـمْ شَـلَلًا وَبَالَطْنَاهُـمُ فَتَكَبْكَبُـوا
سَائِـلْ بِنَـا حُجْـرَ بـنَ أُمِّ قَطَـامِ إِذْ ظَلَّتْ بِـهِ السُّمْـرُ النَّوَاهِلُ تَلْعَـبُ
صَبْـرًا عَلَـى مَـا كَـانَ مِـنْ حُلَفَائِنَـا مِسْكٌ وَغِسْلٌ فِي الرُّؤُوسِ يُشَيَّبُ
فَلْيَبْكِهِـمْ مَـنْ لا يَـزَالُ نِسَـاؤُهُ يَـوْمَ الْخِفَـاظِ يَقُلْـنَ أَيْـنَ الْمَهْرَبُ

ويكون تهديد الحلفاء من "بني جَدِيلَة" ختامًا للَّوحة الشِّعريَّة؛ المحْتشِدة بمآثر الأسديّين الحربيَّة، في أيَّامهم الخالدة؛ ومنها يوم "الجِفَار" مع "بني دَارِم" من "تميم"؛ حيث أوقدوا لهم نار الحرب المشتملة بنَعِيب الغراب المشؤوم، ويوم "النِّسَار" في مواجهة "بني عامر"؛ وفيه أسقوهم كأس الموت المسموم، بجيشٍ كبيرٍ جرَّارٍ، خفقت راياته عاليةً كأنَّها على رؤوس الرِّماح؛ أمَّا غضبة "تميم" لقتلى "بني عامر"؛ فكانت محطَّ هُزْء عَبِيد وسخريته منهم، مُذَكِّرًا إيَّاهم بيوم "الجِفَار"؛ وقد كانت الإغارة الصَّباحيَّة فيه بخيولٍ منتشرةٍ ضامرةٍ، خبرت تصاريف الحروب والمعارك، وتحت وقع لمعان السُّيوف، وبروز الخيل تارةً، واختفائها تارةً أخرى؛ إثر غبار المعركة المتكاثر؛ ولَّوْا مدبرين دون أن ينالوا بغيتهم؛ إذ كان الفرسان على خيولهم في مطاردتهم، وجالدوهم حتَّى النِّهاية.

وإنْ كان الإخبار قد جرى على النَّمط الفعليّ المؤَكَّد، أو الاسميّ الرَّاسخ؛ فإنَّ الخطاب قد تشكَّل بصيغة الإنشاء؛ على جهة الأمر المغَلَّف بالفخر؛ لغاية مساءلة الأعيان والقبائل عن قتل الملك حُجر بفعل قومه؛ حين ظلَّت الرِّماح العطشى تنهل من دمائه، وتُعمِل أثرها النَّافذ بالطَّعن والتَّمزيق لكلِّ مَن والاه؛ ليكون التَّهديد الموَجَّه لـ"بني جَدِيلَة"، تاليًا، بوقعٍ جسيمٍ، ونفعٍ مُتَحقِّقٍ، وردعٍ بيِّنٍ؛ وقد بدا المضمون التَّهديديُّ نزَّاعًا إلى التَّرهيب البالغ؛ حين وصف عَبِيد استعداد فرسان القبيلة المحاربين للموت باستصحاب الحَنُوط؛ وهؤلاء أدعى لأَنْ يُبكَى على الرَّاحلين منهم؛ لحفاظهم على حياض القبيلة، وحماية محارمها، حين لم يفلح الآخرون في ذلك، وتفرَّقت أعراضهم في أحياء العرب.

وللظَّاهرة الصَّوتيَّة التَّنافريَّة؛ أن ترفد المعنى بمُؤَثِّري: القُوَّة، والعمق، على نحو ما وقعنا عليه في مفردة "**شُزَّب**"، "وقد بدا التَّنافر متوافقًا مع المعنى؛ فتداخل الأصوات المتنافرة يحاكي ذلك التَّداخل والتَّشابك والتَّلبُّد في شعر الخيول؛ إنَّه تنافرٌ يوحي بالمعنى ويُصوِّره"(١).

(١) الإيقاع وعلاقته بالدَّلالة في الشِّعر الجاهليّ، أحمد حسايّ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، إشراف: أ. د. طاهر حجَّار، جامعة الجزائر، الجزائر، (٢٠٠٥/ ٢٠٠٦م)، ص٣١٤، (- الفصل الخامس: الإيقاع الصَّوتيّ والدَّلالة/ - الإيقاع الصَّوتيّ والدَّلالة في الشِّعر الجاهليّ).

ويُمعِن عَبِيد في إضاءة التَّنميط الفخريّ الحربيّ، في إطار التَّهديدات الاستباقيَّة؛ بتوظيف أسلوب الإخبار؛ من خلال الوقوف على نتائج حروب القبيلة مع الأعداد الألدَّاء؛ لغاية تحقيق التَّرهيب الرَّادع لامرئ القيس، الَّذي طلب الثَّأر لدم أبيه دون نواله، حيث يقول عقب الوقوف الباكي على أطلال "سُلَيْمَى"(١):

[من الطَّويل]

وَنَحْنُ قَتَلْنَا الأَجْدَلَيْنِ وَمَالِكًا ... أَعَزَّهُمَا فَقْدًا عَلَيْكَ وَهَالِكَا

وَنَحْنُ جَعَلْنَا الرُّمْحَ قِرْنًا لِنَحْرِهِ ... فَقَطَّرَهُ كَأَنَّمَا كَانَ وَارِكَا

وَنَحْنُ قَتَلْنَا مُرَّةَ الْخَيْرِ مِنْكُمُ ... وَقُرْصًا، وَقُرْصٌ كَانَ مِمَّا أُولَئِكَا

وَنَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا يَوْمَ أَقْبَلُوا ... سُيُوفًا عَلَيْهِنَّ النِّجَادُ بَوَاتِكَا

عَطَفْنَا لَهُمْ عَطْفَ الضَّرُوسِ فَأَدْبَرُوا ... شِلالًا وَقَدْ بَلَّ النَّجِيعُ السَّنَابِكَا

وَيَوْمَ الرَّبَابِ قَدْ قَتَلْنَا هُمَامَهَا ... وَحُجْرًا قَتَلْنَا شَيْخَهُ قَبْلَ ذَلِكَا

وَأَنْتَ امْرُؤٌ أَلْهَاكَ دَفٌّ وَقَيْنَةٌ ... فَتُصْبِحُ مَخْمُورًا وَتُمْسِي كَذَلِكَا

...

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٧٠، (- قافية الكاف/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٠]: تَعَفَّتْ رُسُومٌ مِنْ سُلَيْمَى دَكَادِكَا...).

وتبين المتتالية الفخريَّة، المستهلَّة بالتَّصريح الضَّميريِّ الجمعيِّ؛ عن مبلغ الفخر بالقُوَّة الحربيَّة، وقد وثَّق الشَّاعر بالاسميَّة الصَّريحة نتاج حروب القوم مع سادة "كِنْدة": "الأجدلَيْن"، و"مالكٍ"، و"مُرَّة الخير"، و"قُرْصٍ"؛ الَّذين أصيبوا في مقاتلهم؛ فخلَّف هلاكهم الألم والحسرة في قلب امرئ القيس؛ ولهذا الأمر أن ينسحب على "بني عامر"؛ الَّذين أوجعهم الأسديُّون جرحًا وقتلًا؛ فولَّوْا مدبرين، وللخطاب أن يعود إلى التَّهديد المباشر لامرئ القيس؛ من خلال تَذْكِرة المقتلة، في يوم "الرَّبَاب"؛ حين ثارت القبيلة على الملك حُجر فقتلته وأعوانه.

ويخلص الشَّاعر من التَّهديد إلى فداحة السُّخرية؛ فيُعمِل سهام الهجاء اللَّاذعة في فروسيَّة امرئ القيس المنقوصة؛ إذ هو مشغولٌ بالغناء والخمر، عن طلب الثَّأر والقصاص، وقد أدرك الكلُّ ثأره إلَّاه؛ فلا أحرز الأوتار، ولا أصاب الانتصار على أعدائه، وقد نجا من المهلكة بالفرار على هيئة الذَّليل، وظلَّ مُتَوهِّمًا بفَخَاره الزَّائف حيازة المُلْك.

ويجيء التَّخصيص الفخريُّ، في سياق المواجهة الشِّعريَّة مع امرئ القيس؛ حين يفرد الشَّاعر لُبَّ القصيدة، بعد استهلالها المسْتعِيد ذكرى "كُبَيْشَة"، والمتَأمِّل في ديارها، لمقتلة "كِنْدة" في سادتها، وعلى رأسهم حُجر؛ على نحوٍ

كاشفٍ لقمَّة الصُّعود الجمعيّ، في تنميط الفخر بالكفاءة الحربيَّة، المسْتنِد إلى المؤَشِّرات الفروسيَّة المثلى، قائلًا[1]:

[من الكامل]

يَـا ذَا الْمُخَوِّفَنَـا بِمَقْتَـلِ شَيْخِـهِ ... حُـجْـرٍ تَمَنّـيَ صَاحِبِ الأَحْـلامِ

لا تَبْكِنَـا سَفَهًـا وَلا سَادَاتِنَـا ... وَاجْعَـلْ بُكَـاءَكَ لابْـنِ أُمِّ قَطَـامِ

حُجْـرٍ غَـدَاةَ تَعَاوَرَتْـهُ رِمَاحُنَـا ... بِالْقَـاعِ بَيْـنَ صَفَاصِفٍ وَإِكَـامِ

حَتَّـى خَطَـرْنَ بِـهِ وَهُـنَّ شَوَارِعٌ ... مِـنْ بَيْـنِ مُقْتَصِـدٍ وَآخَـرَ دَامِ

وَالْخَيْـلُ عَاكِفَـةٌ عَلَيْـهِ كَأَنَّهَـا ... سُحُـقُ النَّخِيلِ نَأَتْ عَنِ الْجُرَّامِ

مُتَبَارِيَـاتٍ فِـي الأَعِنَّـةِ قُطَّبًـا ... يَحْمِلْـنَ كُـلَّ مُنَـازِلٍ قَمْقَـامِ

سَلَفًـا لأَرْعَـنَ مَـا يَخِـفُّ ضَبَابُـهُ ... مُتَقَنِّـسٍ بَـادِي الْحَدِيـدِ لُهَـامِ

فِيـهِ الْحَدِيـدُ وَفِيـهِ كُـلُّ مَصُونَـةٍ ... نَبْـعٍ وَكُـلُّ مُثَقَّـفٍ وَحُسَـامِ

وَلَقَـدْ قَتَلْنَهُـمُ وَكَـمْ مِـنْ سَيِّـدٍ ... عَكَفَـتْ عَلَيْـهِ خُيُولُنَـا وَهُمَـامِ

إِنَّـا إِذَا عَـضَّ الثِّقَـافُ قَنَاتَنَـا ... حَالَـتْ وَرَامَـتْ ثُـمَّ خَيْـرَ مَـرَامِ

نَحْمِـي حَقِيقَتَنَـا وَنَمْنَـعُ جَارَنَـا ... وَنَلُـفُّ بَيْـنَ أَرَامِـلِ الأَيْتَـامِ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٠، ٩١، (- قافية الميم/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤٠]: حَلَّتْ كُبَيْشَةُ بَطْنَ ذَاتِ رُؤَامِ...).

وَنَسِيرُ لِلْحَرْبِ الْعَوَانِ إِذَا بَدَتْ حَتَّى نَلُفَّ ضِرَامَهَا بِضِرَامِ
لَمَّا رَأَيْتَ جُمُوعَ كِنْدَةَ أَحْجَمَتْ عَنَّا وَكِنْدَةُ غَيْرُ جِدِّ كِرَامِ
أَزَعَمْتَ أَنَّكَ سَوْفَ تَأْتِي قَيْصَرًا فَلَتَهْلِكَنَّ إِذًا وَأَنْتَ شَآمِي
نَأْبَى عَلَى النَّاسِ الْمَقَادَةَ كُلِّهِمْ حَتَّى نَقُودَهُمُ بِغَيْرِ زِمَامِ

واللَّافت في المقطوعة السَّابقة استهلالها بالإنشاء النِّدائيّ ثمَّ النَّاهي؛ لغاية المصاولة المضمونيَّة مع امرئ القيس؛ في وجهة بطلان الأماني، والبكائيَّات المضَلِّلة؛ لتأكيد انتفاء القدرة الفروسيَّة على الأخذ بثأر الوالد القتيل.

ويكون الإخبار، تاليًا، مع تغليب فعليَّته النَّاجزة بالتَّوصيف الدَّقيق، للمجابهة الحاسمة للملك حُجر؛ الَّتي آلت إلى تداوله بالرِّماح السَّديدة، وعكوف الخيل، الشَّبيهة بطوال النَّخيل، على جثمانه المثْخَن بالجراح، كما عكفت على غيره من السَّادة المجندلِين في ساحة النِّزال؛ بفضل التَّفوُّق الفروسيّ، والعدَّة القتاليَّة الماحقة؛ من: السُّيوف، والرِّماح، والقِسِيّ.

وكيما يتحقَّق المراد بجلال الفخر التَّرهيبيّ للأعداء؛ استرسل الشَّاعر في وصف رماح القبيلة المثَقَّفة المسَدَّدة، وكفاية الحماية للشَّرف والمروءة والعِرْض، فضلًا عن إجارة المستجير، وكفالة الأرامل والأيتام، وقدرة الجيش على إذكاء جذوة الحرب العَوَان؛ ليتجلَّى الرَّسول الشِّعريُّ الأخير ببالغ الاستهزاء المجَلَّل بالتَّحدِّي، إبَّان إحجام "كِنْدة" عن المواجهة؛ حيث يسخر عَبِيد من عزم امرئ القيس على الاستعانة بالقيصر، داعيًا عليه بالهلاك في الشَّام قبل

وصوله، ومُصَرِّحًا بالنَّهج القوميّ المتَّكئ على نبذ الذُّلِّ والانقياد، والتَّبعيَّة للآخر بقيد العبوديَّة.

ونلحظ فيما سبق؛ أنَّ "نظرة الملك المِمْعِنة في احتقار السُّوقَة؛ إذ جعلهم عبيدًا، وإقدامه على الرِّضا بالتَّبعيَّة؛ إذ التجأ إلى الرُّوم من أجل التَّسلُّط على السُّوقَة وإذلالهم؛ من الأسباب الموجبة لتفكير السُّوقَة بالخلاص من ذلك الملك؛ ولتفكيرهم بالاستقلال المطلق عن كُلِّ نفوذٍ؛ ولرؤية أحقِّيَّتهم بالقيادة"(١).

ولنا أن نقف، تاليًا، على تنميط الفخر بالبسالة الحربيَّة، في مقام التَّناصِّ الموقفيّ الدَّاخليّ؛ حين يفرد عَبِيد القصيدة بكُلِّيَّتها للفخر بالجماعة، في سياق التَّهديد، المسترسل في وصف مآل الاندحار، للآخر العدوّ؛ وامرؤ القيس دافع القصيد ومضمونه؛ على جهتي: السُّخرية من عجزه عن طلب الثَّأر، والتَّهديد ببالغ الذُّلِّ، اللَّاحق بِـ"حُجر" و"غسَّان" و"هوازن" في الزَّمن السَّابق، فضلًا عن السَّادات الأكارم من ذوي السُّمُوِّ والأمر؛ بفضل الجمع القبليّ الغفير، والتَّحفُّز الدَّائم لنفير القتال، بخير الجياد والعتاد، مع الاختتام بحماية ذوي الحلف والعهد، فنراه يقول(٢):

---

(١) الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، اسليم، ص٢٨٩، ٢٩٠، (- الفصل الرَّابع: الانتماء الاجتماعيّ والسِّياسيّ/ ١ – الملوك والسُّوقَة/ ٣ – عجز الطَّبقة الملكيَّة).

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٩٥ – ٩٧، (- قافية النُّون/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٤٥]: يَأْ ذَا الْمُخَوِّفَنَا بِقَتْلِ...).

[من مجزوء الكامل]

يَـا ذَا الْمُخَوِّفَنَـــا بِقَتْـــ ـــلِ أَبِيـــهِ إِذْلالًا وَحَيْنَـــا
أَزَعَمْـتَ أَنَّـكَ قَـــدْ قَتَلْـ ـــتَ سَرَاتَنَـا كَذِبًـا وَمَيْنَـا
هَـــلَّا عَلَـى حُجْـــرِ بْـــنِ أُ مِّ قَطَـامٍ تَبْكِـي لا عَلَيْنَـا
إِنَّـــا إِذَا عَـــضَّ الثِّقَـــا فُ بِـرَأْسِ صَعْدَتِنَـا لَوَيْنَـا
نَحْمِـــي حَقِيقَتَنَـا وَبَعْـ ـضُ الْقَـوْمِ يَسْقُطُ بَيْـنَ بَيْنَـا
هَـــلَّا سَأَلْـتَ جُمُـوعَ كِنْـ ـدَةَ يَـوْمَ وَلَّـوْا أَيْـنَ أَيْنَـا
أَيَّـــامَ نَضْـــرِبُ هَـامَهُـــمْ بِبَوَاتِـــرٍ حَتَّـــى انْحَنَيْنَـــا
وَجُمُـــوعَ غَسَّـــانَ الْمُلُـــو كَ أَتَيْنَـهُـــمْ وَقَـــدِ انْطَوَيْنَـــا
لُحُقًـــا أَيَاطِلُهُـــنَّ قَـــدْ عَالَجْـــنَ أَسْفَـــارًا وَأَيْنَـــا
وَلَقَـــدْ صَلَقْنَـــا هَوَازِنًـــا بِنَوَاهِـــلٍ حَتَّـــى ارْتَوَيْنَـــا
نُعْلِيهِـــمُ تَحْـــتَ الضَّبَـــا بِ الْمَشْرَفِـيَّ إِذَا اعْتَزَيْنَـــا
نَحْـنُ الأُولَى جَمَّـعْ جُمُـو عًـــا ثُـمَّ وَجِّهْهُـــمْ إِلَيْنَـــا
وَاعْلَـــمْ بِـأَنَّ جِيَـادَنَـــا آلَيْـــنَ لا يَقْضِيـــنَ دَيْنَـــا
وَلَقَـدْ أَبَحْنَـــا مَـــا حَمَيْـــ ـــتَ وَلا مُبِيـحَ لِمَـا حَمَيْنَـا
هَـــذَا وَلَـــوْ قَـــدَرَتْ عَلَيْـكَ رِمَـــاحُ قَوْمِـي مَـا انْتَهَيْنَـا
حَتَّـــى تَنُوشَـــكَ نَوْشَـــةً عَادَاتِهِـــنَّ إِذَا انْتَوَيْنَـــا

نُغْلِـي السَّبَـاءَ بِكُـلِّ عَـا ... تِـقَـةٍ شَمُـولٍ مَـا صَحَوْنَـا
وَنُهِيـنُ فِـي لَذَّاتِـهَـا ... عُظْـمَ التِّـلادِ إِذَا انْتَشَيْنَـا
لا يَبْلُـغُ الْبَـانِـي وَلَـوْ ... رَفَـعَ الدَّعَـائِـمَ مَـا بَنَيْنَـا
كَـمْ مِـنْ رَئِيسٍ قَـدْ قَتَلْـ ... ـنَاهُ وَضَيْـمٍ قَـدْ أَبَيْنَـا
وَلَـرُبَّ سَيِّـدِ مَعْشَـرٍ ... ضَخْـمِ الدَّسِيعَـةِ قَـدْ رَمَيْنَـا
عِقْبَانُـهُ بِظِـلالِ عِقْـ ... ـبَانٍ تَيَمَّـمُ مَـا نَوَيْنَـا
حَتَّـى تَرَكْنَـا شِلْـوَهُ ... جَـزَرَ السِّبَـاعِ وَقَـدْ مَضَيْنَـا
وَأَوَانِـسٍ مِثْـلِ الدُّمَـى ... حُـورِ الْعُيُـونِ قَـدِ اسْتَبَيْنَـا
إِنَّـا لَعَمْـرُكَ لا يُضَـا ... مُ حَلِيفُنَـا أَبَـدًا لَدَيْنَـا

ومِمَّا لا شكَّ فيه؛ "أنَّ تلك المحاورات الشِّعريَّة، إن صحَّ أن نسمِّيها كذلك، تضعنا أمام مجموعةٍ من الحقائق التَّاريخيَّة؛ من أبرزها أنَّ الشِّعر قد سجَّل كثيرًا من الأحداث التَّاريخيَّة؛ الَّتي لها علاقةٌ بجوانبَ مختلفةٍ، من الحياة العربيَّة الجاهليَّة؛ ولعلَّ أيَّام العرب خير دليلٍ على ذلك"(١).

(١) جدليَّة القيم في الشِّعر الجاهليّ؛ رؤية نقديَّة معاصرة، أ. د. بوجمعة بوبعيو، اتِّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، (د. ط)، (٢٠٠١م)، ص١١٣، ١١٤، (- الفصل السَّابع: الهجاء بين المظاهر السَّلبيَّة والإيجابيَّة).

وتشير تلك الحواريَّات، أيضًا، إلى "أنَّ هناك تواصلًا بين الشُّعراء؛ حيث إنَّ الشِّعر سرعان ما تتلقَّفه الأسماع، وإذا كان هذا الشِّعر نابعًا من حقائقَ مشبوهةٍ أو مشكوكٍ فيها؛ فإنَّ الرَّدَّ يأتي سريعًا ليدحض ما هو زائفٌ، وتبقى الحقيقة هي السَّائدة، كما هو الشَّأن في امرئ القيس؛ حيث تطلعنا الأخبار التَّاريخيَّة أنَّه مات في طريقه إلى القيصر، ولم يستطع الثَّأر لأبيه، خلاف ما أطلعنا عليه شعره، وليس هذا فحسب، بل قد نذهب إلى أبعد من ذلك، وهو أنَّ مثل تلك المحاورات الشِّعريَّة؛ تدلُّ على أنَّ هناك تواصلًا ثقافيًّا بين الشُّعراء؛ ممَّا يجعلنا نتوقَّع حركةً شعريَّةً نشطةً في ذلك العصر، الَّذي يتخيَّله الكثير عصرًا مُتَحجِّرًا يطغى عليه الجهل والرَّتابة"(١).

ويورد الشَّاعر مقطوعةً ثلاثيَّةً، تندرج ضمن الفخر الجمعيّ، المقترن بمواجهة امرئ القيس، السَّاعي للأخذ بثأر أبيه، دون إدراك غايته، وقد عوَّده الأسديُّون القهر على الدَّوام، كما ألهاه الخمر والغناء؛ فعجز عن مواجهتهم، وفي هذا يقول(٢):

[من الطَّويل]

سَقَيْنَا امْرَأَ الْقَيْسِ بْنَ حُجْرِ بْنِ حَارِثٍ كُؤُوسَ الشَّجَا حَتَّى تَعَوَّدَ بِالْقَهْرِ

(١) جدليَّة القيم في الشِّعر الجاهليّ؛ رؤية نقديَّة معاصرة، بوبعيو، ص١١٤.

(٢) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٤٥، (- قافية الرَّاء/ - فاتح المقطوعة الشِّعريَّة [١٩]: سَقَيْنَا امْرَأَ الْقَيْسِ بْنَ حُجْرِ بْنِ حَارِثٍ...).

وَأَلْهَـاهُ شُـرْبٌ نَـاعِـمٌ وَقُرَاقِـرٌ وَأَعْيَـاهُ ثَـأْرٌ كَـانَ يَطْلُبُ فِي حُجْرِ

وَذَاكَ لَعَمْـرِي كَـانَ أَسْهَـلَ مَشْرَعًـا عَلَيْهِ مِـنَ الْبِيضِ الصَّوَارِمِ وَالسُّمْـرِ

وإِنْ كـان عَبِيـد قـد جلَّى، سـابقًا، الحـرب الاسـتباقيَّة القائمـة على بلاغـة التَّهديد، فإنَّه يقـف، تاليًا، على جهوزيَّة الجيش القبليّ للحماية والمواجهة؛ وإِنْ كانت الأولى للنَّصير والمعَاهِد، فللثَّانية أن تنحو نَحْو النَّفير؛ المبِين عن عديـد الجـيش وعتـاده، في مجابهـة الأعـداء، وفي ذلـك يقـول علـى سـبيل الإخبار(١):

[من البسيط]

أَوْ لَأَتَـوْكَ بِجَمْـعٍ لا كِفَـاءَ لَـهُ قَوْمٍ هُمُ الْقَوْمُ فِي الأَنْأَى وَفِي الْبُعُدِ

بِجَحْفَـلٍ كَبَهِيـمِ اللَّيْـلِ مُنْتَجِـعٍ أَرْضَ الْعَـدُوِّ لُهَـامٍ وَافِـرِ الْعَـدَدِ

الْقَائِـدُ الْخَيْـلَ تَرْدي فِي أَعِنَّتِهَـا وِرْدَ الْقَطَا هَجَّرَتْ ظِمْأً إِلَى الثَّمَـدِ

مِـنْ كُـلِّ عِجْلِـزَةٍ بَـادٍ نَوَاجِذُهَـا عَلَى اللِّجَامِ تُبَارِي الرَّكْبَ فِي عَنَدِ

وَكُـلِّ أَجْـرَدَ قَـدْ مَالَـتْ رِحَالَتُـهُ نَهْـدِ الْمَرَاكِـلِ فَعْـمٍ نَاتِـئِ الْكَتَـدِ

حَتَّـى تَعَاطَيْـنَ غَسَّـانًـا فَحَرْبَهُـمُ يَـوْمَ الْمُـرَارِ وَلَمْ يَلْـوُوا عَلَى أَحَـدِ

لَمَّـا رَأَوْكَ وَبُلْـجُ الْبِيضِ وَسْطَهُـمُ وَكُـلُّ مُطَّـرِدِ الأُنْبُـوبِ كَالْمَسَـدِ

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٣٣، ٣٤، (- قافية الدَّال/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [١١]: دَعَا مَعَاشِرَ فَاسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُمْ...).

غَـوَتْ بَنُـو أَسَـدٍ غَسَّـانَ أَمْرَهُـمُ وَقَـلَّ مَـا وَقَفَـتْ غَسَّـانُ لِلرَّشَـدِ

ويكون الإتيان لحرب العدوّ قائمًا على سابق الإعداد والتَّجهيز؛ بالعدد الكثير المتَّسِم بانتفاء الكِفَاء، وتحمُّل أعباء الأسفار، وجيش القبيلة، على هذه الحال، كما اللَّيل البهيم، الَّذي يلتهم كُلَّ شيءٍ يقف قبالته، في سعيه نحو أرض العدوّ.

ثمَّ يكون للتَّصوير التَّمثيليّ وجهة المماثلة بين الخيل الَّتي تعدو بقُوَّةٍ وسرعةٍ فائقتَيْن، والقطا السَّائرة في وقت الهجير؛ طلبًا للماء القليل، بينما يحرص الفرسان على امتطاء "كُلِّ عِجْلِزَة" و"كُلِّ أَجْرَد" من الجياد؛ على ما فيها من سمات: القُوَّة، والجلد، والضَّخامة، والمتانة، الَّتي باغتت "غسَّان" في "يوم المرَار"؛ فما كان من الأعداء إلَّا الهروب، وقد عاينوا قائد الجيش الجرَّار؛ كما استسلموا للسُّيوف اللَّامعة والرِّماح الطَّويلة الشَّبيهة بالحبال؛ الَّتي أثخنتهم بالجراح، وأمعنت فيهم التَّقتيل؛ فضلَّت "غسَّان" وغوت، وما كانت من قبلُ على سبيل الرَّشاد.

وقد شمل الشَّاعر بفخريَّته الحربيَّة، توثيق حدث الصِّدام، مع الحارث الغسَّانيّ، جدِّ امرئ القيس، بعد الوقفة التَّأمُّليَّة، في رسوم الأطلال، قائلًا[1]:

---

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٨٣، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٦]: يَا خَلِيلَيَّ ارْبَعَا وَاسْتَخْبِرَا...).

[من الرَّمل]

نَحْنُ قُدْنَا مِنْ أَهَاضِيبِ الْمَلا الْـ ـخَيْلَ فِي الأَرْسَانِ أَمْثَالَ السَّعَالِي

شُزَّبًـا يَغْشَيْـنَ مِـنْ مَجْهُولَـةِ الأَ رْضِ وَعْثًـا مِـنْ سُهُـولٍ وَجِبَـالِ

فَانْتَجَعْنَـا الْحَـارِثَ الأَعْـرَجَ فِـي جَحْفَـلٍ كَاللَّيْـلِ خَطَّـارِ الْعَـوَالِي

يَـوْمَ غَادَرْنَـا عَدِيًّـا بِالْقَنَـا الـ ـذُّبَّلِ السُّمْـرِ صَرِيعًا فِي الْمَجَالِ

ثُـمَّ عُجْنَاهُنَّ خُوصًـا كَالْقَطَـا الْـ ـقَارِبِ الْمَنْهَـلَ مِنْ أَيْـنِ الْكَلالِ

نَحْـوَ قُرْصٍ يَـوْمَ جَالَـتْ حَوْلَهُ الْـ ـخَيْـلُ قُبًّـا عَـنْ يَمِيـنٍ وَشِمَـالِ

كَـمْ رَئِيسٍ يَقْـدُمُ الأَلْـفَ عَلَى الأَ جْـوَدِ السَّابِحِ ذِي الْعَقْبِ الطُّوَالِ

قَـدْ أَبَاحَـتْ جَمْعَـهُ أَسْيَافُنَـا الْـ ـبِيضُ وَالسُّمْـرُ وَمِنْ حَيٍّ حِلالِ

ويأتي المفتاح الشِّعريُّ مشتملًا بالضَّمير الجمعيّ الرَّاسخ، الَّذي يتكاثر حضوره في ثنايا اللَّوحة؛ ليبين عن مدى الاعتداد الفخريّ بمآثر القبيلة الحربيَّة؛ وهي الَّتي أعدَّت للحروب عدَّتها من العدد الكثير؛ حتَّى بدا الجيش كقطع اللَّيل المظلم؛ كما اتَّخذت من الجياد أقواها بنيةً، وأعتاها سرعةً، وأكثرها خبرةً، في المسالك الوعرة، وضمن المواجهات الحاسمة؛ فكانت في إيحاء التَّصوير البلاغيّ كإناث الغول في السُّرعة والتَّحفُّز، وكالقطا في الضُّمور والتَّوثُّب؛ أمَّا الهَلْكَى الَّذين طالتهم سيوف الفرسان ورماحهم؛ فهم: الحارث بن شمَّر الغسَّانيُّ، وعديُّ بن مالكٍ، وقُرْص بن مالكٍ؛ ليكون المنتهى على

جهة الإخبار الكمِّيِّ؛ بكثرة السَّادة المتَقدِّمين جيوشهم المؤَلَّفة، على الجياد النَّشيطة السَّريعة السَّابحة، وقد استُبِيحت دماء الأعداء بالسُّيوف والرِّماح.

ويظهر الفخر الحربيُّ في أعلى مراتبه؛ بتكثيف عَبِيد أمجاد قبيلته في أيَّامها القتاليَّة؛ لغاية زرع الرُّعب في قلوب الأعداء، مُبْتنِيًا خطاب الفخر، بعد الوقوف الطَّلليِّ على ديار "سُلَيْمَى"، فيقول(١):

[من السَّريع]

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ مَجْدِنَا ... إِنَّكَ عَنْ مَسْعَاتِنَا جَاهِلُ

إِنْ كُنْتَ لَمْ تَأْتِكَ أَيَّامُنَا ... فَاسْأَلْ تُنَبَّأْ أَيُّهَا السَّائِلُ

سَائِلْ بِنَا حُجْرًا وَأَجْنَادَهُ ... يَوْمَ تَوَلَّى جَمْعُهُ الْجَافِلُ

يَوْمَ أَتَى سَعْدًا عَلَى مَأْقِطٍ ... وَجَاوَلَتْ مِنْ خَلْفِهِ كَاهِلُ

فَأَوْرَدُوا سِرْبًا لَهُ ذُبَّلًا ... كَأَنَّهُنَّ اللَّهَبُ الشَّاعِلُ

وَعَامِرًا أَنْ كَيْفَ يَعْلُوهُمُ ... إِذِ التَقَيْنَا الْمُرْهَفُ النَّاهِلُ

وَجَمْعَ غَسَّانَ لَقِينَاهُمُ ... بِجَحْفَلٍ قَسْطَلُهُ ذَائِلُ

أمَّا استهلال اللَّوحة؛ فيوحي، في البيتَيْن الأوَّلَيْن، بمجد القبيلة في مختلف المكارم والمساعي؛ ولعَبِيد أن يستهلَّ الفخر بمُكْنة الحرب، ثمَّ محامد الأخلاق؛

(١) ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، ص٨٥، ٨٦، (- قافية اللَّام/ - فاتح القصيدة الشِّعريَّة [٣٧]: أَمِنْ رُسُومٍ نَأْيُهَا نَاحِلُ...).

لتكون الوقفة الأولى إنشاءً باديًا بالنِّداء، متبوعًا بمُؤَكَّد الإخبار، ثمَّ شرطًا متلوًّا بالأمر فالنِّداء؛ على ما في البيتَيْن من مثول النِّداء التَّقاطعيّ، بين استهلال صدر الأوَّل، وختام عجز الثَّاني، ثمَّ يكون للأمر المجَلَّل بالتَّسآل دافع المفاخرة النَّاجزة بوقائع الأمس؛ وفيها هزيمة حُجر وأجناده وفرارهم، ثمَّ اندثارهم تحت وقع ضربات الرِّماح الشَّبيهة بلهب النَّار المشتعلة؛ كما تمَّت الغلبة للقبيلة على "بني عامر" بالسُّيوف الحادَّة النَّاهلة؛ وكان لها الظَّفَر على "غسَّان" بالجيش ذي الغبار الممتدِّ غير المنقطع.

وللبيئة العربيَّة القاسية دورٌ واضحٌ في تأجيج الحروب القبليَّة؛ فلقد "كانت القبيلة في العصر الجاهليّ قوام المجتمع؛ فهو يتألَّف من قبائلَ عدَّةٍ منتشرةٍ في أرجاء الجزيرة العربيَّة؛ وقد دفع مناخها الحارُّ وقسوة طبيعتها كثيرًا من القبائل إلى التَّنقُّل وعدم الاستقرار؛ طلبًا لماءٍ يروي ماشيتها، ومرعًى يطعم سوامها. ولما كان الماء قليلًا، والمرعى شحيحًا؛ نشبت النِّزاعات حولهما، وكثرت الأيَّام والوقائع بسببهما، وجرت الدِّماء دماء أخرى؛ استنادًا إلى قانون الثَّأر، وتكتَّلت القبائل، وتحالفت في مواجهة بعضها بعضًا، وعلى هذه الشَّاكلة عاش الإنسان العربيُّ في المجتمع القبليّ، قبل الإسلام، يصارع قسوة الصَّحراء، ويناضل أعداءه في سبيل البقاء"[1].

(١) الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، زيتونيّ، ص١٧، (- الباب الأوَّل: العلاقات الاجتماعيَّة/ - الفصل الأوَّل: العلاقات بين القبائل).

وثمَّة أسبابٌ أخرى لاستعار الحروب بين القبائل؛ من أظهرها: التَّنازع على الشَّرف والرِّياسة، والرَّغبة في السَّلب والإغارة، ورجحان كفَّة أحد الخصمَيْن المتنافرَيْن بين يدي الحكم، ولسان الشَّاعر المعَدِّد مفاخر قبيلته، المتَثلِّب لخصومها، فضلًا عن النُّصرة لقريبٍ وإن كان ظالمًا، والضَّغينة المتَولِّدة عن هزائمَ سابقةٍ[1].

***

(١) يُنظَر: الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، الحوفيّ، ص١٦٩ – ١٧١، (– الباب الثَّاني: الحياة الاجتماعيَّة من الشِّعر/ – ثانيًا: الصِّلات القبليَّة/ ١ – الحرب/ أ – بواعث الحرب).

الخاتمة

تمظهر التَّنميط الفخريُّ في شعر عَبِيد بالإطارين: الذَّاتيّ، والجمعيّ؛ ليكون الذَّاتيُّ ترسيخًا للسِّياقات: الفروسيَّة، والأخلاقيَّة، والشِّعريَّة؛ وليصدر الجمعيُّ عن انتماءٍ واضحٍ للقبيلة؛ في النِّطاقات: الفروسيَّة، والأخلاقيَّة، والحربيَّة.

أمَّا التَّأسيس الفخريُّ الذَّاتيُّ؛ فكان على نهج الاستجلاء الفروسيّ؛ في الميادين: التَّفاعليَّة، والاجتماعيَّة، والقتاليَّة؛ لتُقدِّم الفخريَّات الشِّعريَّة أنموذجًا للفارس العربيّ الهُمَام، السَّاعي إلى تمثُّل القيم النَّبيلة؛ في سُبُل: تكاثر العطاء والجود، واستنزاف الخصومة المقيتة في مواجهة الأعداء الألدَّاء، والزَّهو بالشَّباب في زمن التَّحفُّز والتَّحرُّر؛ على أنَّ الظُّهور الحيوانيَّ، للنَّاقة الفُضْلى، والفرس المثاليَّة؛ تَكِئَةٌ أخرى لإشباع القصيد بأطروحة الفروسيَّة، مع اعتلاقها الظَّاهر بلوحتي: الرِّحلة، والصَّيد؛ على سبيل التَّخصيب الفنِّيّ لجدب الطَّلل؛ بعد رحيل المرأة والعشيرة في إثر الكلأ والماء.

ويتأتَّى لعَبِيد أن يُؤصِّل للفخر الذَّاتيّ الأخلاقيّ؛ بالخصال الحميدة، والأعمال الفاضلة؛ في مسلكيَّات الحياة، والمخالقات الاجتماعيَّة؛ من خلال الإطارين: الجَوَّانِيّ في محامد القبيلة، والبَرَّانِيّ لفضائل العرب، بما ينسجم مع المنظومة الأخلاقيَّة الجاهليَّة؛ لترسيخ قيم: المجد، والحمد، والسِّيرة الحسنة مع طول العمر، والعفَّة، والكرم، والبرِّ، وصيانة العِرْض، ومجانبة الحرص وذلِّ السُّؤال، مع ارتباط فخريَّات الأخلاق، بتجلِّيات الحكمة؛ في أبواب: معاملة الصَّديق والمتَوَدِّد، ومغفرة الزَّلَّة، وخيانة الأمانة، وابتلاء النَّاس، والاقتداء

باللَّبيب، ووصل الأقارب، والاستزادة من أبواب الغُنْم، والتَّزوُّد بالعمل الصَّالح؛ على أنَّ الأخير يغدو دافعًا مُجَلَّلًا بالعمل الدَّؤُوب؛ لاستحصاد الخير بمختلف السُّبُل، وفق الحكمة المثْلى بانتفاء الخلود، وللشَّاعر وجهة الإبانة عن مخالقة العدوِّ؛ ضمن ذكاء إدارة العلاقة التَّفاعليَّة؛ في نطاقي: اللِّين، والشِّدَّة؛ ولا يخلو هذا التَّنميط من الفخر الوصفيِّ للتَّوثُّب والتَّأهُّب، في زمن الشَّباب اللَّاهي، المشتمل بالخمر والمرأة.

ويقارب عَبِيد أثر الذَّات في ميدان الأدب؛ من خلال الفخر الشِّعريِّ؛ القائم على تأكيد الأهليَّة الفنِّيَّة؛ في تأسيس البناء، وتدفُّق المضامين، وابتكار المعنى، واسترسال الموسيقا؛ ليكون في أعلى مراتب الجدارة، ضمن المقُول الشِّعريِّ بعامَّةٍ، والقصيد الهجائيِّ بخاصَّةٍ، وقد ظهر الفخر الشِّعريُّ في موطنَيْن اثنَيْن من ديوانه؛ حيث جاء الأوَّل في بؤرة النَّصِّ، لاحقًا للوحة المطر، وسابقًا للَّوحة الأخلاقيَّة، ومرتبطًا بتصوير الماء؛ للتَّأسيس الفنِّيِّ الإخصابيِّ؛ وكان الثَّاني تعويضًا إخصابيًّا فنِّيًّا عن الرَّحيل القبليِّ بعد لوحة الظَّعائن؛ لإظهار المكْنة الحاسمة في باب المنافرة الهجائيَّة، وترسيخ القدرة التَّعبيريَّة في التَّعييب الأخلاقيِّ المؤَدِّي إلى التَّحطيم؛ من خلال الأوابد الشِّعريَّة المصيبة مقاتل الخصوم؛ وهم الأسود الهزيلة في مقابل الأسد الهَصُور.

وإذا ما خلصنا إلى مجمل الشَّواهد الشِّعريَّة، في الفخر الجمعيِّ الفروسيِّ؛ ألفيناها أدنى اعتلاقًا بحالة التَّأمُّل في الأطلال، ونزَّاعةً إلى توصيف الثُّلاثيَّة الفروسيَّة القبليَّة؛ ممثَّلةً في: الإنسان، والحيوان، والعتاد؛ أمَّا الإنسان فكان في صدارة الفعل القتاليِّ النَّاجز بالطِّعان والضِّراب والنِّزال، فضلًا عن الأخلاق

الفروسيَّة المثاليَّة، في حالتي: السِّلم، والحرب؛ وأمَّا الحيوان فكان أنموذج الفارس العربيّ؛ في تجاوز وعورة الصَّحراء؛ وتحقيق الانتصارات؛ لمثاليَّته الجسديَّة والهجوميَّة؛ على ما في أُمثُولة الفرس من مواءمةٍ لمزايا: سرعة العدو، وقُوَّة البناء، ومتانة الجسد؛ بينما يوحي العتاد بالتَّأهُّب الدَّائم للمواجهة؛ ويتجسَّد في هيئة الأدوات المعَدَّة للقتال بإتقانٍ، من سيوفٍ ورماحٍ، نالت دقَّة التَّثقيف؛ فغدت مصيبةً في المقتل، ولدماء الأعداء عَطِشةً ناهلةً، ولعَبِيد في الفخر الفروسيّ الجمعيّ حفاوة الحماية؛ في فعل العون للأحلاف الأوفياء، واستعطاف حُجر لإطلاق سراح السَّادة المتَخلِّقين بالوفاء والكرم.

وتقفز إلى فضاء القصيدة مُحَفِّزات الارتقاء، في النِّطاق الأخلاقيّ المثاليّ؛ المرْتكِز على رصد الملامح الإيجابيَّة؛ في سياقات: الحياة، والإسناد، والحكمة؛ على ما فيها من الخيريَّة القبليَّة الرَّائدة، في أفعال السَّادة والسُّوقَة، بالمحامد الفُضْلى، والقيم الأخلاقيَّة المثاليَّة؛ المبِينة عن التَّعاضد الرُّوحيّ والمجتمعيّ؛ والكائنة في زمني: السَّلام، والحرب، وفي فصلي: الصَّيف، والشِّتاء؛ والموحية بميراث الآباء، في دار العِزّ والمجد والسُّؤدد؛ تلك الَّتي شكَّلت دافع القصيد الشِّعريّ، في استذكار الأخلاق، عقب تأمُّل الأطلال، كما أفضى التَّنميط الأخلاقيُّ إلى تبدِّي المقَدِّمة الفخريَّة في أظهر صورها، واحتكام الشَّاعر في كلِّ الأطر الموقعيَّة إلى إخصاب الطَّلل المِوَات، وتناسي الرَّحيل المرتبط بالشَّدائد؛ بتعزيز حضور قيم: الصَّلاح، والخير، والكرم، والبرِّ، والمروءة، والحِلْم، والسَّداد، والسِّيادة، والحكمة، بالإضافة إلى شموليَّة العطاء الإسناديّ للمُعَصِّب والبائس والعاني؛ بتفريج الكرب، وتسهيل نيل المبتغى، والحماية في

الحروب؛ بفضل العقول الرَّاجحة، والرَّأي السَّديد، والفروسيَّة المتَفرِّدة، مع احترام الميثاق، وحفظ العهد.

وسعى الشَّاعر لتكريس التَّنميط الفخريّ الجمعيّ، في سياق الحرب؛ لتأريخ الانتصارات في أيَّام العرب الحاسمة، ضمن حروب السَّيطرة والنُّفوذ، بين الكيانات القبليَّة، في العهد الجاهليّ؛ لغاية إبراز كثرة العدد، وتميُّز الفروسيَّة، وتفوُّق العتاد؛ ممَّا مكَّن القبيلة من حيازة السِّيادة الرِّياديَّة؛ لتكون التَّبعيَّة لها دون غيرها، وتنصرف التَّحالفات لقُوَّتها النَّافذة، وقد لحق القهر المعنويُّ فالجسديُّ، بالسَّادة والمسُودِين؛ في أيَّام: "الجِفار" ضدّ "بني دارم"، و"النِّسار" مقابل "بني عامر"، و"المِرَار" في مواجهة "غسَّان"، فضلًا عن يوم "الرَّباب"، الَّذي ظلَّ صداه حاضًرا في الشِّعر؛ لتوثيق مقتل: "الأجدلَيْن"، و"مالكٍ"، و"مُرَّة الخير"، و"قُرْصٍ"، و"الحُجر"، بالإضافة إلى مقتلتي: "تميم"، و"هَوازن"؛ والبادي في الفخريَّات الحربيَّة جميعها ترسيخ نمطي: التَّوثيق الحدثيّ للقتال، والتَّهديد الاستباقيّ لمُرْتَقب العَدَاء؛ وبدا امرؤ القيس حاضرًا في ماثل التَّهديد والوعيد؛ وقد عجز عن نيل ثأره؛ وهو اللَّاهي الطَّريد؛ مع احتشاد الصُّورة اللَّوحيَّة بمُؤَشِّرات: تفوُّق العدد، وتمام العدَّة؛ بخير الجياد، والجيش الأسود اللُّهَام؛ على أنَّ الصُّورة الشِّعريَّة البلاغيَّة، في حفاوة المبالغة؛ قد انتزعت من البيئة مُعِينات الحسم المثاليّ، لسُمُوِّ الفخر؛ بالفرس الشَّبيهة بالقطا، والسُّيوف والرِّماح النَّاهلة من أجساد الأعداء تارةً، والمشتعلة فيها أخرى.

وممَّا يلفت الانتباه في الفخريَّات؛ ارتباطها بأطر: الطَّلل، والظَّعن، والمرأة، ولا سيَّما في الفخر الذَّاتيّ بالفروسيَّة، والفخر الجمعيّ بالأخلاق، مع قلَّة القصائد الَّتي خلت من الأقطاب المضمونيَّة السَّابقة؛ ممَّا أفسح المجال فيها لبروز مُقدِّمتي: الفخر؛ في الفخر بفروسيَّة الجماعة القبليَّة، والتَّهديد؛ ضمن الفخر الجمعيّ الحربيّ.

ثمَّ إنَّنا رصدنا حضورًا جليًّا للفخر بنمطَيْه: الظَّاهر، والمبَطَّن، ضمن حالة الفخر بالذَّات؛ ليتأتَّى مثول المبَطَّن باستبطان القيم المثاليَّة؛ في لوحات: الرِّحلة بالنَّاقة أو بالفرس، والصَّيد، ولهو الشَّباب المشتمل بالخمر والمرأة.

ويمكن، في فضاء المدارسات السَّابقة كلِّها، استكناه الأسلوب الشِّعريّ بعمومه، في مختلف المباني الفخريَّة؛ بتمكين غلبة الإخبار الاسميّ الرَّاسخ والفعليّ المتَحفِّز، على الإنشاء الطَّلبيّ الماثل في سياقاتٍ محدودةٍ جدًّا؛ لامست نطاقات: النِّداء، والأمر، والنَّهي، بما يتَّصل مع السِّياق التَّهديديّ الاستباقيّ؛ على أنَّ الفخريَّات الشِّعريَّة كرَّست أصوليَّة قيم: التَّأريخ، والاجتماع، والأخلاق، والفنّ، والحكمة، في العصر الجاهليّ، على صعيدي: الرَّاسخ المعهود، والممجوج المطروح.

ثَبَتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ وَالأَبْحَاثِ الْمَنْشُورَةِ وَالرَّسَائِلِ وَالأَطَارِيحِ الْجَامِعِيَّةِ:

- أَوَّلًا: ثَبَتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ:

١ - الأدب الجاهليّ، د. سامي يوسف أبو زيد، د. منذر ذيب كفافيّ، دار المسيرة للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، عمَّان، (ط١)، (٢٠١١م).

٢ - الأدب الجاهليّ؛ قضاياه - أغراضه - أعلامه - فنونه، د. غازي طليمات، أ. عرفان الأشقر، مكتبة الإيمان، دمشق، ومكتبة دار الإرشاد، حمص، (ط١)، (شباط/ ١٩٩٢م).

٣ - الأدب الجاهليّ؛ قضايا، وفنون، ونصوص، أ. د. حسني عبد الجليل يوسف، مُؤسَّسة المختار للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، (ط١)، (٢٠٠١م).

٤ - الأدب العربيّ وتاريخه في العصر الجاهليّ، محمَّد هاشم عطيَّة، (ت١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، مطبعة مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده، القاهرة، (ط٣)، (١٩٣٦م).

٥ - الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرِّجال والنِّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدِّين الزِّرِكْليّ، (ت١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، (ط١٥)، (أيَّار، مايو/ ٢٠٠٢م).

٦ - الانتماء في الشِّعر الجاهليّ، د. فاروق أحمد اسليم، اتِّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، (د. ط)، (١٩٩٨م).

٧ - الإنسان في الشِّعر الجاهليّ، د. عبد الغنيّ أحمد زيتونيّ، مركز زايد للتُّراث والتَّاريخ، العين، (ط١)، (٢٠٠١م).

٨ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمَّد مرتضى الزَّبيديّ، (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تح: عبد العليم الطَّحاويّ، وزارة الإعلام الكويتيَّة، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د. ط)، (١٩٧٤م).

٩ - تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرَّافعيّ، (ت١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، مكتبة الإيمان، المنصورة، (ط١)، (١٩٩٧م).

١٠ – تاريخ آداب اللُّغة العربيَّة، جرجي زيدان، (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، طبعة جديدة راجعها وعلَّق عليها: د. شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
١١ – تاريخ الأدب العربيّ، أحمد حسن الزَّيَّات، (ت١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، دار نهضة مصر للطَّبع والنَّشر، القاهرة، (ط٢)، (١٩٨١م).
١٢ – تاريخ الأدب العربيّ؛ العصر الجاهليّ، د. أحمد شوقي عبد السَّلام ضيف، (ت١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، دار المعارف، القاهرة، (ط١١)، (١٩٨٦م).
١٣ – تطوُّر الصُّورة في الشِّعر الجاهليّ، د. خالد محمَّد الزَّواويّ، مُؤسَّسة حورس الدَّوليَّة للنَّشر والتَّوزيع، الإسكندريَّة، (د. ط)، (٢٠٠٥م).
١٤ – الجامع في تاريخ الأدب العربيّ؛ الأدب القديم، حنَّا الفاخوريّ، (ت٢٠١١م)، دار الجيل للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، بيروت، (ط١)، (١٩٨٦م).
١٥ – جدليَّة القيم في الشِّعر الجاهليّ؛ رؤية نقديَّة معاصرة، أ. د. بوجمعة بوبعيو، اتِّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، (د. ط)، (٢٠٠١م).
١٦ – الجود والبخل في الشِّعر الجاهليّ، د. محمَّد فؤاد نعناع، دار طلاس للدِّراسات والتَّرجمة والنَّشر، دمشق، (ط١)، (١٩٩٤م).
١٧ – الحياة العربيَّة من الشِّعر الجاهليّ، د. أحمد محمَّد الحوفيّ، (ت١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، (ط٢)، (١٩٥٢م).
١٨ – ديوان عَبِيد بن الأَبْرَص، عَبِيد بن الأَبْرَص الأسديّ، (ت٢٥ ق. هـ/ ٦٠٠م)، تح: د. عمر فاروق الطَّبَّاع، دار القلم للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، (د. ط)، (١٩٩٤م).
١٩ – الشِّعر الجاهليّ؛ خصائصه وفنونه، د. يحيى الجبوريّ، مُؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، (ط٥)، (١٩٨٦م).
٢٠ – الشِّعر الجاهليّ؛ منهج في دراسته وتقويمه، د. محمَّد النُّويهيّ، (ت١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، الدَّار القوميَّة للطِّباعة والنَّشر، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

٢١ – الشِّعر والشُّعراء، لأبي محمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينوريّ، (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، تح: أحمد محمَّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د. ط)، (١٩٨٢م).
٢٢ – الصِّحاح؛ تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة، لأبي نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهريّ، (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)، تح: محمَّد زكريَّا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٤)، (١٩٩٠م).
٢٣ – طبقات فحول الشُّعراء، لأبي عبد الله محمَّد بن سلَّام بن عبيد الله الجمحيّ، (ت٢٣١هـ/ ٨٤٦م)، تح: محمود محمَّد شاكر، دار المدنيّ، جدَّة، ومطبعة المدنيّ، القاهرة، (د. ط)، (١٩٧٤م).
٢٤ – العصر الجاهليّ؛ الأدب والنُّصوص – المعَلَّقات، د. محمَّد صبري الأشتر، مديريَّة الكتب والمطبوعات الجامعيَّة، جامعة حلب، حلب، (د. ط)، (١٩٩٤/ ١٩٩٥م).
٢٥ – العُمدة في محاسن الشِّعر وآدابه ونقده، لأبي عليّ الحسن بن رشيق القيروانيّ، (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، تح: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الجيل للنَّشر والتَّوزيع والطِّباعة، بيروت، (ط٥)، (١٩٨١م).
٢٦ – عيار الشِّعر، لأبي الحسن محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن أحمد بن إبراهيم طَبَاطَبَا العلويّ، (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٤م)، تح: عبَّاس عبد السَّاتر، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (ط٢)، (٢٠٠٥م).
٢٧ – الفخر في الشِّعر العربيّ، سراج الدِّين محمَّد، دار الرَّاتب الجامعيَّة، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
٢٨ – الفروسيَّة في الشِّعر الجاهليّ، د. نوري حمُّودي القيسيّ، دار التَّضامن، بغداد، (ط١)، (١٩٦٤م).
٢٩ – القاموس المحيط، مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب الفيروزآباديّ، (ت٨١٧هـ/ ١٤١٥م)، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
٣٠ – قصَّة الأدب العربيّ، د. خالد يوسف، مُؤسَّسة الرِّحاب الحديثة، بيروت، (د. ط)، (٢٠١١م).

٣١ – لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدِّين محمَّد بن مكرم بن عليّ بن منظور، (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، دار صادر، بيروت، (ط١)، (د. ت).
٣٢ – المصطلح النَّقديّ في التُّراث الأدبيّ العربيِّ، محمَّد عزَّام، دار الشَّرق العربيّ، بيروت وحلب، (ط١)، (د. ت).
٣٣ – المعجم الأدبيّ، جَبُّور عبد النُّور، دار العلم للملايين، بيروت، (ط٢)، (كانون الثَّاني، يناير/ ١٩٨٤م).
٣٤ – المعجم الأدبيّ، نوَّاف نصَّار، دار ورد للنَّشر والتَّوزيع، عمَّان، (ط١)، (٢٠٠٧م).
٣٥ – معجم المصطلحات الأدبيَّة المعاصرة؛ (عرض وتقديم وترجمة)، د. سعيد علُّوش، دار الكتاب اللُّبنانيّ، بيروت، وسوشبريس، الدَّار البيضاء، (ط١)، (١٩٨٥م).
٣٦ – معجم المصطلحات العربيَّة في اللُّغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، (ط٢)، (١٩٨٤م).
٣٧ – المعجم المفَصَّل في الأدب، د. محمَّد التُّونجيّ، دار الكتب العلميَّة، بيروت، (ط٢)، (١٩٩٩م).
٣٨ – معجم مقاييس اللُّغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريَّاء القزوينيّ الرَّازيّ، (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، تح: عبد السَّلام هارون، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، (١٩٧٩م).
٣٩ – المعجم الوسيط، د. إبراهيم أنيس مع آخرين، (ت١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، دار المعارف، القاهرة، (ط٢)، (١٩٧٢م).
٤٠ – الوسيط في الأدب العربيّ وتاريخه، الشَّيخ أحمد الإسكندريّ، (ت١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، الشَّيخ مصطفى العنانيّ، (ت١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م)، حقوق الطَّبع محفوظة للمُؤَلِّفَيْن، القاهرة، (ط١)، (١٩١٩م).

– ثانيًا: ثَبَتُ الأَبْحَاثِ الْمَنْشُورَةِ:

١ – دلالات الوحدة في قصيدة الصَّيد الجاهليَّة، عصام محمَّد المشهراويّ، مجلَّة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانيَّة، غزَّة، فلسطين، (مج: ١٢)، (ع: ٢)، (٢٠١٠م)، ص١١٣ – ١٣٤.

٢ – عَبِيد بن الأَبْرَص؛ ديوانه والمستدرك عليه، د. محمَّد عليّ دقَّة، مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة، دمشق، سوريا، (مج: ٧٢)، (ج: ٣)، (١٩٩٧م)، ص٥٢٧ – ٥٥٠.

٣ – الفرد والجماعة في الشِّعر الجاهليّ، د. عبد المجيد زَراقط، مجلَّة الفكر العربيّ، معهد الإنماء العربيّ، بيروت، لبنان، (ع: ٥٤)، (كانون الأوَّل، ديسمبر/ ١٩٨٨م)، ص٦٨ – ٨٦.

٤ – مُجَمْهَرة عَبِيد بن الأَبْرَص؛ دراسة نقديَّة بلاغيَّة، د. أحمد سعد عبد الرَّازق ناجي، مجلَّة كُلِّيَّة اللُّغة العربيَّة، جامعة الأزهر، إيتاي البارود، البحيرة، مصر، (مج: ٢٣)، (ع: ٢)، (٢٠٠٨م)، ص١ – ٢٠٨.

٥ – مُجَمْهَرة عَبِيد بن الأَبْرَص في الميزان الشِّعريّ/ الموسيقيّ، د. عبد الحميد حمام، مجلَّة كُلِّيَّة الآداب، جامعة الملك سعود، الرِّياض، السُّعوديَّة، (مج: ٣)، (ع: ٢)، (١٩٩١م)، ص٣٤٥ – ٣٨٢.

٦ – الهامة والصَّدى؛ صدى الرُّوح في الشِّعر الجاهليّ، أ. د. إحسان الدِّيك، مجلَّة جامعة النَّجاح للأبحاث، العلوم الإنسانيَّة، نابلس، فلسطين، (مج: ١٣)، (ع: ٢)، (١٩٩٩م)، ص٦٢٦ – ٦٧٩.

– ثالثًا: ثَبَتُ الرَّسَائِلِ وَالأَطَارِيحِ الْجَامِعِيَّةِ:

١ – الإيقاع وعلاقته بالدَّلالة في الشِّعر الجاهليّ، أحمد حسانيّ، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، إشراف: أ. د. طاهر حجَّار، جامعة الجزائر، الجزائر، (٢٠٠٥/ ٢٠٠٦م).

٢ – شعر الفخر عند الشُّعراء الفرسان في العصر الجاهليّ؛ دراسة تحليليَّة، حنان أحمد جاد الله الحتاملة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: د. إبراهيم السّنجلاويّ، جامعة اليرموك، إربد، (١٩٩٤م).

٣ – شعر الفخر والحماسة في صدر الإسلام؛ دراسة نقديَّة تحليليَّة، عندليب يوسف اسمندر، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. سمر الدّيوب، جامعة البعث، حمص، (٢٠١٠/ ٢٠١١م).

٤ – الصُّورة الفنيّة في شعر عَبِيد بن الأَبْرَص، عامر سمار الرّشيديّ، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. خليل الرّفوع، جامعة مؤتة، الكرك، (٢٠١٠م).

٥ – الفخر في الشِّعر الجاهليّ؛ "الفخر بين عنترة بن شدَّاد وعمرو بن كلثوم"؛ دراسة موازنة، نوال حدو، (رسالة ماجستير غير منشورة)، إشراف: أ. د. رضوان النَّجَّار، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (٢٠١٠/ ٢٠١١م).

٦ – مظاهر البداوة وصورها في الشِّعر الجاهليّ، أحمد اسبيتان الشَّواورة، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، إشراف: أ. د. خليل الرّفوع، جامعة مؤتة، الكرك، (٢٠١٥م).

***

- List of References, Published Papers, and University Theses and Dissertations:

- **First: List of References:**

1. Al-Adab Al-Jahili, Dr. Sami Yusuf Abu Zaid, Dr. Munther Theeb Kafafi, Dar Al-Maseerah for Publishing, Distribution and Printing, Amman, (^{t} ed.), (AD 2011).
2. Al-Adab Al-Jahili, Qadayah, A'lamuh, wa Funoonoh, Dr. Ghazi Tulaymat, Irfan Al-Ashqar, Al-Eman Bookstore, Damascus, Irshad Publishing House, Homs, (1st ed.), (Feb. AD 1992).
3. Al-Adab Al-Jahili, Qadaya, wa Funoon, wa Nusoos, Prof. Husni Abd-Jalil Yusuf, Al-Mukhtar Establishment for Publishing & Distributing, Cairo, (1st ed.), (AD 2001).
4. Al-Adab Al-Arabi wa Tareekhoh fi Al-'Asr Al-Jahili, Mohammad Hashim Attiya, (d. AD 1953/ AH 1373), Mustafa Al-Babi Al-Halabi & Sons Press, Cairo, (3rd ed.), (AD 1936).
5. Al-A'alām Dictionary; Translations of The Most Famous Men and Women of The Arabs, Orientals and Easterners, Khair Al-Deen Al-Zirikli, (d. AD 1976/ AH 1396), Dar El Ilm Lilmalayin, Beirut, (15th ed.), (May. AD 2002).
6. Al'entima' fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Farouq Ahmad Esleem, Arab Writers Union, Damascus, (n.ed.), (AD 1998).
7. Al-Ensan fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Abd Al-Ghani Ahmad Zaytooni, Zayed Centre for Heritage and History, Al-Ain, (1st ed.), (AD 2001).
8. Taj Al-Arus min Jawahir Al-Qamus, Mohammad Murtada Al-Zubaidi, (d. AH 1205/ AD 1790), edited by: Abd Al-Alim Al-Tahawi, Ministry Of Information at Kuwait, Government of Kuwait Press, Kuwait, (n.ed.), (AD 1974).
9. Tareekh Adaab Al-Arab, Mustafa Sadeq Alrafie'i, (d. AD 1937/ AH 1356), Al-Iman Bookstore, Mansourah, (1st ed.), (AD 1997).
10. Tareekh Adaab Allugha Al-Arabeyya, George Zaidan, (d. AD 1914/ AH 1332), New Edition Revised and Commented on by: Dr. Shawqy Daif, Dar Al-Hilal Bookstore, Cairo, (n.ed.), (n.d.).
11. Tareekh Al-Adab Al-Arabi, Ahmad Hasan Al-Zayyat, (d. AD 1968/ AH 1388), Nahdat Misr Publishing House, Cairo, (2nd ed.), (AD 1981).
12. Tareekh Al-Adab Al-Arabi; Al-'Asr Al-Jahili, Dr. Ahmad Shawqy Abd Al-Salam Daif, (d. AD 2005/ AH 1426), Dar Al-Ma'aref, Cairo, (1h ed.), (AD 1986).

13. Tattawur Al-Soura fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Khaled Muhammad Al-Zawawi, Horus Foundation for Distribution & Publishing, Alexandria, (n.ed.), (AD 2005).
14. Al-Jame' fi Tareekh Al-Adab Al-Arabi; Al-Adab Al-Qadeem, Hanna Fakhury, (d. AD 2011), Dar Al-Jeel for Publication, Distribution and Printing, Beirut, (1st ed.), (AD 1986).
15. Jadalyyat Al-Qeiam fi Al-Sh'er Al-Jahili; Ru'ya Naqdeyya Mu'asera, Dr. Bu-juma'a Bu-ba'yyo, Ittihad Al-Kuttab Al-Arab, Damascus, (n.ed.), (AD 2001).
16. Al-Juud wa Al-Bukhl fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Muhammad Fuad Na'na', Dar Tlass for Research, Translation & Distribution, Damascus, (1st ed.), (AD 1994).
17. Al-Haya Al-Arabeyya min Al-She'r Al-Jahili, Dr. Ahmad Muhammad Al-Hufy, (d. AD 1983/ AH 1403), Nahdat Misr Library & Printing Bookstore, Cairo, (2nd ed.), (AD 1952).
18. Dewan Abid Ben Al-Abras, Abid Ben Al-Abras Al-Asadi, (d. AD 600/ BH 25), updated by: Dr. Umar Faruq Al-Tabb'a, Dar Al-Qalam for Printing, Distributing & Publishing, Beirut, (n.ed.), (AD 1994).
19. Al-She'r Al-Jahili; Khasaesuhu wa Funuonuh, Dr. Yahya Al-Jabburi, Resalah Foundation, Beirut, (h ed.), (AD 1986).
20. Al-Sh'er Al-Jahili; Mnhaj fi Derasatihi wa Taqwemeh, Dr. Muhammad Al-Nuwaihi, (d. AD 1980/ AH 1400), National House for Printing & Distribution, Cairo, (n.ed.), (n.d.).
21. Al-Sh'er wa Al-Shua'ra', Abu Muhammad Abdullah Ben Muslem Ben Qutaiba Al-Dinury, (d. AD 889/ AH 276), updated by: Ahmad Muhammad Shaker, Dar Al-Ma'aref, Cairo, (n.ed.), (AD 1982).
22. Al-Sehah; Taj Allugha wa Sehah Al-Arabeyya, Abu Nasr Ismael Ben Hammad Al-Jawhari, (d. AD 1003/ AH 393), updated by: Muhammad Zakareyya Yusuf, Dar Al-Ilm Lilmalayeen, Beirut, (4th ed.), (AD 1990).
23. Tabakat Fuhoul Al-Shu'ara, Abu Abd-Allah Ben Muhammad Ben Sallam Ben Ubaid-Allah Al-Jumahi, (d. AD 846/ AH 231), updated by: Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Madani, Jeddah, & Al-Madani Printing Press, Cairo, (n.ed.), (AD 1974).
24. Al-'Asr Al-Jahili; Al-Adab wa Al-Nusuos - Al-Mu'alaqat, Dr. Muhammad Sabri Al-Ashtar, Mudeeryat Al-Kutub wa Al-Matboua't Al-Jamie'ya, Aleppo University, Aleppo, (n.ed.), (AD 1994/1995).

25.Al-Umda fi Mahasen Al-Sh'er wa Adaabehi wa Naqdeh, Abu Ali Al-Hasan Ben Rasheeq Al-Qayrawani, (d. AD 1063/ AH 456), updated by: Muhammad Muhyi Al-Deen Abd Al-hameed, Dar Al-Jeel for Publishing Printing & Distribution, Beirut, (^{h} ed.), (AD 1981).
26.Ayyar Al-Sh'er, Abu Al-Hasan Muhammad Ben Ahmad Ben Ibrahim Tabatba Al-Alawi, (d. AD 934/ AH 322), updated by: Abbas Abd Al-Sater, revised by: Na'im Za'rzur, Dar Al-kutub Al-Ilmeyya, Beirut, (^{d} ed.), (AD 2005).
27.Al-Fhakhr fi Al-Sh'er Al-Arabi, Siraj Al-Deen Muhammad, Dar Al-Rateb Al-Jame'ya, Beirut, (n.ed.), (n.d.).
28.Al-Furuseyya fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Nuri Hammudi Al-Qaisi, Dar Al-Tadamun, Baghdad, (^{t} ed.), (AD 1964).
29.Al-Qamous Al-Muheet, Majd Al-Deen Muhammad Ben Ya'qub Al-Fayruzabadi, (d. AD 1415/ AH 817), Dar Al-Hadith, Cairo, (n.ed.), (n.d.).
30.Qissat Al-Adab Al-Arabi, Dr. Khaled Yusuf, Al-Rihab Al-Hadeethah Establishment, Beirut, (n.ed.), (AD 2011).
31.Lisan Al-Arab, Abu Al-Fadl Jamal Al-Deen Muhammad Ben Mukarram Ben Ali Ben Manzour, (d. AD 1311/ AH 711), Dar Sader, Beirut, (^{t} ed.), (n.d.).
32.Al-Mustalah Al-Naqdi fi Al-Turath Al-Adabi Al-Arabi, Muhammad Azzam, Dar Al-Sharq Al-Arabi, Beirut & Aleppo, (^{t} ed.), (n.d.).
33.Al-Mu'jam Al-Adabi, Jabbur Abd Al-Noor, Dar Al-Ilm Lilmalayeen, Beirut, (^{d} ed.), (Jan. AD 1984).
34.Al-Mu'jam Al-Adabi, Nawwaf Nassar, Ward House for Publishing and Distribution, Amman, (^{t} ed.), (AD 2007).
35.Mu'jam Al-Mustalahat Al-Adabeyya Al-Mu'asera; (Presented, Forwarded and Translated), Dr. Sa'ed Alloush, Dar Al-Kitab Al-Lubnani, Beirut, & Sushpress, Casablanca, (1st ed.), (AD 1985).
36.Mu'jam Al-Mustalahat Al-Arabeyya fi Al-Lugha wa Al-Adab, Majdi Wahbeh, Kamel Al-Muhandes, Maktabat Lubnan, Beirut, (^{d} ed.), (AD 1984).
37.Al-Mu'jam Al-Mufassal fi Al-Adab, Dr. Muhammad Al-Tunji, Dar Al-Kutub Al-Ilmeyya, Beirut, (^{d} ed.), (AD 1999).
38.Mu'jam Maqayees Al-Lugha, Abu Al-Husain Ahmad Ben Fares Ben Zakareyya Al-Qazwini Al-Razi, (d. AD 1004/ AH 395), updated by: Abd Al-Salam Haroun, Dar Al-Fikr, Beirut, (n.ed.), (AD 1979).
39.Al-Mu'jam Al-Waseet, Dr. Ibrahim Anees & others, (d. AD 1977/ AH 1397), Dar Al-Ma'aref, Cairo, (^{d} ed.), (AD 1972).

40.Al-Waseet fi Al-Adab Al-Arabi wa Tareekheh, Al-Sheikh Ahmad Al-Iskandari, (d. AD 1938/ AH 1357), Al-Sheikh Mustafa Al-Anani, (d. AD 1943/ AH 1362), Copyrights Reserved to The Authors, Cairo, (1st ed.), (AD 1919).

- Second: List of Published Researches:

1. Dalalat Al-Wihda fi Qaseedat Al-Sayd Al-Jahilyya, Isam Muhammad Al-Mashharawi, Al-Azhar University Magazine, Humanities Series, Gazza, Palestine, (vol. 12), (issue no. 2), (AD 2010), pages: 113 - 134.
2. Abid Ben Al-Abras; Deewanuhu wa Al-Mustadrak Alayhi, Dr. Muhammad Ali Daqa, The Journal of The Arabic Language Academy, Damascus, Syria, (vol. 72), (AD 1997), pages: 527 - 550.
3. Al-Fard wa Al-Jama'ah fi Al-Sh'er Al-Jahili, Dr. Abd Al-Majeed Zaraqet, Al-Fikr Al-Arabi Magazine, Arab Development Institute, Beirut, Lebanon, (issue no. 54), (Dec. AD 1988), pages: 68 - 86.
4. Mujamharat Abid Ben Al-Abras; Derasa Nqdeyya Balagheyya, Dr. Ahmad Sa'ed Abd Al-Razeq Naji, Arab Faculty Magazine, Al-Azhar University, Itai Al-Baroud, Al-Buhayrah, Egypt, (vol. 23), (issue no. 2), (AD 2008), pages: 1 - 208.
5. Mujamharat Abid Ben Al-Abras fi Al-Mizan Al-Sh'eri / Al-Museeqi, Dr. Abd Al-Hameed Hamam, Journal of The College of Arts, King Sa'ud University, Saudi Arabia, (vol. 3), (issue no. 2), (AD 1991), pages: 345 - 382.
6. Al-Hamatu wa Al-Sada; Sada Al-Ruuh fi Al-Sh'er Al-Jahili, Prof. Ihsan Al-Deek, Al-Najah University Journal for Research, Humanities, Nablus, Palestine, (vol. 13), (issue No. 2), (AD 1999), pages: 626 - 679.

- Third: List of University Thesis and Dissertations:

1. Al-Eqaa' wa A'laqatuhu bi Al-Dalalah fi Al-Sh'er Al-Jahili, Ahmad Hassani, (unpublished PhD thesis), under the supervision of Prof. Taher Hajjar, Al-Jazaer University, Algeria, (AD 2005/2006).
2. Sh'er Al-Fakhr E'nd Al-Sh'uraa Al-Fursan fi Al-'Asr Al-Jahili; Derasah Tahlilyya, Hanan Ahmad Jad-Allah Al-Hatamleh, (unpublished master's thesis), under the supervision of Dr. Ibraheem Al-Sanjalawi, Yarmouk University, Irbid, (AD 1994).

3. Sh’er Al-Fakhr wa Al-Hamasa fi Sadr Al-Islam; Derasah Naqdiyya Tahlilyya, Andaleeb Yusuf Ismandar, (unpublished master's thesis), under the supervision of Prof. Samar Al-Dayyub, Al-Ba’th University, Homs, (AD 2010/2011).
4. Al-Sura Al-Fanneyya fi Sh’er Abid Ben Al-Abras, Amer Smaar Al-Rasheedi, (unpublished master’s thesis), under the supervision of Prof. Khaleel Al-Rafuu’, Mutah University, Karak, (AD 2010).
5. Al-Fakhr fi Al-Sh’er Al-Jahili; “Al-Fakhr Baina Antara Ben Shaddad wa Amr Ben Kultuum”; An Equilibrium Study, Nawal Haddo, (unpublished master’s thesis), under the supervision of Prof. Radwan Al-Najjar, Abu Bakr Bulqayed University, Tilmisan, (AD 2010/2011).
6. Mathaher Al-Badawa wa Suwaruha fi Al-Sh’er Al-Jahili, Ahmad Isbeetan Al-Shawawra, (unpublished PhD. thesis), under the supervision of Prof. Khaleel Al-Rafuu’, Mutah University, Karak, (AD 2015).

***

ملامح المجتمع السوداني في قصص:
"دومة ود حامد" للطيب صالح

أ.د. عبدالرحمن بن أحمد السبت
قسم اللغة العربية– كلية التربية بالزلفي
جامعة المجمعة

ملامح المجتمع السوداني في قصص: "دومة ود حامد" للطيب صالح

أ.د. عبدالرحمن بن أحمد السبت

قسم اللغة العربية– كلية التربية بالزلفي
جامعة المجمعة

تاريخ تقديم البحث: ٨/ ٦/ ١٤٤٢ هـ تاريخ قبول البحث: ٢٣/ ٧/ ١٤٤٢ هـ

ملخص الدراسة:

يهدف هذا البحث المعنون بـ: " ملامح المجتمع السوداني في قصص: "دومة ود حامد" للطيب صالح" إلى الكشف عن ملامح المجتمع السوداني وسماته من خلال مجموعة "ود حامد" القصصية للأديب السوداني الطيب صالح زمن الحكومة الإنجليزية، وبدايات الحكومة الوطنية التي أعقبت الاستقلال عام ١٩٥٦م وما بعدها، مع إيضاح بعض المفاهيم المتعلقة بالمجتمع، والقصة، وما تدور حوله كل قصة من القصص السبع التي تألفت منها المجموعة.

إنَّ الفنَّ القصصي له أثر كبير في إبراز خصائص أيِّ مجتمع من خلال ما يذكره السارد من أحداث ومواقف وأوصاف لأفراد المجتمع، وما يقومون به من أعمال، مما يعكس صورة أدبية/ اجتماعية لأفراد ذلك المجتمع، وما يتسمون به من خصائص متنوعة، وصفات متعددة.

وقد انتهت الدراسة إلى ذكر العديد من ملامح المجتمع السوداني – وخاصة الريفي منه – في أثناء تلك الحقبة الزمنية، وغالب هذه الخصائص يفتخر بها الرجل السوداني، ويعدها سمة تربط أفراد المجتمع بعضه مع بعض، وتصور مجتمعًا عزيز النفس، يسوده التآلف والأخوة، وأواصر المحبة بين أفراد الأسرة خاصة، والمجتمع عامة من خلال مناسباتهم الاجتماعية المتمثلة في بعض تقاليد الزواج، وتسميتهم للمولود، وبرهم بآبائهم، وعطفهم على الصغير، وبساطتهم، وعملهم في مهنة الفلاحة والرعي والتجارة، وظرافتهم في إطلاق الكنى، وجلَدهم في الحياة، وتقشفهم فيها، وعنايتهم بالثقافة، وتربية أبنائهم وخاصة في تعليمهم القرآن الكريم، وتميزهم بلباس يختلف عن المجتمعات الأخرى بلبس العمامة والثوب الواسع الفضفاض، مع وجود بعض الخصائص السلبية التي لا تشكِّل حدَّ الظاهرة، وهي موجودة في أفراد قلّة، لا يكاد مجتمع يخلو منها، ومن ذلك: استغلال الغني للفقير في البيع، وعقوق بعض الأبناء، والخمول، والتسرع في الطلاق، وانتشار بعض الحشرات والأمراض.

الكلمات المفتاحية: المجتمع، السودان، قصص، دومة، ود حامد، الطيب صالح.

The image of the Sudanese society in the stories of: Daumat Wed Hamed" – The Hill of Wed Hamed by Altayyeb Saleh

Dr. Abdulrahman bin Ahmad Alsabt
Department of Arabic Language - Faculty of Education
Zulfi - Majmaah University

Abstract:

This study, entitled: "The image of the Sudanese society in the stories of Daumat Wed Hamed" – The Hill of Wed Hamed by Altayyeb Saleh, "A thematic approach", aims to reveal the characteristics of the Sudanese society during the rule of the English and at the beginning of the national government, which followed the independence in 1956. Moreover, the study aims to clarify some concepts related to the community, the story, and what each of the seven stories in the collection revolves around .

The story art has a significant impact on highlighting the characteristics of any society through the narrator's description of the events and attitudes of the community members, reflecting the literary / social image and various characteristics of that community.

The study concluded by mentioning many characteristics of the Sudanese society, the rural one in particular, during this period. In fact, The Sudanese are proud of most of these characteristics that depict the kind, merciful relationships not only among the members of the family but also the whole society. These characteristics are represented in some social events such as the traditions of marriage, naming the newborn, taking care of the parents, kindness to the young, simplicity, farming, grazing, trading, nick-naming, being patient in life, paying attention to culture, bringing up children and teaching them the Holy Quran and dressing in a way that distinguishes them from other societies, especially in wearing the turban and the wide loose thobe (garment). However, some negative characteristics do not constitute a phenomenon, as they hardly exist, such as: exploitation of the poor, the disobedience of some children, lethargy, the rush to divorce, and the spread of some insects and diseases.

key words: Community - Sudan - Stories – Daumat (Hill) - Wed Hamed - Altayyeb Saleh

مقدمة:

تعدُّ القصة القصيرة من الأجناس السردية التي لاقت استحسانًا كبيرًا لدى المتلقي في العصر الحديث، إذْ يستطيع القارئ أن ينجز قراءته للقصة ويعرف هدفها في وقت قصير.

ومن أشهر القصَّاص في العصر الحديث الأديب السوداني الطيب صالح(١)، فقد أنتج سبع قصص قصيرة تحت مسمى "دومة ود حامد"، وسأعمد إلى دراستها تحت عنوان أسميته: "ملامح المجتمع السوداني في قصص: دومة ود حامد، للطيب صالح"، من خلال الرجوع إليها في الأعمال الكاملة للطيب صالح، والصادرة عن مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي بالخرطوم، عام ٢٠١٠م.

(١) ولد الطيب صالح في إقليم مروى شمال السودان عام ١٩٢٩م، وتوفي ١٨ فبراير عام ٢٠٠٩م في لندن، وعاش طفولته في ذلك الإقليم، ثم نزح إلى الخرطوم لمتابعة دراسته في كلية غرودن (جامعة الخرطوم حاليا)، ونال درجة البكالوريوس، ثم سافر إلى لندن، وتابع دراسته العليا في موضوع الشؤون الدولية، وهناك بدأ عطاؤه الأدبي يتفتح، فكتب القصص القصيرة، ونشر بعضها في المجلات، وفاز بجائزة الرواية العربية للعام ٢٠٠٥م، كما أُطلق عليه لقب: "عبقري الرواية العربية"، وتتجلَّى في حياته سمات ثلاث، هي: البساطة، والثقافة، والأصالة (انظر: د. إبراهيم خليل، تأملات في السرد العربي، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص١٧١- ١٧٢، وأحمد سعيد محمدية، لمحة عن الطيب فنانًا وإنسانًا، ضمن كتاب: الطيب صالح عبقري الرواية العربية، لمجموعة من الكتَّاب العرب، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م، ص٧- ٨).

وقد بحثت عن دراسات سابقة لهذه المجموعة القصصية فلم أعثر إلا على إضاءات مختصرة في أثناء الحديث عن سيرة الطيب صالح ومؤلفاته، وذلك في كتاب الدكتور أحمد محمد البدوي الموسوم بـ: "الطيب صالح سيرة كاتب ونص"، من خلال إشارات سريعة عامة للمنجزات الفنية (ومنها القصصية) للطيب صالح، أما عن دراسة تختص بملامح المجتمع السوداني من خلال تلك المجموعة أو غيرها من القصص السودانية فلم أعثر على شيء من ذلك، مما جعل البحث في هذا المجال متاحًا أمامي لإماطة اللثام عن ملامح المجتمع السوداني وما يتصف به – وخاصة الريفي منه– في حقبة زمنية معينة من خلال نظرة الطيب صالح في مجموعته القصصية، معتمدًا المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة.

وقسمت البحث إلى مقدمة، ومهاد نظري، تحدثت فيه عن: مفهوم القصة القصيرة، وحديث عن مجموعة: "دومة ود حامد" القصصية، ثم المبحث الأول: وتحدثت فيه عن الملامح الاجتماعية المحمودة، والمبحث الثاني: وفيه حديث عن الملامح الاجتماعية المذمومة، ثم جاءت الخاتمة، فثبت للمصادر والمراجع.

مهاد نظري

القصة القصيرة هي: مجموعة من الأحداث التي يرويها الكاتب بأسلوب يعتمد على الإيحاء دون الخوض في التفاصيل، وتتناول حادثة واحدة أو أكثر، تتعلَّق بشخصية واحدة أو شخصيات مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفاتها في الحياة، ويكون نصيبها في القصة متفاوتًا من حيث التأثُّر والتأثير، ويضع الكاتب النهاية فجأة في لحظة حاسمة(١)، وهذا التعريف يركّز على الإيحائية في التعبير، والإشارة السريعة لبعض الأحدث في القصة، وعدم الإسهاب في تفاصيلها، ولا فرق بين كونه حدثًا واحدًا، أو مجموعة من الأحداث، كما أنَّ ذلك قد يكون لشخص واحد أو لمجموعة من الشخصيات، ولكنَّ العبرة في الإيجاز، فالإيحاء التعبيري شرط فيها، وتأتي الخاتمة فيها مفاجئة دون مقدمات تشعر القارئ بقرب النهاية.

وعرّفها بعضهم بأنها "نصٌّ أدبيٌّ نثريٌّ يصوّر موقفًا أو شعورًا إنسانيًّا تصويرًا مكثفًا له أثر أو مغزى"(٢)، وهذا التعريف يركز على نوع الجنس الأدبي، معتمدًا على تكثيف المعنى ليحمل دلالات عدَّة، وذلك لمحدودية المساحة التي أمام المؤلف لإيصال هدفه إلى المتلقي.

ومن التعريفات التي حاولت أن تلمَّ بشتات عناصر القصة التي تقوم عليها أنها "تجربة أدبية تصوِّر لحظة عابرة في حياة (متخيلة) لشخصية مأزومة

---

(١) انظر: أ.د حلمي محمد القاعود، تطور النثر العربي في العصر الحديث، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص١٩٢.

(٢) فؤاد قنديل، فن كتابة القصة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٣٥.

– أو مجموعة شخصيات – تعاني من مشكلةٍ إنسانية، لا تقدر على حلّها خلال فترةٍ زمانية محدَّدة، وفي بيئةٍ مكانية معروفة، وتستخدم (النثر) أداة للتعبير السردي"[1]، فهذا التعريف يلخِّص العناصر الفنية في بناء القصة القصيرة المتمثلة في: الحدث، والشخصية، والبيئة الزمانية، والمكانية، واللغة.

ومن خلال ما تقدَّم فإنَّ القصة القصيرة هي: فنٌّ نثريٌّ قصير، يحكي حدثًا، أو مجموعة من الأحداث حول مشكلة معينة لشخص أو لمجموعة من الشخصيات في زمن محدَّد، ومكان معين، يعتمد من خلاله السارد على أسلوبه الخاص الذي يبتعد فيه عن الحقيقة إلى شيء من الخيال في حلِّ المشكلة، سعيًا منه إلى توظيف إمكانياته الأسلوبية والعقلية في إيصال رسالته الأدبية.

وتتألف المجموعة القصصية الموسومة بـ"دومة ود حامد" من سبع قصص قصيرة، وهي: (نخلة على الجدول، حفنة تمر، رسالة إلى إيلين، دومة ود حامد، إذا جاءت، هكذا يا سادتي، مقدمات أغنية حب)، وقد أسمى الطيب صالح هذه المجموعة بنفس مسمى إحدى هذه القصص، وهي "دومة ود حامد"، التي تمثّل أكبر عدد صفحات في المجموعة (١٥) صفحة، وهي عبارة عن قصة تتحدَّث عن قرية صغيرة تقع شمال السودان، ويعتقد أهلها أنَّ هناك أسطورة تحكي عن رجل صالح دُفن فيها، وعندما حاولت الحكومة الإنجليزية قطع شجرة "الدومة" رفض أهالي القرية، ووقفوا في وجه المسؤولين

(١) د. طه عمران وادي، القصة بين التراث والمعاصرة، نادي القصيم الأدبي، بريدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ص١٩١.

لمنع إنشاء أيّ مشاريع زراعية أو تطويرية قد تضرّ بالدومة، وتدور أحداثها في هيئة حوار بين شاب سيغادر أرض الدومة، وشيخ طاعن في السنِّ من أهل الدومة، وينقل السارد رؤيته في إمكانية التقاء الأجيال الحديثة والقديمة معًا والموازنة بينهما في سبيل تطور البلد وعدم الوقوف في تقدُّم القرية الصغيرة بحجة أنهم وجدوا السابقين يفعلون أمورًا ولا بدَّ للأجيال المتأخرة أنْ يسيروا على نهج الأقدمين، فما الذي يضير أبناء المجتمع لو بقيت الدومة في مكانها، وتمَّ إنشاء المشاريع التنموية قربها؟! وتحقّق بذلك أمران: تطوير مجتمعهم، والحفاظ على تراثهم.

أما بقية القصص التي تتألف منها المجموعة، فإنَّ الطيب صالح يتحدَّث في قصة "نخلة على الجدول" عن طمع أصحاب الأموال الكبيرة، وجشعهم أثناء بيع محصول التمر، والتفاوت الاجتماعي بين طبقتين: طبقة الأغنياء ويمثّلهم التاجر حسين، وطبقة الفقراء من الفلاحين القرويين ويمثّلهم الشيخ محجوب، ومحاولة استغلال الطبقة الأولى للثانية. وفي قصة "حفنة تمر" يتحدَّث القاص عن شخص اسمه مسعود خسر أرضه الكبيرة بسبب كثرة زواجاته، فهو يبيع بين الفينة والأخرى جزءًا من أرضه الواسعة حتى يستطيع أن يبحث عن زوجة جديدة، وفي المقابل هناك رجل آخر يجاور مسعودًا في المزرعة، وكان يشتري منه أرضه كلما أراد أنْ يبيعها حتى وصلت أملاكه ثلثي مزرعة مسعود، مستغلًا بذلك عبث جاره بكثرة الزواجات، وإشباع رغباته دون أيِّ تفكير في مسؤوليات الزواج، وتبعات الطلاق الذي يلجأ إليه كلَّما عنَّت له رغبة في زوجة جديدة. أما قصة "رسالة إلى إيلين" فهي تحكي قصة

حبٍّ بين رجلٍ شرقي عاش في السودان وفتاة غربية، وعن العلاقة بين الشرق والغرب بصورة رمزية. وفي قصة "إذا جاءت" يتحدَّث القاص عن شركة سياحية عالمية في الخرطوم تحت مسمى "المكتب العالمي لفنون السياحة"، وعن علاقة الموظفين فيما بينهم، والمشكلات التي تحدث في العمل، وفيها إشارة إلى عدم ارتياح الرجل السوداني إلى الغرباء في العمل. وأما قصة "هكذا يا سادتي" فتحكي قصة رجل عربي يعيش في الغرب وله تقاليده الخاصة به، وتبين موقف بعض الغربيين وسخريتهم من العرب. وأما القصة السابعة والأخيرة ففيها بعض المواقف التي ذكرها السارد، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة، وحب الرجل لها في قصص قصيرة، ومواقف متفرقة، وخاصة مشكلة الحياة العاطفية للمغتربين السود في لندن.

أما تاريخ نشر القصص، فيعود نشر القصة الموسومة بـ: "نخلة على الجدول" إلى عام ١٩٥٣م، والقصة الثانية "حفنة تمر" إلى عام ١٩٥٧م، وأما "دومة ود حامد" الرابعة في المجموعة فيعود تاريخ نشرها إلى ١٩٦٠م[١]، كما نُشرت القصة الأخيرة الموسومة بـ"مقدمات" عام ١٩٦٦م[٢]، وأما البقية فلم أعثر على تاريخ نشرها إلا أنها تحكي شيئا عن الواقع المجتمعي السوداني، ويظهر أنها بعد الاستقلال مباشرة، بناء على ترتيبها في المجموعة القصصية،

(١) انظر: أحمد السماوي، في نظرية الأقصوصة، مطبعة التسفير الفني، ٢٠٠٣م، هامش ص١٣٥-١٣٦.

(٢) انظر: مختار عجوبة، القصة الحديثة في السودان، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م، هامش رقم ٢، ص٢٢٢.

وقد كانت السودان تعيش تحت ظلِّ الاستعمار منذ عام ١٨٩٨م، وحصلت على استقلالها السياسي عام ١٩٥٦م، فجاءت بواكير النهضة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية نتيجة الانفتاح على القرن العشرين، والاعتماد على سواعد شباب البلد في الانطلاقة بمجتمعهم نحو النمو والازدهار(١).

وتشكِّل هذه المجموعة القصصية أحد نماذج القصة السودانية الحديثة التي يحرص كتَّابها على تقديم صورة عن واقعهم المحلي، وإظهار ما فيه من عادات وتقاليد، فتظهر فيها رؤيتهم الواقعية، ومحلِّيتهم الشديدة مع ما في ذلك النتاج من نضجٍ على مستوى البناء الفني للعمل السردي من خلال تجاربهم الإنسانية التي تتَّسم بقوة التأثير، وحميمية التفاعل(٢).

وتحتوي مجموعة الطيب صالح القصصية والموسومة بـ"دومة ود حامد" على العديد من ملامح المجتمع السوداني – وخاصة الريفي منه – خلال الحقبة الزمنية التي ألّف مجموعته القصصية فيها، وسأدرس أبرز هذه الملامح والخصائص من خلال المبحثين القادمين.

(١) انظر: عبدالعزيز حسين الصاوي، أزمة المصير السوداني (مناقشات حول المجتمع والتاريخ والسياسة)، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٦٧.

(٢) انظر: د. طه عمران وادي، القصة بين التراث والمعاصرة، ص١٠٤.

المبحث الأول: الملامح الاجتماعية المحمودة

تسود المجتمعات ملامح اجتماعية محمودة، وتتفاوت من مجتمع لآخر، ويحاول الغيورون على مجتمعاتهم أن تكون أنموذجا يحتذى به، فيشاركون في إصلاح مجتمعهم، وتعديل ما في سلوكيات أفراده من ملامح سلبية، والأديب برسالته يشجع على الممارسات السليمة، ويحث أفراد مجتمعه على الامتثال بها، ويصور ذلك في شعره ونثره، والطيب صالح أحد أولئك الذين صوروا مجتمعهم وما فيه من ملامح إيجابية، يأمل أن تكون سمات خير وفلاح لبني قومه، يحث على التمسك بها، ويساهم في إرسال سهامه الأدبية تجاهها بأسلوبه وطريقته الأدبية الخاصة، ومن ذلك ما يلي:

أ- التكاتف الاجتماعي:

يتميّز المجتمع السوداني بتكاتف أفراده وتعاونهم، وذلك في مناسبات الفرح والحزن على حدٍّ سواء، ومن المناسبات التي ذكرها الطيب صالح في مجموعته القصصية وقد ظهر فيها تكاتف أبناء المجتمع السوداني: تكاتفهم في مناسبات الزواج، وتعاونهم مع بعض، فالشيخ محجوب عندما بدَّل الله حاله من الفقر إلى الغنى أصبحت يده سبَّاقة إلى مدِّ يد العون لأفراد مجتمعه، والوقوف معهم في مناسباتهم، وكان يفوق الآخرين بذلك، يصور السارد هذا الكرم بقوله: "وحينما كان النَّاس يتبرَّعون في الأعراس بخمسة قروشٍ كان يتبرَّع هو بعشرة، وبزجاجة مليئةٍ من سمن الضَّأن النقيّ، وكيلة من أجود أنواع التمر

"القنديل"[1]، وفي ذلك إظهار لشكر نعمة الله على محجوب، فقد كان فقيرًا فأبدل الله فقره غنى، مما جعله يسهم في تطور مجتمعه، ويتصدَّق على المحتاجين منهم بضعف ما يتصدَّق به الآخرون، ولم يقف الأمر على مشاركته لهم بأيّ صدقة وحسب؛ بل إنها من أجود الأصناف وأطيبها؛ امتثالا لقول الله سبحانه: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾سورة آل عمران.

وعندما يعود المسافر المغترب إلى وطنه تجد المجتمع بجميع أطيافه يستقبلونه، ويهنّئون أهله بالسلامة، فليس الاستقبال والفرح خاصًّا بأسرته الصغيرة المكونة من أم وأب؛ بل المجتمع أسرة واحدة مترابطة، يشاركون فرح بعضهم بعضًا، وحتى "النساء اللائي جئْنَ يهنّئْنَ أمه بوصوله سالماً من البلد البعيد، كلهنَّ قريباته. فيهنَّ العمَّة والخالة وابنة العمّ وابنة الخالة. وظلَّ كذلك برهة. ثم جاء أبوه ومعه حشدٌ من الرجال. كلُّهم أقرباؤه. سلَّموا عليه وجلسوا. جِيء بالقهوة والشَّاي وعصير البرتقال وعصير الليمون. شيءٌ يشبه الاحتفال"[2]. ولا شكَّ أنه الاحتفال عينه، احتفال بعودة ابن المجتمع إلى مجتمعه، فالكلُّ في بهجة وسرور، والجميع يعدُّون هذا الابن ابنهم، فقد عاش بينهم، وتطبَّع بطبائعهم، وشاركهم مناسباتهم، فهو فرد من أفراد أسرة المجتمع الكبير، وليست اللحمة الاجتماعية مقتصرة على الرجال بعضهم مع بعض؛

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة ، مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، السودان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص٤١٨.

(٢) السابق، ص٤٣٢.

بل إنَّ النساء – أيضًا – يتكاتفن، ويشاركن بعضًا في مناسبات الفرح والحزن؛ تعبيرًا عن الشعور المشترك بين أفراد المجتمع، فهذه الصفة يمتاز بها الشعب السوداني بجميع أطيافه، فمن الملاحظ على علاقاتهم الاجتماعية قوة الترابط بينهم، ووقوفهم مع بعض، سواء أكان في مناسبات الفرح أو الحزن، وسواء أكان ذلك داخل البلد أو خارجه، وفي ذلك تبرز روح التوافق الاجتماعي، والتفاعل بين أبناء المجتمع السوداني في حياتهم الاجتماعية والإنسانية، وقد استمر هذا الوضع الاجتماعي حتى أيامنا هذه، فتجد اللحمة القوية، وأواصر الترابط سائدة بين الأخوة السودانيين، وخاصة في غربتهم عن وطنهم الأم.

ب – البر بالآباء والأجداد:

من الخصائص الحميدة في المجتمع السوداني برُّ الأبناء بآبائهم وأجدادهم، وفي ذلك امتثال لقول الحقِّ سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (٢٤) ﴾سورة الإسراء.

ويصوِّر السارد في إحدى القصص برَّ أحد أبناء المجتمع السوداني بجدِّه الكبير في قوله على لسان ذلك الابن الصغير: "كنتُ أعرفُ متى يريدني جدِّي أنْ أضحكَ ومتى يريدني أنْ أسكتَ، وكنتُ أتذكَّر مواعيدَ صلاته،

فأُحضر له "المصلاة" وأملأُ له الإبريق قبل أنْ يطلبَ ذلك منّي"[١]، وهذا هو البر الحقيقي، وهو معرفة ما يريده الوالد أو الجد وتحقيق طلبه قبل أن يطلبه، وخاصة في اختيار الزمن المناسب، ومباشرة رغبته دون تأخير أو مماطلة، مما ينتج عنه الراحة النفسية لهذا الرجل الكبير، وهي ضرورية له؛ لينعم بعيشة هادئة دون ضغوط تكدِّر عليه حياته، وهو في سنه الكبير الذي يأنس بأمور قد لا يدركها الابن إلا عندما يبلغ مبلغه من العمر.

ومن صور البرِّ أن يعرف الولد ما يعجب والده، ويودّ سماعه ورؤيته، فيقوم بتحقيق طلبه، يقول السارد على لسان الصبي – أيضًا –: "كان يلذُّ له في ساعات راحته أنْ يستمعَ إليَّ أقرأ له من القرآن بصوتٍ منغَّم، وكنتُ أعرف من وجه جدِّي أنه أيضًا كان يطربُ له"[٢]، فالسارد ينتقي الألفاظ التي تعبِّر عن راحة نفسية شديدة للوالد، وهو يرى فلذة كبده يبرُّ به كمال البر، فهناك مجموعة من الكلمات التي تدخل البهجة والسرور على هذا الوالد: "يلذُّ، راحته، يستمع، القرآن، صوت منغَّم، يطرب"، وهذه مجموعة ألفاظ تعود إلى حقل دلالي، وهو الشعور بالراحة، والطمأنينة النفسية، وقد كان الطفل لماحًا بصيرًا فهو يستنتج بفراسته أُنْس جده، وراحته وطمأنينته التي تتمظهر في سماعه للقرآن الكريم، وتلذّذه به.

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٤.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

كما أنَّ الفتيات يتميَّزْنَ بقربهن من والديهن، وعطفهن عليهما، ويعرفن حقَّ الأبوة، فقد كانت ابنة الشيخ محجوب تبرُّ والدها وتعطف عليه، وقد افتقد هذا العطف، وتلك الشفقة الحانية عندما تزوجت وسافرت مع زوجها إلى أقاصي الصعيد في الجزيرة(١).

ت – العطف على الصغير ومحبته:

يعدُّ المجتمع السوداني مجتمعًا عطوفًا، يسوده التراحم والتعاطف بين أفراده، وخاصة إذا كانوا صغارًا، فلا تجد فرقًا بين الكبير والصغير إلا التقدير للكبير والاحترام له، والعطف على الصغير والشفقة عليه، وهذا من الهدي النبوي الشريف، ومن الامتثال لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "ليس منَّا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا"(٢).

ويصوِّر السَّارد عطف الكبار على الصغار من خلال ملاطفتهم ومداعبتهم، فيقول على لسان صبيٍّ منهم: "لا بدّ أنَّني كنتُ صغيرًا جدّا حينذاك، لست أذكرُ كمْ كان عمري تمامًا، ولكنَّني أذكر أنَّ الناس حين كانوا يرونني مع جدِّي كانوا يربتون على رأسي، ويقرصونني في خدِّي، ولم يكونوا

(١) انظر: الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٦.

(٢) الترمذي، الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، حقّقه وخرج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، هيثم عبدالغفور، دار الرسالة العالمية، دمشق، الجمهورية العربية السورية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، (باب ما جاء في رحمة الصبيان)، ج٤، ص٤٨.

يفعلون ذلك مع جدّي"[1]، فهذا الوصف الذي يذكره السارد، والصورة التي يرسمها من قرص الخدِّ، والضرب الخفيف على الرأس إنما هي من باب ملاطفة الصغار، والظرافة معهم، والعطف عليهم، والإعجاب بهم، وهي من القيم الحميدة التي تعوَّد عليها أبناء المجتمع السوداني تجاه أبنائهم الصغار على وجهٍ خاص دون كبارهم، وقد أدرك ذلك الصبي عندما نفى توجيه تلك الحركات لجدِّه الكبير، واقتصارها عليه، وفي ذلك إيحاء إلى خصوصية توجيه هذه المداعبة لصغار السنِّ دون الكبار.

ويتجلَّى الحبُّ والاستلطاف لهؤلاء الصغار لحظة رؤيتهم وهم يؤدُّون أعمالًا جليلة، يستحسنها الكبار، ويشجعون من خلالها الصغار؛ تحفيزًا لهم وتقديرًا، وتأييدًا على فعلهم لهذه الأخلاق الحميدة، وتربيتهم على الخلق النبيل والعمل الصالح، يقول القاص على لسان الصغير: "وكان الشَّيخ يطلب منِّي دائمًا أنْ أقفَ وأقرأ سورة الرحمن، كلَّما جاءنا زائر. وكان الزوَّار يربتون على خدِّي ورأسي، تمامًا كما كانوا يفعلون حين يرونني مع جدِّي"[2]، ويبدو أنَّ اختيار السارد لسورة "الرحمن" لما فيها من آيات متشابهة، ولا يتقنها إلا حاذق في الحفظ، فإذا كانت من طفل صغير، فإنها تثير إعجاب المستمع، وتلفت انتباهه، ويكون الإعجاب وليد اللحظة مع قارئٍ صغير يقوم الكبار على تحفيزه وتشجيعه بالاستظراف، والضرب الخفيف على رأسه، وقرص خده، كناية عن الإعجاب والمحبة والتقدير لهذا الناشئ في رحاب القرآن

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٣.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

الكريم، وقد اختار الشيخ هيئة الوقوف في أثناء قراءة الطفل الصغير لما في ذلك من إظهار له، وزيادة في تشجيعه على عمله الحسن، وإعطاء المناسبة العناية والتقدير، فالقراءة وقوفًا أمام الجمهور تعطي هيبةً للموقف، وعظمة له، مما يكون له الأثر الأكبر في زيادة تشجيع الصغير لمقابلة الآخرين، وعدم الرهبة منهم، مكتسبًا الثقة في نفسه، والقدرة على القراءة دون أيِّ ارتباك، أو خوف من أحد.

ث – تسمية المولود:

من خصائص المجتمع السوداني التي ذكرها الطيب صالح في مجموعته القصصية: "دومة ود حامد" تسمية بعض المواليد بأسماء مَنْ كانوا ذا فضل على والدي الطفل أو أحدهما، وهذه إحدى الصفات النبيلة التي يتحلَّى بها أبناء المجتمع السوداني، وهي صفة من صفات الوفاء التي درجوا عليها تجاه أصحاب الفضل ممن يملكون قلوبًا كبيرة تراعي أفراد المجتمع، وتعطف عليهم.

ومما أورده الطيب صالح في هذا الشأن، وإطلاق اسم المولود على من يستحق أن يُتسمَّى باسمه: (آمنة)، والتي جاءت في قصة محجوب عندما رزقه الله بنتًا أسماها على جدته التي كانت تعتني به، وترأف بحالته، يصوّر ذلك السارد بقوله: "وفي العام التالي ولدتْ زوجته بنتًا أسماها آمنة تيمُّنًا بمقدمها، ووفاءً لذكرى جدَّته التي كانت تعطف عليه من بين أهله جميعًا"(١)، وفي اختيار هذا الاسم من بين أسماء النساء إشارة من السارد وإيحاء منه إلى وفاء

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٦.

محجوب لجدّته التي كانت رحيمة به، عطوف عليه في أثناء صغره، عندما كان جميع أقربائه مشغولين بأنفسهم، ولم يكن هناك أي اهتمام أو اعتناء به، كما أنَّ في ذلك تيمّنًا باسم الجدة (آمنة)، ففي اختياره إيحاء بفألٍ قادم للشيخ محجوب بأن تكون هذه المولودة شبيهة بالجدة التي تملك صفات عالية، وأخلاقًا نبيلة، ولعل في الاسم ما يشي بدلالة المعنى، فالعائل لهذه الأسرة يرجو أمنًا وأمانًا له ولأسرته في حياتهم اليومية من خلال فأله بالمولودة الصغيرة، وبانتظار أمل مشرق يسعد أفراد الأسرة الصغيرة جميعًا.

ج – حقوق الفرد الاجتماعية:

تحدَّث السارد في مجموعته القصصية عن بعض الحقوق التي يتمتَّع بها الفرد السوداني دون مقابل مادي، فذكر أنَّ من أهمِّ هذه الحقوق أنْ يتمتَّع المريض بالعلاج في المستشفيات الحكومية مجانًا، وهذه من الخدمات التي تقدِّمها بعض الدول لأبنائها في المجال الصحي؛ تخفيفًا عنهم، وعن الأعباء المعيشية التي تكهل عاتقهم، وخاصة مَنْ كان ذا دخلٍ محدود منهم.

وقد ذكر ذلك القاص في أثناء حديثه عن بعض الظروف الصحية التي يعاني منها المجتمع السوداني، وخطورة بعض الحشرات المنتشرة هناك، سواء أكان ذلك في فصل الصيف أم الشتاء، يقول في بيان تلك الأحقية: "إذا مرضتَ فمن حقِّك أنْ تعالجَ في المستشفى"[1]، وهو لا يتشاءم بالمرض،

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٣٦.

ولكنه يذكره مقرونًا بأسلوب الشرط، ليدرك – لحظتئذ – حقه في العلاج المجاني.

ومن حقوق الفرد الاجتماعية: التعليم المجاني للأبناء، وإدخالهم المدارس النظامية دون مقابل مالي، وهو من الحقوق المجتمعية الموجودة في بعض الدول ويشجعها المجتمع السوداني ويؤكّد عليها، يقول السارد في بيان هذه الأحقية: "وإذا كان لك ابنٌ فمن حقِّه أنْ يتعلَّم في المدرسة"(١)، وهذه من الخصائص الحسنة لهذا المجتمع أنْ يقدِّم لهم التعليم دون مقابل مالي، وتشجيع أبناء المجتمع على الالتحاق بالمدارس، ومحاولة تطور المجتمع من الناحية العلمية والفكرية، والنهضة بالبلاد في شتى المجالات، فلم تنهض أمة إلا بتسلح أبنائها بسلاح العلم، والتقدم المعرفي.

ويأتي التركيز على هذين الأمرين – العلاج والتعليم – من قبل السارد لأهميتهما لدى أفراد المجتمع، فكلُّ فرد يعنيه أمر تعليم أولاده، وإلحاقهم بالتعليم المجاني كحقٍّ من حقوقهم الاجتماعية؛ لإنقاذهم من داء الجهل وخطورته، وليكونوا على معرفة بعلوم القراءة والكتابة وغيرها من العلوم والمعارف التي تساعد الفرد على تطور مهاراته، وتنمية معارفه ومداركه، ومحاولة تقديم ما يمكن أن يقوم به تجاه تطوير مجتمعه وتقدمه، فلم تنهض أمة إلا بتقدمها في العلم، كما أنَّ المريض يحتاج إلى علاج، وقد يكون عاجزًا عن

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة ، ص٤٣٦.

توفير المال، وخاصة لدى طبقة الفقراء، فضمان العلاج المجاني صفة اجتماعية تقدمها الدولة لأفراد المجتمع السوداني.

ح – الحياة الخشنة:

يتميز الرجل السوداني – وخاصة الريفي – بالتحلّي بالصبر، ومقاومة مشقة الحياة الاجتماعية التي يمرُّ بها، وخاصة في خشونة العيش، وهذا أمر محمود بأن يتعوَّد الإنسان على مقاومة ظروف الحياة وقسوتها، وخشونة العيش، فالنعم لا تدوم، وإنما قد تنقلب الحال وتتغير، ومن خلال النصائح التي يقدّمها أحد كبار السنِّ لأحد زوَّار السودان فإنه يوجِّه له نصيحة يقول فيها: "سترحلُ عن بلدنا غدًا، أنا واثقٌ من ذلك، وحسنًا تفعل، ما لَكَ ولهذا العناء؟ نحن قومٌ جلودنا تَخينة، ليستْ كجلودِ سائر الناس. لقد اعتدنا هذه الحياة الخشنة، بلْ نحن في الواقع نحبُّها، لكنَّنا لا نطلبُ من أحدٍ أنْ يجشمَ نفسه مشقَّة الحياة عندنا"(١)، فهذه صفة من صفات مجتمع القرية التي اعتاد عليها أفرادها، وهم يحبون هذه السمة ولا يتضجرون منها، فحياة البذخ والإسراف لا يعرفونها، فهي ليست من عاداتهم وتقاليدهم، وقد اتخذ السارد أسلوب الاستفهام الإنكاري، وكذلك الوصف؛ لإقناع مَنْ تمَّ توجيه الخطاب له، من ذكر بعض الصفات الجسدية التي يتمتع بها أفراد المجتمع السوداني وخاصة مجتمع القرية، مما قد لا توجد فيمن وجِّهت له النصيحة، بالإضافة إلى تعوّد السودانيين عليها؛ بل ومحبتهم لهذا النوع من الخشونة الاجتماعية،

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة ، ص٤٣٦.

وقد يكون السارد في ذلك معتمدًا على أسلوب الرمز، والاتكاء على الإيحاء الدال على رفض الشرفاء من أبناء السودان تدخُّل الغرباء فيما يتعلق بحياتهم الخاصة، وعدم رضاهم عن ذلك، ورغبتهم في مغادرة البلد سريعًا، فلم يطلب منهم أحد القدوم إليه، والعيش في أرجائه.

ويتحلَّى الفرد السودانيُّ بقوة البأس، وعدم الجزع عند المصائب، وخاصة عند إصابتهم بمرض، أو تعرضهم لأيِّ أذى وخطورة، ويصوِّر الكاتب على لسان الرجل الكبير كيف يتحمَّل السودانيون بعض الظروف القاسية، وكيف يتعاملون معها، ويصبرون على أوجاعها: "نعم يا بنيَّ، نحن قومٌ لا نعرفُ دروبَ المستشفيات في الأمور الصَّغيرة، كلدغاتِ العقارب، والحمَّى، والفلكِّ، والكسر، نلزم الأسرَّة حتى نُشفَى"(١)، وهذه مجرد أمثلة سريعة على ما يصيبهم من أذى ويصبرون عليه ساقها الكاتب لإيضاح مدى قوة البأس، ومدى الصبر والجلد الذي يتصف به الرجل السوداني، مع إشعار هذا الرجل المسن للسائح بأنَّ هذه الأمور لا تعدو كونها صغيرة، وهذا أسلوب رمزي، وفيه إيحاء إلى قوة تحمُّل مشاق الحياة، والصبر عليها، وإيحاء إلى جزع بعض المجتمعات الأخرى، وقيامها بالتردد على المستشفيات؛ رغبةً في الشفاء عند أيِّ ملمَّة وإن كانت صغيرة!

ويسوق الكاتب قصة وقعت للرجل المسنِّ، فيقول على لسانه: "مرة كنتُ أعمل في حقلي فعضَّ شيءٌ إصبعي، هذا الإصبع الخنصر. فانتصبتُ قائمًا

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٤٤.

وتلفَّتُ أبحثُ عن العشب، فإذا ثعبان لابد، أحلف لك إنه في طول ذراعي هذا، فمسكته من رأسه وسحقته بين إصبعي، ثم عضضتُ إصبعي الملدوغ ومصصتُ منه الدم، وأخذتُ حفنة من التراب فدلكته بها!"[1]، وهذه القصة التي يذكرها السارد تعبِّر عن صورة الرجل السوداني الصلب، الذي تعوَّد على قسوة المعيشة، وقدرته على تحمّل الحياة الخشنة، ومقاومة الظروف الاجتماعية الصلبة، ولا غرو في ذلك، فهو أمر مشاهد على أرض الواقع.

خ – بساطة الإنسان السوداني:

يتميز الفرد السوداني – وخاصة الريفي – بالبساطة، والنظر إلى ما يتعلَّق بالمجتمع نظرة قريبة، ويعنيه ما يشاهده أمامه على أرض الواقع دون التعمق في المستقبل وما تخفيه الأمور من تطور منشآت بلده، فعندما أرادت الحكومة أن تقيم مشروعًا زراعيا في موضع "الدومة" ثاروا عليه، ورفضوا هذا المشروع الذي تقيمه الحكومة في عهد الحكم الأجنبي بحكم أنَّ إقامته ستدمّر الموروث المجتمعي، فهذه الدومة تعدُّ رمزًا اجتماعيًا لهم، في ظلّ خرافة وأساطير يعتقدها بعض أفراد المجتمع، مما جعل الحكومة تستجيب لرأيهم، ولا تقيم لهم مشاريع زراعية تساعد على تنمية مجتمعهم وتطوره، وتسعى إلى جلب الأرزاق والخيرات لهم.

وعندما أرادت الحكومة في أول العهد الوطني أن تقيم محطةً تقف عندها الباخرة، وقد تمَّ اختيار دومة "ود حامد" لتكون مكانًا ترسو فيه هبَّ أفراد

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٤٣.

المجتمع الريفيّ للوقوف ضدَّ هذا التطوير؛ بل إنهم برَّروا عدم رغبتهم بهذا العمل بكل هدوء وطمأنينة قائلين: "إذا أردنا السَّفر لأمرٍ مهمٍّ كتسجيل أرضٍ، أو النَّظر في قضية طلاقٍ فإنَّنا نركب حميرنا ضحىً كاملًا ثم نأخذ الباخرة من المحطَّة في البلد المجاور. لقد اعتدنا يا بنيَّ على ذلك؛ بل نحن من أجلِ هذا نربِّي الحمير"(١)، فكأنَّ الأمر لا يعدو أمرًا مهمّا، ولا يشكِّل قضية بالنسبة لهم، ولا يقدِّم لهم مقترح تطوير مجتمعهم أيّ جديد، فهم مستعدون لركوب وسيلتهم البدائية – الحمير – الساعات الطوال دون ملل أو ضجر لقضاء حوائجهم الضرورية، وبذلك فضَّلوا زيارة ضريح ود حامد كل أربعاء – كما وجدوا آباءهم يفعلون ذلك من قبل – على أنْ يتطوَّر المجتمع، ويتمَّ إنشاء بعض المشاريع فيه.

ويظهر القاصُّ بساطة هذا المجتمع، وسذاجة أفراده في ذلك الزمن، فقد حمدوا الله على ذهاب المطالبات الحكومية بإنشاء المشاريع في تلك الدومة، ورضوخهم لمطالب الشعب بترك دومتهم لهم ولمعتقداتهم الخيالية، فيقول السارد على لسان أحد أفراد تلك الدومة: "وحمدنا الله أنْ كفانا مشقَّة مصافحتهم. عادتْ حياتنا إلى سيرتها الأولى، لا مكنة ماء، ولا مشروع زراعة، ولا محطَّة باخرة، وبقيتْ لنا دومتنا تلقي ظلَّها على الشاطئ القبلي عصرًا، ويمتدُّ ظلُّها وقت الضحى فوق الحقول والبيوت حتى يصلَ إلى

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٤١.

المقبرة"[١]، وهكذا ذهبت مشروعات التطوير على أبناء المجتمع السوداني، فالمشاريع الزراعية ذهبت أدراج الرياح، ومحطة الباخرة لن يتمَّ إنشاؤها، وكل ذلك بسبب هذه الدومة التي اعتقدوا فيها اعتقادات باطلة، ولكنهم يكتشفون حين تقطع الشجرة نهاية المطاف أنَّ ما يخشونه لا يعدو كونه من الأوهام التي علقت بعقول أبناء المجتمع ونفوسهم[٢]، ولن يتمَّ التطور إلا إذا ذهبت هذه المعتقدات، "فقلتُ له: ومتى تقيمون طلمبة الماء والمشروع الزراعي ومحطَّة الباخرة؟ فأطرق برهةً ثم أجابني: حين ينام النَّاس فلا يرون الدّومة في أحلامهم"[٣]، وقد اعتمد السارد على التنويع في أسلوبه القصصي من أجل التنويع في المواقف والأصوات بدل أن تأتي القصة على رتابة واحدة، ولذلك جاء بأسلوب الحوار الخارجي القائم بين فرد من أفراد المجتمع الذين يعنيهم تطور مجتمعهم وبين أحد أفراد الحكومة في إظهار سبب عدم التطور، وكيف لهم أن يحقّقوا تقدمًا في مشاريعهم الزراعية، والتجارية وغيرها، وقد التزم السارد بسمات الحوار الجيد، فكان حوارًا قصيرًا مركَّزًا، مساعدًا على انسياب السرد، وشدِّ انتباه القارئ[٤]، كما أنَّ القاصَّ اتكأ على أسلوب الاستفهام

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٤٨.

(٢) انظر: د. إبراهيم خليل، تأملات في السرد العربي، ص١٧٣.

(٣) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٤٨.

(٤) انظر: د. عادل فريجات، الخطاب وتقنيات السرد في النص الروائي السوري المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٩م، "سلسلة الدراسات رقم: ٥"، ص ٢١٠.

الذي نبع من غَيرة مواطنٍ صادق طال انتظاره في سبيل تطوّر مجتمعه، سائلا عن الوقت المناسب الذي سيكون فيه ذلك التقدم والازدهار!

د – الألقاب الاجتماعية:

من خصائص المجتمع السوداني حب إطلاق الألقاب على أفراد مجتمعهم، وذلك من باب التلطّف والأدب وحبِّ بعضهم لبعض، وهو مظهر من مظاهر تلاحم المجتمع، وترابط أفراده.

وتأتي الألقاب من باب الظرافة والفكاهة؛ ففي إحدى قصص "دومة ود حامد" يحكي أحد أفراد المجتمع السوداني حكاية عن نفسه، يذكرها السارد على لسان ذلك الرجل قائلًا: "وكذَّابٌ مَنْ قال إنه صارعني فصرعني، كانوا يسمُّونني "التِّمساح"، مرَّة عِمْتُ النيل أدفع بصدري مركبًا موسوقةً قمحًا إلى الشاطئ الآخر ليلًا، وكان على الشاطئ الآخر رجالٌ على سواقيهم. فلمَّا رأوني أدفع المركب نحوهم ألقوا ثيابهم وفزعوا وفرُّوا. فناديتهم: يا قومُ ما لَكمْ قبَّحكم الله؟ ألا تعرفونني؟ أنا التِّمساح. أنتم والله الشَّياطين تخاف من خلقتكم القبيحة"(١)، ويعتمد السارد في كلامه على أسلوب النداء "يا قوم"؛ لتطمئن نفوس الآخرين بأنه رجل من جنسهم، ومخلوق مثلهم، وليس من عالم آخر، كما يتكئ على الاستفهام الإنكاري؛ لتهدئة روعهم، وبعث الطمأنينة في قلوبهم، كما جاءت تقنية "الوصف" التي يتكئ عليها الطيب صالح في أسلوبه القصصي كثيرًا من أجل لفت انتباه هؤلاء الرجال الذين أصابهم الذعر

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٤٢.

والخوف، وولوا هاربين، وتقريب الصورة الجمالية للمتلقي وهو يستمع إلى قصة كأنها ماثلة أمامه، بل إنه استخدم عنصر "المبالغة" عندما ذكر أنَّ الشياطين تخاف منهم، وهو في ذلك يحاول أن يشدَّ بأسلوبه القصصي ذهنَ المتلقي ويحفّزه على متابعة هذه القصة الفكاهية والتي تعطي انطباعًا عن أخلاقيات المجتمع السوداني وظرافته من خلال حشد جملة من الأساليب التشويقية التي تسترعي السمع، وتشد الانتباه، وتجعل المتلقي يسارع في المشاركة في إتمام أحداث القصة، ويتوقع نتائجها قبل أن يصل إلى قراءتها، وهذا في غاية الفنِّ وجماله.

وكان أفراد المجتمع السوداني يطلقون الألقاب على بعضهم، ومن ذلك الألقاب التي تحكي صفة الشخص نفسه، وطبيعة حياته، وما يحيط به من ظروف اجتماعية، فشخصية الشيخ محجوب عاشت حياتين: حياة الغنى والرفاهية، وحياة الفقر والعدم، فكان في كلِّ حياة مرت به يُطلق عليه أفراد مجتمعه لقبًا معينًا يتناسب مع حالته الاجتماعية التي يعيشها، يذكر ذلك السارد بقوله: "حتى لقِّب بالظَّريف بعد أنْ كان يلقَّب بالغبيِّ"[1]، فحياة الغِنى يتناسب معها لقب اجتماعي يليق بهذا التاجر وهي صفة الظرافة، فلا يستطيع أحد – حينئذ – أن يصفه بالغباء، لتعارض الحالتين: حالة الغنى، وحالة الغباء، أما حالة الفقر وسوء الوضع الاجتماعي الذي مرَّ على محجوب فقد كان ينعته أفراد المجتمع – حينئذ – بصفة الغباء؛ زيادة في سوء تصوير

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٨.

حالته الاجتماعية، ووضعه النفسي الذي يحيط به، وليس معنى ذلك أنهما سمتان متلازمتان، ولكن المكانة تكون في نظر أعين أفراد المجتمع أقل من الرجل الغني الذي يقدرونه، ويعلون من شأنه.

ذ – الجانب الثقافي:

تساعد الثقافة أفراد المجتمع على معرفة السلوك المقبول من غيره، وتسهم في تشكيل كثير من الظواهر الاجتماعية، وتختلف من مجتمع لآخر، وهي جملة من المعلومات والمعتقدات والعادات التي يكتسبها الإنسان بصفته أحد أفراد المجتمع، كما أنها تمثِّل نمطًا من التفكير والسلوك الذي يتبنَّاه مجتمع بأكمله أو جزء منه(١).

وقد ذكر الطيب صالح في مجموعته القصصية بعضًا من السمات الثقافية لأبناء المجتمع السوداني، فهناك عناية خاصة بالقرآن الكريم وتعلّمه، وتربية الأبناء على حفظه، ففي تعلّمه فلاح في الدنيا وفوز في الآخرة، وهو دستور هذه الأمة، وكتابها الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذلك يحرص الجميع على تعليم أبنائهم القرآن الكريم، وحفظه، يقول الكاتب على لسان أحد صغار المجتمع السوداني: "العجيب أنني لم أكنْ أخرج أبدًا مع أبي، ولكنَّ جدي كان يأخذني معه حيثما ذهب إلَّا في الصباح حين كنتُ أذهبُ إلى المسجد لحفظ القرآن"(٢)، وهنا تكمن أهمية حفظ القرآن الكريم، إذِ

(١) انظر: د. مختار محمد، د. فاطمة عبدالسلام شربي، مدخل إلى علم الاجتماع، دار غريب، القاهرة، د.ت، ص٧٣– ٧٤.

(٢) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٣.

استثني وقت الذهاب إلى المسجد من مرافقة الصبي لجده؛ استشعارًا بوجوب التردّد على المسجد لتربية هذا الصبي تربية حسنة قائمة على تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته.

كما أنَّ هناك فئة منهم طلبوا العلم والمعارف في الغرب، وخاصة في إنجلترا، فسافروا إليها لدراسة علوم متنوعة، فالسارد يحكي في قصة "دومة ود حامد" عن أحد أفراد مجتمعه الذي ينتظر قدوم ابنه من الدراسة لعل التطور يلحق بالمجتمع عند عودته، وعودة كثير من الأبناء الذين التحقوا في الدراسة مغتربين عن وطنهم ومجتمعهم، وبذلك تمتزج العلوم والمعارف الجديدة مع ما لدى الرجل السوداني من أخلاق عالية، وحب لوطنه لتكون عاملا من عوامل بناء المجتمع.

ومن الأمور الثقافية التي ذكرها القاص: المتاحف السودانية، فهي معلم من المعالم التي يتسم بها البلد، وقد طلب الرجل المسن من السائح أن يذكر بلده بالخير، ولا تكون زيارته قد أعطته انطباعًا عامًا سيئًا، فهناك ما يسر، ومن ذلك المتاحف الموجودة في البلد، يقول السارد: "سترحل في غدٍ يا بني – إني أعلم ذلك ولكنْ قبل أنْ ترحلَ دعني أُريك شيئًا واحدًا – قلْ إننا نعتزُّ به. عندكم في المدن المتاحف – أماكن تحفظ تاريخ القطر والأمجاد السالفة. هذا الشيء أُحبُّ أنْ أُريكه، قلْ إنه متحف. شيء واحد نصرُّ أنْ يراه زوّارنا"[1]، وتظهر أهمية المتاحف في حفظها لتراث المجتمع، وفيها حكاية

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٣٦.

الآباء والأجداد الأقدمين، وهي رمز من الرموز التي تحفظها الشعوب، وتدل على أصالتهم وثقافتهم، وترشد إلى عاداتهم وتقاليدهم.

ر – الملابس الرجالية:

للرجل السوداني ملبوسه الخاص الذي يميزه عن غيره، فهو يتميز بعمامته البيضاء الطويلة التي يلفّها حول رأسه، مع الثوب الأبيض الواسع الفضفاض، وقد أبان عن ذلك الطيب صالح في أثناء حديثه عن الزيِّ الذي يلبسه التاجر حسين، إذْ يقول: "والحقُّ أنَّ حسين التاجر بثيابه البيضاء الفضفاضة... وعمامته من الكرب نمرة واحد"(١)، وهذا هو الملبوس الذي يفخر به الرجل السوداني ويعتزُّ به، ويميزه عن غيره من أفراد المجتمعات الأخرى بهيئته ووقاره، فهو من العادات والتقاليد الاجتماعية التي يحرص كل فرد سوداني على التقيد بها، وخاصة في مناسباتهم الرسمية(٢)، وهذه العمامة ليست وليدة العصر الحديث، فهي من مأثور ملبوسات الرجل العربي منذ القدم، فعندما تولى الحجَّاج بن يوسف الكوفة اعتلى المنبر، وتمثّل قول سُحيم بن وثيل الرياحي:

أنا ابنُ جَلَا وطلَّاع الثنايامتى أضعِ العمامةَ تعرفوني(٣)

وقد حافظ الرجل السوداني على لبس العمامة مع تميزٍ في طولها، وهيئتها التي تختلف عن الآخرين من الشعوب الأخرى التي تلبس العمامة أيضًا،

---

(١) السابق، ص٤١٣.

(٢) انظر: حسن محمد جوهر وآخرون، السودان "أرضه وتاريخه وحياة شعبه"، ص١٤٧.

(٣) الأصمعي أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك، الأصمعيات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبدالسلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٧.

فأصبحت سمة اجتماعية دالة على الرجل السوداني بلونها الأبيض المميز الذي يفخر به، وفي هذه العمامة فوائد عدة، فهي تقي صاحبها من شدة الحرِّ، وخاصة أنَّ اللون الأبيض يعكس حرارة الشمس ولهيبها، وفي العمامة زينة وجمال خاص، ومن خلالها تتحدَّد هوية الرجل السوداني الوطنية التي تميزه عن غيره.

كما أنَّ هناك فئة أخرى من الرجال الذين خالفوا الزَّي الوطني مما يميز الشخصية السودانية عن غيرها، وخاصة طلاب الجامعات والمدارس، وكثير من سكان المدن وموظفي الحكومة(١)، وكذلك الأبناء الذين سافروا للغرب، إما للدراسة أو لأيِّ أمر آخر، فلبسوا اللباس الإفرنجي المعروف، يصور السارد ذلك في قصته الموسومة بـ"رسالة إلى إيلين"، إذ يقول على لسان المرسل: "ربطة العنق التي اشتريتها لي في العام الماضي في بوند ستريت، وجدتها مع خمس كرافتات أخرى، خمس كرافتات تكفيك"(٢)، وهذه الملابس تخضع للجمال والانتقاء، فهناك جمال في شكلها، وفي لونها، ويصور القاص جمال إحداهنَّ بقوله: "ربطة عنقٍ قرمزية اللون واحدةٌ من ملايين الأشياء الصغيرة التي تشدُّ قلبي"(٣)، فهي تملك قيمة عالية نظير ما تحمله من ذكرى عزيزة في قلبه، وفيها شعور بالارتياح النفسي كلما نظر إليها.

(١) انظر: حسن محمد جوهر وآخرون، السودان "أرضه وتاريخه وحياة شعبه"، ص١٤٧.

(٢) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٩.

(٣) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٩.

ز – وسائل التنقل:

يستخدم أفراد كلِّ مجتمع وسائل نقل معينة في تنقلاتهم لقضاء حوائجهم اليومية، وتختلف هذه الوسائل من مجتمع لآخر، وتغلب إحدى الوسائل على غيرها لتكون هي الوسيلة الغالبة في التنقلات، وذلك حسب طبيعة كل مجتمع، وقدرته المالية، وطبيعة أراضيه الصحراوية أو البحرية، وغير ذلك من العوامل المؤثرة في طبيعة تلك الوسائل.

وفي قصص "دومة ود حامد" فإنَّ السارد قد ذكر أنَّ "الحمير" هي الوسيلة الأولى للمجتمع السوداني لقضاء حوائجهم اليومية، فهي الوسيلة الرسمية لهم، وكانوا يؤثرونها على غيرها، ولا عيب في ذلك ولا خجل ما دامت تفي بحاجتهم، ولا تتركهم أسرى في منازلهم دون طلب الرزق، وقضاء الحاجة؛ بل إنها وسيلة طبقات المجتمع بمختلف أصنافه، فالتاجر يستخدم هذه الوسيلة في قضاء حاجاته، يقول السارد مصورًا وسيلة تنقّل التاجر حسين: "وتململَ حمارُ حسين التاجر في وقفته. ولم يكنْ صاحبه قد ترجَّل عنه"[1]، وبذلك تظهر بدائية الوسائل المستخدمة لأبناء المجتمع ما دامت طبقة الأغنياء المترفة تستخدمه وسيلة لها في أثناء تنقلاتها اليومية، ويغلب ذلك في المناطق الريفية أكثر من غيرها.

ويضع هؤلاء الأفراد عنانًا للحمار كي يساعدهم على السرعة متى ما رغبوا في ذلك، وقد صوَّر القاصُّ التاجرَ مع حماره عندما أراد أن ينطلق به

(١) السابق، ص٤١٣.

بسرعة قائلا: "وجذب التاجر عنان حماره في صلف، ثم همز بطن الحمار بكعب رجله"[١]، كناية عن رغبته في مغادرة المكان مسرعًا عن طريق ضرب بطن الحمار بقدمه، وإظهارًا لحالته النفسية البائسة عندما رفض بائع التمر إتمام صفقة البيع.

وينفي السارد وجود الوسائل الحديثة في مجتمع "دومة ود حامد" الريفي في أثناء تلك الحقبة الزمنية، فهو يتحدَّث على لسان أحد كبار السن قائلًا: "يا ليت يا بنيَّ، يا ليت ... الطرقات المرصوفة في المدن، المواصلات الحديثة، العربات الجميلة المريحة. ليس عندنا من كلِّ هذا شيء، نحن قومٌ نعيش على الستر"[٢]، فالسارد يستخدم أسلوب التمني، للتعبير عن واقع المجتمع الذي أنهكته وسيلة تنقلاته البدائية، ويتمنى لو أنَّ مجتمعه تقدَّم للأمام، وخطا خطوة في توفير الوسائل المريحة في التنقلات، وتمَّ تجهيز الطرقات لها، ولكن ذلك لم يأت أوانه! كما جاء أسلوب التكرار معزِّزًا لتلك الأماني البعيدة التي يتحدَّث عنها الرجل، فهو لا يرى أملًا قريبًا في التطور، والنهوض بوسائل حديثة في المواصلات.

أما السفن فهي من الوسائل المريحة التي يلجؤون إليها عند الحاجة إلى التنقل من جزيرة إلى أخرى، ولكنها وسيلة محدودة الاستخدام، ولا يأتون إليها إلا عند الضرورات، وخاصة في أثناء رغبتهم التنقل من جزيرة إلى أخرى، لإكمال معاملة لهم في إحدى الدوائر الحكومية.

---

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٠.

(٢) السابق، ص٤٣٦.

س – المهن الاجتماعية الشريفة:

تنوَّعت المهن والحرف في المجتمع السوداني من خلال المجموعة القصصية في "دومة ود حامد"، وغالب هذه الحرف تتركز في الريف السوداني، وأهمها: مهنة الفلاحة، وهي من المهن التي تردَّدت في الأدب العربي الحديث، شعره ونثره. فأسرة محجوب أسرة تمتهن هذه الحرفة، وهي مصدر رزقها الوحيد، ويتذكَّر محجوب أيام عمله في مزرعة والده، ويسترجع تاريخه الماضي أيام شبابه متحدثًا عن نفسه قائلًا: "لقد كان يومئذٍ شابًا قويًا أعزب لم يبلغِ الثلاثين بعد، يعمل في ساقية أبيه مقابل كسوته وشرابه"(١)، وفي ذلك إشارة إلى تربية الأبناء على كسب الرزق الحلال، فالابن يساعد والده في حقله الزراعي، والوالد يكافئه على ذلك، مع أنَّ طاعة الوالد واجبة على الأبناء، وكسوة الأبناء وشرابهم واجبة على الوالد، ولكن الانتماء إلى هذه المهنة جعل الوالد يحبيها في أبنائه، ليدركوا أثرها في جلب الرزق لهم، وقضاء ما يحتاجونه في حياتهم من مأكل ومشرب وملبس.

كما أنَّ ابن عمه إسماعيل يمتهن الحرفة نفسها، ويصوّر محجوب أحد المواقف مع ابن عمه عندما مرَّ به ذات صباحٍ مشرقٍ وكان يعمل في مزرعته يقلع الشتلة ويزرعها في مكان آخر، ولفت نظر محجوب إحدى الشتلات الصغيرة التي رماها ابن عمه لأنها لا تصلح حسب تقديره، ولكنَّ محجوبًا أخذها وغرسها جانب السَّاقية وهو يضحك عليه، وبعد فترة أثمرت النخلة،

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٥.

فكانت سببًا في غناه، وبنى لنفسه بيتًا يُؤويه مع أسرته[١]، وهذا يدلُّ على أنَّ أبواب الرزق مفتوحة، ويأتي من أيِّ باب يقدِّره الله حتى وإن كان من عمل صغير، مما يدل على وجوب تقدير نعم الله وتعظيمها، صغيرة كانت أو كبيرة.

وتمثِّل مهنة تربية الحيوانات إحدى المهن التي يحترفها أفراد الريف السوداني، وقد أبان الطيب صالح عن هذه الحرفة من خلال تربية محجوب وابنه حسن للأغنام، يقول السارد: "وأصاب السَّهمُ الأخير النعجةَ البرقاء التي ربَّاها حسن، وجمع لها الحشيش وأشركها طعامه وأنامها في فراشه"[٢]، ومن شدَّة تعلُّق هذا الصبي بتربية الأغنام أنه أصبح يعاملها كفرد من أفراد الأسرة في الأكل والنوم، ولا شكَّ أنَّ هذه النعجة البرقاء لها سمات خاصة، ومكانة كبيرة في نفس هذا الصغير، وهذا اللون محبَّب لدى أصحاب الأغنام، وهي سمة جمالية فيها، وقد كان والده أشد تعلُّقا بالأغنام منه، فكان يملك قطيعًا من الأغنام، "اشتراها بما تجمَّع عنده من ثمنِ حيضان البصل، كان يُعاملها كما يُعامل أبناءَه، يحلب لبنها بنفسه ويكوِّم القشَّ في مراحها ويفكُّ لها صغارها ويلبث السَّاعة والسَّاعتين يُداعبها وينظِّف وبرَها، وتغمره السَّعادة وهو يُشاهدها تُناغي صغارها وتشرب الماء المخلوط بالدريش، وتَتَناطح فيما بينها"[٣]، فهي كل شيء في حياة هذا الرجل، يقضي جلَّ وقته بينها، وينصبُّ جهده تجاهها، وقد استخدم السارد الأفعال المضارعة بكثرة:

---

(١) انظر: الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٥، وكذلك: ص ٤١٨.

(٢) السابق ، ص٤١٧.

(٣) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٧.

"يحلب، يكوِّم، يفكُّ، يلبث، يداعب، ينظِّف، تغمره، يشاهد، تناغي، تشرب، تتناطح"؛ للدلالة على استمرارية عمل الفلاح معها، وتعهده برعايتها، ومراقبته لجميع أفعالها، واندماجه الشعوري مع تصرفاتها؛ لأنها تمثّل جزءًا من كيانه، فقوّته وسعادته تتمظهر في هذا القطيع من الأغنام؛ بل إنه أطلق عليها الأسماء والألقاب تعريفًا بها، وتمييزًا لبعضها، وحبًّا فيها، والإنسان يطلق الألقاب – عادة – على الشيء الذي يستظرفه ويحبه، فكانت ألقابها أنها "ذاتُ الذَّيلِ الأبيضِ، وذاتُ البقعةِ السَّوداء، والخروفُ ذو القرن المكسور، والخروفُ ذو القرون الملتوية"[1]، وفي إطلاق هذه الألقاب دلالة على قربها إلى قلب صاحبها، وتعلّقه بها حتى وإن كانت لا تعقل؛ بل إنَّ هناك من الحيوانات من يناديها صاحبها باسمها أو لقبها الذي منحها إياه فتأتي إليه مسرعة، وهذه نتيجة للحياة المشتركة، والوقت الطويل الذي يقضيه صاحبها معها، رحيمًا بها، معتنيا بكل ما تحتاجه.

كما أنَّ المجتمع السوداني اعتنى بتربية الأبقار، فالشيخ محجوب قد اشترى عجلة صغيرة، ومع مرور الأيام، وتعهده في تربيتها "استوتْ بقرةً جميلة كحيلةَ العينين لها غرَّة في جبينها تجرُّ الساقية، وتدرُّ اللبن"[2]، فهذه الحرفة فيها منافع عدَّة، فهي جمالٌ لحياة بعض الأسر، ومصدر رزقٍ لبعضهم يبيعون ما تنتجه لهم، وفيها غذاءٌ ومنافع للآخرين، وقد اعتمد القاص على تقنية الوصف في إظهار ما تملكه هذه الدابة من جماليات، وهي تقنية تلفت نظر السامع،

(١) السابق، ص٤١٧– ٤١٨.

(٢) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٨.

وتستهويه لمعرفة المزيد من هذه الأوصاف التي تجعل صاحبها يتعهدها بالتربية، ويزيد من شغفه بها.

وهناك مهنة التجارة، وهي تمثِّل حرفة لبعض الأغنياء في المجتمع السوداني، ومن ذلك التاجر حسين الذي تحدثتُ عن شيء من سماته في أثناء الحديث عن التفاوت الاجتماعي، كما أنَّ الشيخ محجوبًا قد أغناه الله، وتبدَّلت حاله من الفقر إلى الغنى، وذلك بفضل تلك النخلة التي غرسها جانب الساقية، فقد استجاب الله دعاءه، وبسط له في رزقه، "وصار ثريًّا يعدُّ المال مثل أيِّ تاجر، يجلس في السُّوق منتصبًا تملؤه الثقة أمام كوم الذرة، يكيل منه للمشترين"(١)، وقد غيَّرت هذه التجارة ملبسه ومأكله ومفرشه إلى الأحسن، فقد "صار يلبس النَّظيف، ويأكل الطَّيب، وينام على الفراش اللَّين، ويتدثَّر في برد الشتاء ببطانية ثقيلة من الصُّوف"(٢)، متدثرًا بأوصاف الطبقة المخملية من المجتمع السوداني، متأثرًا بأحوالهم الاجتماعية، ومظاهرهم الخارجية، وقد انقسم أصحاب هذه المهنة إلى فئتين: فئة جشعة، تحاول استغلال الضعفاء، وكسب ما يملكونه من خيرات وإن كانت قليلة، سواء أكانت من محصول زراعي أو غيره، وفئة أخرى شاكرة لله على ما رزقها وأنعم عليها، فهي تتصدَّق، وتساهم مع أفراد المجتمع، وتعين المحتاج، وتعلم أنَّ هذا الرزق قد يتبدَّل في غمضة عين من حال إلى حال.

---

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٨.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

ش – تقاليد الزواج:

يعدُّ الزواج ظاهرة اجتماعية في عالم الإنسان، وهو من الأنظمة الاجتماعية التي تؤدِّي وظيفة مهمة في الحياة الاجتماعية، وتساعد على الصمود في وجه التغيرات التي تحدث في المجتمع، ومن خلاله يبني الفرد أسرته، ويكوّن كيانًا مستقلا يعيش من خلاله حياته الاجتماعية الخاصة(١).

وقد صوّر الطيب صالح بعضًا من ملامح الزواج السوداني وخصائصه، ومن ذلك: زواج الأقارب، فهناك قِيمٌ يقدِّرها الشعب السوداني تتعلَّق بالناحية الاجتماعية، ويرجعون فيها إلى كبير العائلة أو القبيلة أو العشيرة، ولا يخرجون بها عن رأيه ومشورته، ومن ذلك: الزواج من خارج محيط القبيلة أو العائلة(٢)، ولعلَّ قرب الأسر بعضها مع بعض، وزيادة الترابط الأسري في المجتمع السوداني أحد أهم العوامل لمثل هذه الزيجات، فالشيخ محجوب تزوج ابنة عمه(٣)، بعد أن كان يائسًا من أمر الزواج بسبب الفقر الذي أصابه، ولكنّ حلمه تحقَّق، وأصبح ذا أسرة تملأ البيت بالأولاد، كما أنَّ ابنة الشيخ

(١) انظر: د. طلعت إبراهيم لطفي، مبادئ علم الاجتماع، مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص١٦٩- ١٧٠.

(٢) انظر: مكي آدم سليمان، طبيعة المجتمع السوداني، الناشر: المؤلف، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص٤٨.

(٣) انظر: الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٦.

محجوب آمنة تزوجت من ابن أخته[١]، فهذه نماذج تحكي واقع الزواج السوداني، وتدلُّ على حرصهم على زواج الأقارب من بعض.

ومن خصائص الزواج في المجتمع السوداني: بعض الملبوسات المصاحبة لهذه المناسبات السعيدة، فمحجوب الذي لم يتوقَّع أنه سيتزوج يومًا من الأيام حدث ما يخالف توقعاته، يصور السارد حالة محجوب قائلًا: "غير أنه تزوَّج، ولبسَ حريرةَ العرس، وتمسَّحَ بالدّلكة، ووضع على رأسه الضريرة"[٢]، وهذه الأشياء الثلاثة: لبس الحريرة، والتمسح بخلطة الدلكة من قبل الزوج عن طريق زوجته ليلة الدخلة، ووضع الضريرة، وهي مسحوق من العطورات الجافة ذات الرائحة الزكية على رأس الزوج عادات اجتماعية، وتقاليد اتسم بها المجتمع السوداني، وحافظ عليها أفراده في مناسباتهم التي تناقلوها جيلًا بعد جيل، وفيها خصوصية لهذا المجتمع، وإعطاء طابع يتسم بتآلف الزوجين اللذين أصبحا شريكين في حياتهما الاجتماعية الخاصة.

ومن الخصائص الاجتماعية في الزواج السوداني: ما يصاحب هذه المناسبة من الأفراح، والأغاني والأهازيج من قِبل الحاضرين، وقد كانوا يقيمون حفلا ويدعون إليه أفراد مجتمعهم، ويتخلله الولائم والرقص الخاص بمناسبة الزواج[٣]، يصف الساردُ محجوبًا ليلة زواجه قائلا: "وأحاطتْ به الصَّبايا

---

(١) انظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

(٣) انظر: حسن محمد جوهر وآخرون، السودان "أرضه وتاريخه وحياة شعبه"، د. ن، د. ط، ١٩٧٠م، ص١٦٣.

يهزجْنَ بالأغاني. ولكَمْ شَعر بالعظمة والكبرياء وقتها"[١]، فصورة الإحاطة التي صوَّرها السارد للزوج ليلة زواجه، والتفات الصبايا وهنَّ يردِّدن أغانيهن، ويعبرن عن الفرح بهذه المناسبة تعكس حالة السرور والسعادة التي أحاطت به، وجعلته يعيش حياة سعيدة رسمتها طبيعة المناسبة الاجتماعية.

كما أنَّ محجوبًا يتحدَّث عن نفسه، ويقول إنه كان: "يرقص في الأعراس"[٢]، وهذه عادة اجتماعية يُظهر فيها الناس فرحهم في ليالي الزواج، وقد اعتاد المجتمع السوداني على هذه الإيقاعات، والرقصات الحركية التي تصاحب مناسباتهم السعيدة كالزواج وغيره من المناسبات، وأصبحت عادة اجتماعية لا يفارقونها[٣].

***

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٦.

(٢) السابق، ص٤١٩.

(٣) انظر: مكي آدم سليمان، طبيعة المجتمع السوداني، ص١٣.

المبحث الثاني: الملامح الاجتماعية المذمومة

في كل مجتمع خصائص مذمومة، فلا يوجد مجتمع مثالي خال من السلبيات والنقائص، ويحاول بعض أفراده المشاركة في إصلاح الخلل من زاويته، والأديب أحد هؤلاء الذين يقدمون وجهات نظرهم لإصلاح ما في مجتمعهم من خلل، فالطيب صالح في قصصه "دومة ود حامد" يصوِّر بعضًا من هذه الملامح المذمومة التي ارتأى خطرها على مجتمعه، ويتمنى زوالها، ومنها:

أ- الجشع:

يتكوَّن المجتمع السوداني من فئات متفاوتة في الغنى والفقر، مثله مثل أيِّ مجتمعٍ عالميٍّ تتفاوت فيه الأحوال المادية فيما بينهم، ولكن ذلك يختلف من مكانٍ إلى آخر، وتتمايز تلك الفروقات الطبقية سواء أكان على مستوى التعاون فيما بينها، أو على مستوى الفارق الاجتماعي بين تلك الفئات، وهذه حكمة قدَّرها الله في هذه الحياة، وكتب لكلٍّ رزقه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) ﴾سورة الزخرف.

وقد صوَّر الطيب صالح في مجموعته القصصية فئتين مختلفتين في المجتمع، ولكلٍّ واحدة منهما سمات تتحلَّى بها، وملامح يدركها أفراد المجتمع.

الفئة الأولى: فئة الأغنياء، ويمثِّلها التاجر حسين، وهي فئة تتسم بالجشع، وتحاول استغلال الفئة الفقيرة في شراء سلعهم بثمنٍ بخس، ومساومتهم عليها

بجنيهات معدودة، دون مراعاة الخلق الحسن في التعامل التجاري، فعندما أراد حسين أن يشتري نخلة من الشيخ محجوب قال له بأسلوبٍ يُخفي وراءه طمعًا تجاريا دون النظر إلى حاجة الطرف الضعيف في الجهة الأخرى: "عشرون جنيهًا يا رجل، تحلُّ منها ما عليك من دَينٍ، وتُصلِح بها حالك. وغدًا العيد، وأنتَ لم تشترِ بعدُ كبش الضحيَّة! وأقسمُ لولا أنني أريدُ مساعدتك، فإنَّ هذه النَّخلةَ لا تساوي عشرة جُنيهات"[1]، فالتاجر ينمّق أسلوبه بنداء الفلاح وكأنه يعنيه أمره، ويسعى إلى صلاح حاله (يا رجل!)، ولكنه نداء يبطن خلفه استغلال حالة الفلاح النفسية السيئة، ووضعه الاجتماعي المادي المأساوي، كما يتكئ التاجر في أسلوبه الحجاجي على تقنية القسم في محاولة إقناع الفلاح، وإثبات صدق كلامه، وتقديره لظروفه الاجتماعية، مدَّعيًا بذلك حرصه على سداد دينه، متبعًا القسم بتقنية حجاجية أخرى، من خلال المجيء بألفاظ التوكيد (أنَّ/ إنَّ)؛ لإثبات مصداقيته، وهو بهذه المساومة الزهيدة يحاول أن يستغلَّ طيبة الأخلاق التي يتَّسم بها محجوب ويستغفله لينال بذلك مُراده، وإلا فإنَّ حمار هذا التاجر قد سَئِم من أسلوبه، وتململ من وضعه الذي هو فيه، يصوِّر السارد ذلك الموقف بقوله: "وتململَ حمار حسين التاجر في وقفته. ولم يكنْ صاحبه قد ترجَّل عنه فإنه لم يردْ أنْ يُظهر لشيخ محجوب تلهّفه على شراء النَّخلة ذات البنات الخمس"[2]، وهذه

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٣.

(٢) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٣، وقد وردت كلمه: "لشيخ" هكذا، وذلك باللهجة السودانية الدارجة.

الصفقة التجارية لا شكَّ أنها تستحق ثمنًا أكثر مما أراد التاجر أنْ يدفعه ثمنًا لها، وهذا ما جعل صبر التاجر يفوق صبر حماره الذي يُضرب به المثل في الصبر، وقد أبان السارد عن جماليات هذه النخلة بأنها ذات بنات خمس، وليست وحيدة بمفردها، فقيمتها أغلى من لو كانت وحيدة، وبلغ بهذا الحمار – وهو غير عاقل – حدّ التبرم من مساومة هذا الطمّاع لأخيه الضعيف، فيصف السارد هذا الملل والسأم من هذه المساومة، ذات الثمن البخس بقوله: "وكأنَّه قد تبرَّم بهذه المساومةِ التي لم يكنْ من ورائها طائل"(١)، وفي ذلك إيحاء إلى رأفة الحيوان مع عدم عقلانيته مقارنة بمن يملك العقل، ولكن استغلال ظروف الآخرين، وعدم تقدير أوضاعهم قد أوقع التاجر في مهلكة الجشع، وهذه صفة ذميمة يكرهها المجتمع السوداني، وينفر منها، وهي دخيلة على عاداته وتقاليده الاجتماعية(٢)؛ بل إنَّ غرور التاجر قد جعله يهدِّد الفقير بالدَّين عندما تعوزه الحاجة، ولا يكون بمقدوره مسايرة الحياة إلا سلوك هذا الباب الذي منه يأتي ذلّ التاجر وإهانته للمستدين منه(٣)، وقد أشار بعضهم إلى إمكانية اختيار اسم آخر لهذه القصة الموسومة بـ: "نخلة على الجدول" التي وردت فيها هذه المساومة، فاختار عنوانًا آخر، وهو "المنّ على

(١) السابق، الصفحة نفسها.

(٢) انظر: مكي آدم سليمان، طبيعة المجتمع السوداني، ص١٢.

(٣) انظر: الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٠.

المستضعفين"، معللا ذلك بمناسبة هذا الاسم لجوِّ القصة المحيط بها، والإفادة من القرآن الكريم الذي ورد فيه هذا الاسم(١).

كما تتميز فئة التجَّار بلباسها المخمليِّ، وهندامها النفيس، ذي الثمن الفاحش، ومركوبها الحسن الذي يتسم بسمات الكبر والغرور، يصور السارد هيئة هذه الفئة قائلا: "حسين التاجرُ، بثيابه البيضاء الفضْفاضةِ، وعباءته السَّوداء التي اشتراها في زيارةٍ له للخرطوم، وعمامته من "الكرب" نمرة واحد، وحذائه الأحمر الذي لم تُخرجْ أيدي صنَّاع "المراكيب" في الفاشِر أجود منه، وحماره الأبيض البدين اللَّامع، والسّرج الأحمر المدهن، والفروة البنّية التي تدلَّت وكادت تمسُّ الأرض، كان صورة مجسمة للكبرياء والغطرسة"(٢)، فهذه الأوصاف التي يتسم بها التاجر حسين تعبِّر عن أخلاقيات فئة في المجتمع علاها الغرور والبذخ على نفسها، وفي النقيض فإنها تساوم غيرها على لقمة عيشها، وجشعها فيما لدى الآخرين، وقد اختار السارد عدَّة ألوان في وصفه للتاجر سواء أكان لثوبه، أو عباءته، أو حذائه، وكذلك مركوبه وما وضع عليه من سرج يشي بكبريائه واستعلائه على الضعفاء وطمعه في أموالهم، حتى لكأنك ترى الصورة ماثلة أمامك يجوس صاحبها الديار حاملًا قلبًا قاسيًا لم يقدّر حياة الشقاء التي منيت بها طائفة لا حول لها ولا قوة إلا الرضا بما كتبه الله لها من أمورٍ في حياتها الاجتماعية.

---

(١) انظر: د. أحمد محمد البدوي، الطيب صالح سيرة كاتب ونص، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص٥٥.

(٢) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٣- ٤١٤.

أما الفئة الأخرى: فهي فئة الفقراء، ويمثّلهم الشيخ محجوب، وهو رجل يعول أسرة لا تملك أضحيتها يوم العيد؛ بل لا تجد ملبسًا جديدًا لها، فهي أسرة يعلوها البؤس والحرمان، وقد صوَّر القاص حال محجوب وأسرته بقوله: "إنه لا يملك ثوبًا نظيفًا يخرج به إلى الصلاة، وليس عند زوجته غير "ثوبٍ زراق" اشتراه لها قبل شهرين نال من البلى وتراكمتْ عليه الأوساخ. أمَّا ابنته خديجة فقد كادت تفتّت قلبه ببكائها من أجل ثوبٍ جديدٍ تعرضه على لداتها وتعيّد به مع صاحباتها. ومن أين له جُنيهات ثلاثة يشتري بها خروفًا يضحِّي به؟"[١]، وقد اعتمد السَّارد في بيان حالة محجوب الاجتماعية على أسلوب النفي، فهو ينفي عنه امتلاك الأضحية، وينفي عنه استطاعته الحصول على ملبسٍ جديد ليوم العيد، ثم يتكئ السارد على الاستفهام الإنكاري الذي ينكر قدرة محجوب على توفير ثلاثة جنيهات لأضحيته، ولكن هذا الفقر عفيف النفس، جعل من أسرة محجوب تكابد الفاقة وتتجمَّل بأخلاقيات راقية، وقد بلغ الفقر بمحجوبٍ مبلغه، وزاد من سوء حالته الاجتماعية أنه أصبح وحيدًا يكابد الفقر والحاجة بعد سفر ابنه وانقطاعه عنه، يقول السارد: "وهكذا ظلَّ محجوبٌ يكابد الفاقة وحده، فاستدان ورهن وباع. وليس عنده اليوم من مال الدنيا إلا بقرة واحدة، وعنزتان وهذه النخلة التي ظلَّ جاهدًا يحاول استبقاءها"[٢]، فهذه الحال التي

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٤- ٤١٥.

(٢) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٩.

وصلت بالأسرة إلى الاستدانة من الآخرين، ثم رهْن ما تملكه لهم، وانتهاء ببيعه من أجل قضاء حاجات أسرته الضرورية تمثّل صورة بليغة تحكي صورة من صور الفقر والعدم لفئة من فئات المجتمع التي حُرمت من شفقة فئة ابتليت بداء الكبر والجشع.

ب – عقوق بعض الأبناء:

يوجد في كلِّ مجتمع بعض الخصائص السلبية التي يتصف بها بعض الأفراد، وقد تكون ظاهرة في الأفق، وقد تكون نادرة الوقوع، ومن سلبيات المجتمع السوداني التي أشار إليها الطيب صالح عقوق بعض الأبناء، فالابن حسن من هؤلاء الذين اتصفوا بذلك، فوالده يتمنى لو أنه كان بارًّا به، عطوفًا عليه، يقول السارد على لسان الشيخ محجوب: "ليت حسنًا كان مثلها عطوفًا بارًا"(١)، فهو يستخدم أسلوب التمني في أثناء حديثه عن ابنه، وبهذا يكون قد بلغ في العقوق عتيّا، على الرغم من عناية والده به عندما كان صغيرًا، فقد كان يساعده في مزرعته، وتربية أغنامه، ولكنه عندما كبر، وسافر إلى الدراسة في مصر انقطعت أخباره، يقول السارد: "حسنٌ ابنه الوحيد، سافر قبل خمسة أعوامٍ إلى مصر، ومن وقتها لم يرسلْ لهم حتى خطابًا واحدًا يُطَمئنهم فيه عن صحَّته"(٢)، وتظهر شدة جرْم هذا الابن بأنه وحيد والده، وليس له ابن غيره، مما كان يلزمه بره، ويتأكَّد حينئذ اهتمامه وعنايته بوالده،

(١) السابق، الصفحة نفسها.

(٢) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤١٩.

ولكن التوفيق جانبه، والعقوق لازمه من خلال انقطاعه التام عن والده، فخطاب واحد لا يكلّفه عناء ولا مشقة، ومع ذلك حُرم منه، وقد أُصيب والده بصدمةٍ كبيرة، كيف لهذا الابن الذي شبَّ يافعًا بين أحضانه، كيف له أن "يشبَّ عن الطوق، ويهجرَ الأهل والدَّار، وينسى حقوق الأبوَّة، ولا يسألُ عن الأحياء ولا الأموات"(١)، ويأتي السارد بجملة من الأفعال المضارعة (يشب، يهجر، ينسى، يسأل)؛ للدلالة على استمرارية عقوق الابن، وطول فترة غيابه عن والده، وهؤلاء الأبناء يربون في الصغر من قبل آبائهم حتى يكونوا ساعدًا لهم عند الكبر، ولكن هذا الابن خذل والده، يصور القاص ذلك بقوله: "وفي غمرةِ أتعابه، ومرير شيخوخته هجره ابنه حسن، وهو أحْوج ما يكون إلى ساعده الفتى"(٢)، ويصوّر السارد شدَّة حاجة الوالد المسنِّ لابنه الشاب في حالتين هزيلتين: عندما تكون حالته الصحية والجسمية في تعبٍ شديد، وفي أثناء بلوغه سنّ الشيخوخة التي يحتاج فيها الرجل الكبير إلى مَنْ يساعده وخاصة أقرب الناس إليه وهم أولاده، ولكن حالة العقوق تطغى على قلب الابن العاق تجاه والده الكبير، وكأنه بذلك تناسى وصية الله للإحسان بالوالدين وخاصة عند بلوغ الكبر.

ولم تكن حالة حسن السيئة مع والده حالة خاصة، فهناك صور أخرى في المجتمع السوداني، يصوّر ذلك الكاتب في قوله: "وفي بيتِ (ناس ستِّ

(١) السابق، ص٤١٧.

(٢) السابق، ص٤١٩.

البنات) انتظر محجوبٌ بين صفوف المستقبلين. وفي غمرة اضطرابه لم يفتْ عينه المستطلعة رجالٌ يعرفهم جاؤوا يسألون عن أبنائهم وأقاربهم، ونسوة يعرفهنَّ جِئنَ يسألْنَ عن أزواجهنَّ وأبنائهنَّ"[١]، فتصوير حالة الزوجات في انتظار أزواجهن، والآباء في انتظار الأبناء والأقارب، والأمهات في انتظار الأبناء صورة تشي بالحزن والكآبة، والقلق والاضطراب، ويعيش صاحبها تحت أزمة نفسية شديدة، وتدلُّ على عدم وفاء الطرف الغائب لمن احترق قلبه، وتعب عليه في الصغر، وأعدَّه للكبر، ولسداد الدَّين عندما تعوز الشيخوخة صاحبها، ويحتاج حينها الوالد إلى الأبناء لخدمته وقضاء حوائجه.

ت – الخمول والكسل:

يعدُّ الخمول من الصفات المذمومة في الحياة الاجتماعية، فهو مضيعة للوقت، مفسدة له، وتمرُّ الأوقات دون تحقيق ما يعود على الفرد والمجتمع بالخير والنفع.

وقد ذمَّ الطيب صالح في مجموعته القصصية الخمول، وحذَّر منه، وأبان عن كرهه للرجل الخامل، لما له من سلبية على نفسه وعلى مجتمعه، فقد حكى السارد عن الصبي الفطن عندما سأل جدّه عن جاره مسعود والعلاقة بينهما بقوله: "أظنّك لا تحبُّ جارنا مسعود؟ فأجاب بعد أنْ حكَّ طرف أنفه بسبَّابته: لأنه رجلٌ خامل، وأنا لا أحبُّ الرجل الخامل"[٢]، وهذا الخمول

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢١.

(٢) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٤، والصواب: مسعودا (بالنصب).

ناتج عن تفريط مسعود بالأرض الزراعية الكبيرة التي ورثها عن والده، نتيجة عجزه وكسله عن العمل فيها، فقد باع ثلثيها، وفرط بها، وقد كانت كنزًا ثمينًا لم يحسن استغلالها والإفادة منها في حياته الاجتماعية له ولأفراد أسرته بما تنتجه من محصول زراعي وفير، وقد اعتمد السارد على أسلوب الحوار بين الصبي وجده، وهو أسلوب سريع لمعرفة نتيجة التساؤل والتفكير الذي لحق بفكر الصغير، ومن خلاله تقصر الجُمل، وتتآزر مع بعضها لتخرج حبكة قصصية تشد القارئ، وقد أردف السارد – مع الحوار المتكئ على الاستفهام – أسلوب النفي في سياق ذمه الخمول، فهو ينفي محبة الجدِّ لجاره مسعود؛ لاتصافه بالخمول الذي كان سببًا في ضياع مصدر رزقه وسعادته، فكأنَّ السارد بهذا النفي – أيضًا – يعبر عن نظرة أفراد المجتمع إلى الخاملين، وكرههم لهم، وعدم إقرار صنيعهم الذي يحرم الفرد من الخير لنفسه، وكذلك مجتمعه في سبيل تطوره ونهضته وتقدمه، مع تصوير الجدِّ لحظة الإجابة عن التساؤل فهو يجيب بصورة هادئة، ممزوجة بحركة ظريفة – وهي حكُّ طرف أنفه بسبابته –، وهي تعبر عن استهجانه للصفات التي تحلّى بها مسعود، مما كانت سببًا في ضياع ثروته الاجتماعية.

د – الشغف بالزواج، والتسرع في الطلاق:

يعدُّ الزواج من الأمور التي تؤلِّف بين أفراد المجتمع ذكورًا وإناثًا، فقد ألقى الله المحبة والألفة بين الزوجين، ومن خلالهما تتكوَّن الأسر في المجتمعات، وتسودها السعادة والألفة بفضل الزواج الناجح الذي يتفاهم من خلاله الطرفان، ويؤدِّي كل واحد منهما حقَّه تجاه الآخر.

ولكن هذا الأمر ينبغي ألَّا ينقلب على عقبه، فيكون وسيلة لتأدية النزوات الشهوانية من قبل الرجال، وهذا ما ذمَّه الطيب صالح في مجموعته القصصية في أثناء حديثه عن تفريط مسعود في نخله، فقال على لسان الصبي: "وسألتُ جدِّي لماذا باع مسعودٌ أرضه؟ (النساء). وشعرتُ من نطق جدِّي للكلمة أنَّ (النساء) شيء فظيع. (مسعودٌ يا بنيَّ رجل مزواج كلُّ مرة تزوَّج امرأة باع لي فدَّانًا أو فدَّانين). وبسرعة حسبتُ في ذهني أنَّ مسعود لا بدّ أنْ تزوج تسعين امرأة"(١)، فهذه الزواجات الكثيرة، ليست مدروسة من قِبل مسعود الذي أكثر منها وأعقبها بالطلاق، مضيفًا إلى مجتمعه عبئًا اجتماعيًّا، وأوجاعًا أسرية بكثرة المطلقات، فهو أنانيٌّ لم يقدِّر حجم المسؤولية الاجتماعية، وإلا لما حصل منه ذلك الأمر، وعلى الرغم من إباحة الطلاق في الشريعة الإسلامية إلا أنَّ الله قد أبغضه، فقد روى ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "أبغضُ الحلالِ إلى الله تعالى الطَّلاق"(٢)، وقد اتخذ السارد أسلوب الحوار بين الصبي وجدِّه لمعرفة السبب الذي جعل مسعودًا يبيع نخله، فهذا الأسلوب أقرب للفهم والإقناع، وإيصال النتيجة التي يبحث عنها الصغير، ورغبة في معرفة سبب تفريط مسعود في أرضه الزراعية، كما أنَّ في إجابة الجدِّ، ونطقه لكلمة (النساء) بأسلوب ساخر، ونبرة غريبة، وكذلك إيراد كلمة (مزواج) بهذه الصيغة كان

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٥، والصواب: أنَّ مسعودا (بالنصب؛ لأنه اسم أنَّ).

(٢) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، (باب في كراهية الطلاق) ج٢، ص٢٢٠.

لهما أثر في إظهار خطيئة مسعود، وتجريمه أمام الصبي الذي يريد أن يعرف سرَّ تفريط مسعود بكنز ثمين كان لزامًا أن يحافظ عليه، ويستثمره فيما ينفعه، وينفع أسرته، ولكن الأنانية وعدم اكتراثه بالآخرين كانت سببًا في ضياع ثروته.

ج – الانتهازية:

يتصف المجتمع السوداني بطيبة النفس، ودماثة الخلق، وحسن التعامل مع الناس، ولذلك فإنَّ هناك من يستغل هذه الطيبة ولا يقدّرها، ويحاول أن يستأثر بالخير لنفسه ولو على حساب الآخرين، فصاحب النخل مسعود عندما جاء وقت الصرام، جاءه التجار وكل واحد منهم يحاول أنْ يأخذ جزءًا منه بثمن بخس، وهو ضعيف لم يقوَ على مقاومتهم، وقد صوَّر السارد هذا الموقف على لسان أحد الصبية، فقد شارك جدّه معهم شراء المحصول، يقول: "ورأيتُ مسعودًا يملأ راحته من التَّمر ويقرّبه من أنفه ويشمّه طويلًا ثم يُعِيده إلى مكانه. ورأيتهم يتقاسمونه. حسين التاجر أخذ عشرة أكياس. وموسى صاحب الحقل المجاور لحقلنا من ناحية الشَّرق أخذ خمسة أكياس. وجدِّي أخذ خمسة أكياس. ولم أفهمْ شيئًا"(١)، إنها استغلال طيبة الفلاح، وتقاسم ثرواته بمقابل زهيد لا يساوي ثمن هذا التمر، ويتكئ السارد في وصف المشهد على الصورة البصرية؛ إيغالًا في إظهار الحقيقة، وتصوير بشاعة صفة الانتهازية من قبل هؤلاء الشرذمة، مما سبب ألما نفسيًّا للفلاح المسكين،

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٧.

يسمعه من يقترب منه، ويصوّره الصبي بقوله: "وشعرْتُ بنفسي أقتربُ من مسعود... وسمعته يُحْدث صوتًا في حلقه مثل شخير الحمل حين يُذْبح"(١)، وهذه صورة مؤلمة، تثير الشفقة والحسرة، وقد اتخذ السارد بلاغة التشبيه للتنفير من صنيعهم، وإظهار قبحه، فهو يئنُّ أنينًا داخليًّا يسمعه مَنْ يقترب منه، وهو يشبه صوت شخير الحمل لحظة ذبحه، وما أقساها من قلوب! وقد أدرك الصبي الفعلة السيئة التي اجتمعوا عليها لاستغلال طيبة الفلاح الضعيف، واستهجن تصرفهم معه، وأعلن رفضه لصنيعهم، وهو الصغير سنًّا، الكبير عقلا، فقد رفض استغفال هؤلاء القوم للفلاح حتى وإن كان بعضهم قريبًا منه، "ولستُ أدري السببَ، ولكنَّني أحسستُ بألمٍ حادٍّ في صدري، وعدوتُ مبتعدًا. وشعرتُ أنَّني أكره جدِّي في تلك اللَّحظة. وأسرعتُ العدْوَ كأنَّني أحملُ في داخل صدري سرًّا أودُّ أنْ أتخلَّص منه. ووصلتُ إلى حافّة النهر قريبًا من منحناه وراء غابة الطَّلح. ولستُ أعرف السبب. ولكنَّني أدخلتُ إصبعي في حلقي وتقيَّأتُ التمر الذي أكلتُ"(٢)، وهذا التصرف العفوي من الصبي، والصورة التي سردها لنا الكاتب كناية عن التخلص من الآثام، وما اقترفه الطماعون بحقِّ محتاج ضعيف، فهو يريد أن ينجو بنفسه مع كره تصرفهم، ورفض ما قاموا به من عمل، وقد اتخذ السارد مكانًا بعيدًا لمحو ذنب ما اقترفه الطفل من مجرد مشاركته الاستغلالية بحقِّ إنسان ضعيف، وذلك في جريانه خلف الغابة ليعبر عن ندمه على فعله، ويجعل النهر يغسل

(١) السابق، الصفحة نفسها.

(٢) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٧.

ذنبه، ويؤوب إلى رشده، وهذا الموقف الذي تبناه الطفل هو موقف أفراد المجتمع السوداني الذي يتسم بالأخلاق الفاضلة، ويسعى إلى محبة الآخرين ويتمنى لهم الخير، ويرفض استغلالهم، وما هؤلاء الذين قاموا باستغلال طيبة الفلاح إلا شرذمة قليلون، ولا يمثّلون المجتمع السوداني لا عددًا ولا عدَّة؛ بل وصل الأمر إلى أكبر من ذلك، فلم يكن الرفض من الصبي وحده، فقد جاء – أيضًا – من الحيوانات الخاصة بهؤلاء المشترين، يصور السارد رفضهنَّ بقوله: "ووُضِعتْ أكياسُ التَّمر على الحمير والجمال، ونهقَ أحد الحميرِ، وأخذَ الجملُ يَرْغي ويصيح"(١)، فحمار التاجر حسين يعبِّر عن رفضه لهذا الشراء بالنهيق عندما تمَّ تحريمه بالعمل، ووضع الحمل فوق ظهره، وكأنه يشارك بهذه الجريمة، ويرضى بصنيعهم، وجمل الرجلين الغريبين يشارك بالاعتراض على هذا الصنيع، ويصيح بأعلى صوته، ويرغي ويزبد كناية عن الرفض، وعدم المشاركة أو الرضا في استغلال هذا الفلاح الضعيف، وشراء محصوله بثمنٍ بخس، وهذه المشاركة الاجتماعية بين هذه الحيوانات وحال الفلاح المسكين تعكس الواقع الاجتماعي الذي يتآزر فيه الضعفاء بعضهم مع بعض، ووقوفهم خلف محنهم وظروفهم المعيشية ومواساتهم على الوضع الاجتماعي الخاص بهم.

(١) السابق، ص٤٢٧.

ح – مجتمع غير صحي:

ذكر السارد عددًا من الأمراض، والحشرات المنتشرة في المجتمع السوداني زمن كتابة مجموعته القصصية، ويأتي في مقدمتها "ذباب البقر، النمتّة، الملاريا، الدسنتاريا".

وقد جاء في المنجز القصصي للطيب صالح إشارة إلى تأخر المجتمع في المجال الصحي، فانتشار الأمراض ووجود الحشرات دليل على عدم قدرة البلد على مقاومتها، وتخليص المجتمع من خطورتها.

ويشير الكاتب إلى خطورة السياحة في بلده، فالسائح سيجد ضررًا صحِّيا نتيجة الوباء الموجود هناك، ففي فصل الشتاء هناك خطورة من حشرة "النمتّة"، يحذر منها السارد بقوله على لسان أحد أفراد المجتمع: "لو جئتَ بلدنا سائحًا، فأغلب الظنِّ يا بنيَّ أنك لن تمكثَ فيها طويلًا. تجيئنا شتاءً وقت لقاح النَّخل، فترى سحابةً داكنةً ربضتْ على البلد. ليس هذا يا بنيَّ غبارًا ولا هو بالضَّباب الذي يثور بعد وقوع المطر. هذا سربٌ واحدٌ من أسراب (النمتَّة)"[1]، فنتيجة السياحة من وجهة نظر ابن البلد أنها ستكون وباء على السائح، وسيعود أدراج الرياح نتيجة الحشرة الضارة، ويُظهِر صاحب الدار نصحًا صادرًا عن قلبٍ مخلص للسائح فهو يناديه وكأنه ابنه، وبنداء التصغير المتكرر؛ لإظهار الشفقة والرحمة عليه، فأسلوب النداء والتصغير والتكرار تجتمع معًا للدلالة على خطورة الموقف في المجتمع، فهو

(١) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٢٧.

نداء يبحث من خلاله المنادي عن نجاة الطرف الآخر، ومحاولة إنقاذه من خطر يحيط به، كما اعتمد على أسلوب النفي في إظهار نتيجة السياحة (لن تمكث فيها طويلا)، فهي نتيجة تعكس أثرًا نفسيًّا سيئًا، إذْ إنَّ قدر هذا السائح هو العودة إلى بلده سريعًا، وعدم المكث زمنًا طويلًا في سياحته؛ بسبب ما وجده من أوضاع صحية سيئة تنهك جسده، وتفتك به.

ويعتمد السارد في إظهار خطورة هذه الحشرة على أسلوب القسم، فهو يقسم بأنَّ السائح لم يشاهد مثلها قبل، يقول: "لكنَّ هذا النوع منها أحلفُ أنك ما رأيته قطُّ"(١)، ويستخدم القسم مع من يشكِّك في الخبر حتى يصدّق الكلام، ويقتنع به، ويذهب عنه الشك في مدى رؤيته لمثل هذه الحشرات سابقًا، ثم يردف القسم بذكر شاهدٍ على تلك الخطورة التي وقف عليها بنفسه، فيسرد قصة حصلت لابنه مع أحد زملائه، يقول: "أذكرُ صاحبًا لابني يزامله في المدرسة، استضافه عندنا قبل عامٍ في مثل هذا الوقت، أهله من البندر، بات عندنا ليلةً، وأصبح متورّم الوجه، محمومًا مزكومًا، وحلف لا يبيتُ ليلة أخرى عندنا"(٢)، فالاعتماد على القصة عامل حجاجي، وبرهان قوي للدلالة على خطورة الأمر، وصعوبة العيش في مجتمع يعجُّ بالحشرات، وينتشر فيه المرض.

---

(١) السابق، ص٤٣٥.

(٢) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٣٥.

أما في الصيف فينتشر ذباب البقر، وهو يسبب خطورة جسيمة للإنسان، يصور ذلك السارد في أثناء حديث أحد أفراد المجتمع بعد أن حذَّر من خطورة حشرات الشتاء ليأتي التحذير من حشرات الصيف: "وتجيئنا صيفًا عندنا ذباب البقر، ذبابٌ ضخم كحملانِ الخريف، كما نقول بلهجتنا، ومن هذا البلاء أهون عليك "النمتة" ألف مرة، إنه يا بنيَّ ذباب متمرّس، يعضُّ ويلسع ويطنُّ ويزنُّ، وعنده حبٌّ عظيم لبني آدم إذا شمَّ رائحتهم لازمهم ملازمة"(١)، وقد حذَّر السارد من هذه الحشرة من خلال التشبيه بصورة مخيفة، متكئًا في مصدرها على اللهجة المحلية، إيغالًا في التخويف، وشدًّا للانتباه إلى توخِّي الحذر من الخطورة الناجمة من لسعة الذباب؛ لأنه متمرس بمشاكسة الآخرين، مع إبراز خطورته من خلال الصورة الحركية، فهو ذباب يتحرك نحو الإنسان، ويلازمه أينما يذهب، وإذا تمكَّن منه أزعجه طنينًا، وعضًّا، ولسعًا، وكأنه يتلذَّذ بتعذيبه بأيِّ أذى يستطيع أن يفعله، وهذه صورة في غاية القبح والبشاعة، فكأنَّ مهمته في هذه الحياة معاداة الجنس البشري، وإلحاق الأذى بهم، مع اتكاء السارد في إظهار الصدق في النصيحة على أسلوب النداء "يا بني"، وفي ذلك إظهار للشفقة، والخوف من المرض الناتج من هذه الحشرات، كما أنَّ القاصَّ "قد لجأ قصد الإبهار إلى تغليب الوظيفية التنبيهية في كلِّ مفصلٍ من مفاصل الحكاية، حتى يضمن التواصل:

(١) السابق، الصفحة نفسها.

تجيئنا... وتجيئنا"[١]، فالسارد قد عقد حلقة وصل لا تنفك مع السائح، فبدأ بأحد الفصول وأظهر خطورة ما فيه من حشرات وأمراض؛ ليجعل السائح يتابع حالته المرتقبة خلال الفصل الذي يليه من خلال كلمة "تجيئنا"، مما يشي بخطورة الأمر طيلة العام سواء أكان صيفًا أم شتاء.

ويستعين السارد في أثناء تصوير خطورة "ذباب البقر" بسرد قصة في مجتمعه، يقول: "مرة جاءنا واعظٌ أرسلته إلينا الحكومة ليقيم عندنا شهرًا. وحلَّ علينا في موسم لم يرَ ذباب البقر أسمنَ منه في ذلك الموسم. تورَّم وجه الرجل في اليوم الأول. وتصبَّر وصلَّى بنا صلاة العشاء في الليلة الثانية، وحدَّثنا بعد الصلاة عن مباهج الحياة في الفطرة. وفي اليوم الثالث أصابته حمى الملاريا، وأصابته الدسنتاريا، وانسدَّتْ عيناه تمامًا. زرته في عصر ذلك اليوم فوجدته طريح الفراش، يقف على رأسه غلامٌ يهشُّ عنه الذباب"[٢]، ويصور السارد خطورة تأثير هذا الذباب على المريض بقوله: "ولكنه رفع إليَّ وجهًا كأنه رئة بقرةٍ ذبيح، وكانت عيناه كما قلتُ لك مغلقتين، ولكنني كنت أعلم أنَّ وراء أهدابها مرارة"[٣]، وبذلك يظهر اعتماد السارد على التشبيه في كثير من سرده في أثناء تصوير خطورة الأمراض المنتشرة في المجتمع السوداني، ويأتي بمصادره التشبيهية من البيئة السودانية حتى تكون أقرب في إيصال المعنى إلى المتلقي، وفهم ما يريد أنْ يتمَّ إيصاله إليه، وفي النهاية فإنَّ الشيخ

(١) انظر: أحمد السماوي، في نظرية الأقصوصة، ص١٤١.

(٢) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٣٦.

(٣) الطيب صالح، الأعمال الكاملة، ص٤٣٧.

المرسَل للوعظ يلخِّص خطورة الأمراض المنتشرة في المجتمع السوداني برسالةٍ مختصرة إلى مرسليه يقول فيها: "ذبابُ البقر أكل رقبتي، والملاريا حرقتْ جلدي، والدسنتاريا غرستْ أسنانها في أحشائي. أقيلوا عثرتي يرحمكم الله. هؤلاء قومٌ لا حاجة لهم بي، ولا بواعظٍ غيري"(١)، ويعتمد الشيخ في حديثه على أسلوب الخبر بداية الكلام، لأنه يريد إخبار مَنْ أرسله بأوضاع المجتمع السوداني، وماذا عملت به حشراته من أمراض، ليتحول الأسلوب إلى الإنشائي الطلبي عن طريق أسلوب الأمر الذي يلتمس فيه الشيخ ممن أرسلوه بأن يرحموه ويعطفوا عليه مما أصابه، مع توجيه الدعاء لهم بالرحمة من الرحيم الودود على الرغم من حاجته للرحمة، وإيضاح واقع المجتمع السوداني بأنهم ليسوا بحاجة إلى أيِّ واعظ.

فهذه الأمراض التي سردها الطيب صالح في مجموعته القصصية، وبيان خطورتها تحتمل أحد أمرين، فإما أنها تحكي واقع المجتمع الصحي السيء في السودان، وخاصة الريفي منه، وكثرة الأمراض المنتشرة فيه، وخطورتها على أفراد المجتمع، وزوار هذا البلد من السائحين وغيرهم؛ ليضفي إلى عمله السردي مصداقية وقبولا لدى المتلقي، وهو ما أميل إليه، فهذه هي الرسالة الأدبية التي يملكها الأديب، ويشارك بها القرَّاء، ويحاول إصلاح أوضاع مجتمعه بأسلوبه الخاص، وطريقته البليغة، فهو يملك حسًّا خاصًّا، ورسالة هادفة يوصلها بما حباه الله من بيان وفصاحة.

---

(١) السابق، ص٤٣٧..

أو كما أشار إليه أحد الدراسين بأنَّ ذلك من قبيل الرمز لتراث القرية التي حافظ عليها أهلها من تدخل الغرباء فيها، وما هذه الحشرات في فصل الصيف والشتاء ممثلة بحشرات "النمتة، وذباب البقر" إلا جنود مجندة لطرد الغرباء عن "دومة ود حامد"، وحمايتها من أيّ تشويه قد يلحقها من الحضارة الحديثة المفروضة مما قد يفد عليها من المؤثرات الخارجية شتاء وصيفا[1]، وأرى أن هذا تفسير بعيد.

***

(١) انظر: مختار عجوبة، القصة الحديثة في السودان، ص٢١٨.

خاتمة البحث:

وبعد هذا العرض السريع عن "ملامح المجتمع السوداني في قصص: دومة ود حامد"، للطيب صالح، فقد خرجتِ الدراسة بنتائج أهمها:

- المكانة العالية التي يتمتع بها الأديب السوداني الطيب صالح، وخاصة في مجال : القصة.
- عرضت قصص الطيب صالح ملامح المجتمع السوداني بصورة تجمع بين الحقيقة والخيال، وبين الإيحاء والمباشرة، وجميع ذلك في سبيل حرص الكاتب على نهضة مجتمعه، وتطوره وتقدمه.
- صوَّر الطيب صالح المجتمع السوداني – وخاصة الريفي – من خلال مجموعته القصصية "دومة ود حامد"، وقد خرجت الدراسة بالعديد من الملامح الإيجابية التي يفخر بها كل سوداني، وتتلخّص في: وجود بعض المهن الاجتماعية، وأهمها: الفلاحة، والرعي، والتجارة التي يسعى من خلالها الرجل السوداني إلى الرزق الحلال، كما اتسم المجتمع السوداني بتقاليد خاصة في مناسبات الزواج، وتتمظهر في زواج الأقارب، وبعض الملبوسات المصاحبة للزواج، وما يصاحب هذه المناسبة من أغانٍ وأهازيج وأفراح، وهناك تسمية المولود التي يحرص عليها الفرد السوداني، فهو يحب أن يطلق اسم مولوده على مَنْ كان له فضل على والدي الصغير؛ وفاءً له وتقديرا، ومن أبرز ملامح المجتمع السوداني الإيجابية: سمة التكاتف الاجتماعي بين الأفراد، وتعاونهم فيما بينهم، وقوة ترابطهم مع بعض، كما أنَّ البر بالآباء والأجداد سمة واضحة في قصص الطيب صالح، ومن

الملامح الإيجابية: صفة العطف على الصغير ومحبته، وتشجيعه على صفات الخير وما يعود عليه بالنفع والصلاح، ومن الملامح الإيجابية أيضًا: حقوق الفرد الاجتماعية المتمثلة في مجانية التعليم، والعلاج الصحي، وكذلك طبيعة الحياة الخشنة التي يعيشها الرجل السوداني، وقوة تحمله الصعاب، وقسوة الحياة، وبساطة الإنسان السوداني، ومحبة أفراد المجتمع في إطلاق الكنى على سبيل الظرافة والفكاهة، وبروز الجانب الثقافي المتمثِّل في حرصهم على تربية أبنائهم على حفظ القرآن الكريم في المساجد، وكذلك حفاظهم على المتاحف التي تحفظ موروثهم وتقاليدهم الاجتماعية التي يفخرون بالانتماء إليها، والملابس الرجالية الخاصة بهم من خلال لبس العمامة البيضاء، والثوب الواسع الفضفاض الذي يميزهم عن غيرهم من المجتمعات، ووسائل النقل المتيسرة لأفراد المجتمع لقضاء حوائجهم وعدم ركونهم وتقاعسهم لعدم وجود الوسائل الفارهة.

- أبان الطيب صالح عن بعض الملامح السلبية في مجتمعه، مبينًا خطورتها، ومتمنيًا اختفاءها، ومنها: التفاوت الاجتماعي بين طبقتي الفقراء والأغنياء، مع ظهور العقوق عند بعض الأبناء، ولكنها صفة قليلة لا تصل حدَّ الظاهرة على الرغم من وجودها، ومن ذلك: صفة الخمول والكسل التي حذر منها وأبان عن خطورتها، وكذلك : كثرة الزواج والتسرع في الطلاق، وما يترتب عليه من مفاسد وأضرار، فهو زواج لم يبنَ على أساس من التريث والحكمة، كما أن الانتهازية واستغفال الطيبين، وخاصة فئة الفلاحين عادة ذميمة لم يرضها القاص لأفراد مجتمعه، فحذّر

منها، وهناك انتشار بعض الأمراض في المجتمع في جميع فصول السنة، مما يستوجب العمل على القضاء عليها، والسعي نحو مجتمع آمن، خالٍ من المنغصات والمكدرات.

وبعد:

فإنَّ هذا البحث قد حاول دراسة المجتمع السوداني من خلال قصص "دومة ود حامد" للأديب والقاص السوداني الطيب صالح، ولعل فيه ما يفيد القارئ الكريم، وتكون هذه الدراسة لبنة من لبنات الدراسات الأدبية النقدية لأدبنا العربي الخالد بوجه عام، والأدب السوداني بوجه خاص.

***

ثبت مصادر البحث ومراجعه

- إبراهيم خليل، تأملات في السرد العربي، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- أحمد السماوي، في نظرية الأقصوصة، مطبعة التسفير الفني، ٢٠٠٣م.
- أحمد محمد البدوي، الطيب صالح سيرة كاتب ونص، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- الأصمعي أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك، الأصمعيات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبدالسلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
- الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، هيثم عبدالغفور، دار الرسالة العالمية، دمشق، الجمهورية العربية السورية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- حسن محمد جوهر وآخرون، السودان "أرضه وتاريخه وحياة شعبه"، د. ن، د. ط، ١٩٧٠م.
- حلمي محمد القاعود، تطور النثر العربي في العصر الحديث، دار النشر الدولي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
- طلعت إبراهيم لطفي، مبادئ علم الاجتماع، مؤسسة الأنوار للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
- طه عمران وادي، القصة بين التراث والمعاصرة، نادي القصيم الأدبي، بريدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- الطيب صالح، الأعمال الكاملة، مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أم درمان، السودان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

- عادل فريجات، الخطاب وتقنيات السرد في النص الروائي السوري المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٩م، "سلسلة الدراسات رقم: ٥".
- عبدالعزيز حسين الصاوي، أزمة المصير السوداني (مناقشات حول المجتمع والتاريخ والسياسة)، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- فؤاد قنديل، فن كتابة القصة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- مجموعة من الكتاب العرب، الطيب صالح عبقري الرواية العربية، دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.
- مختار عجوبة، القصة الحديثة في السودان، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.
- مختار محمد، وفاطمة عبدالسلام شربي، مدخل إلى علم الاجتماع، دار غريب، القاهرة، د.ت.
- مكي آدم سليمان، طبيعة المجتمع السوداني، الناشر: المؤلف، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

***

REFERENCES

- Ibrahim Khalil, Reflections on the Arabic Narration, Fadaat for Publishing andDistribution, Amman, Jordan, First Edition, 2011 AD.
- Abu Dawud Sulaiman bin Al-Ash'ath Al-Sijistani, Sunan Abi Dawood, Dar AlKitab Al Arabi, Beirut, First Edition, 1409 AH.
- Ahmad Al-Samawi, The Theory of Short Story, Ceresbookshop, 2003 AD.
- Ahmad Muhammad Al-Badawi, Al-Tayeb Salih, Biography of a Writer and Text, Aldar Althaqafiya for Publishing, Cairo, First Edition, 1422 AH, 2002 AD.
- Al-Asma`i Abu Saeed Abdul-Malik Bin Qareeb Bin Abdul-Malik, Al-Asma`iyat, reviewed and explained by: Ahmad Muhammad Shaker, Abdul-Salam Haroun, Fifth Edition, Dar Al Maarif, Cairo, 1979
- Al-Imam Al-Hafiz Abu Issa Muhammad bin Isa bin Surat Al-Tirmidhi, Al-Jami' (Sunan Al-Tirmidhi), reviewed, verified and commented on by: Shuaib Al-Arna`ut, Haitham Abdul-Ghafoor, Al-Resalah Al-A'lamiah, Damascus, Syrian Arab Republic, First Edition, 1430 AH, 2009 AD.
- Hassan Muhammad Jawhar et al., Sudan "Its Land, Its History, and the Life of its People", n.d, n.ed. I, 1970 AD.
- Helmy Muhammad Al-Qaoud, The Evolution of Arabic Prose in the Modern Age, International Publishing House for Publicity and Distribution, Riyadh, First Edition, 1429 AH, 2008 AD.
- Talaat Ibrahim Lotfi, Principles of Sociology, Al-Anwar Foundation for Publishing and Distribution, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, Second Edition, 1984 AD.
- Taha Omran Wadi, The Story. Between Traditionalism and Modernism, Al-Qassim Literary Club, Buraidah, first edition, 1421 AH.
- Al-Tayeb Salih, Complete Works, Abdul Karim Mirghani Cultural Center, Omdurman, Sudan, First Edition, 2010 AD.
- Adel Freijat, Discourse and Narration Techniques in the Contemporary Syrian Fiction Text, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 2009 AD, "Studies Series No. 5".

- Abdulaziz Hussein Al-Sawy, The Crisis of the Sudanese Fate (Discussions on Society, History and Politics), Sudanese Studies Center, Cairo, First Edition, 1999 AD.
- Fouad Qandil, The Art of Writing the Story, The General Organization of Culture Palaces, Cairo, 2002 AD.
- A Group of Arab Writers, A-Tayeb Salih, the Genius of the Arabic Novel, Dar Al-Awda, Beirut, third edition, 1981 AD.
- Mukhtar Ajouba, Modern Story in Sudan, House of Authorship, Translation and Publishing, University of Khartoum, First Edition, 1972 AD.
- Mukhtar Muhammad, and Fatima Abdel Salam Sharbi, Introduction to Sociology, Dar Gharib, Cairo, n.d.
- Makki Adam Sulaiman, The Nature of the Sudanese Society, Publisher: The Author, 1412 AH, 1992 AD.

***

III. Documentation:

١. Footnotes should be placed in the footer area of each page respectively..

٢. Sources and references must be listed at the end.

٣. Sample images of the verified/edited manuscript should be inserted in their respective areas.

٤ - Clear pictures and graphs that are related to the research should be included in appendices.

IV. In case the author is dead, the date of his death, in Hijri calendar, is used after his name in the main body ofthe research.

V. Foreign names of authors are transliterated in Arabic script followed by Latin characters between brackets. Full names are used for the first time the name is cited in the paper.

VI: Submitted articles for publication in the journal are refereed by two reviewers, at least.

VII. The modified articlesshould be returned on a CD-ROM or via e-mail to the journal.

VIII. Rejected articleswill not be returned to authors.

IX. Authors are given two copies of the journal and fifteen reprints of their article.

Address of the Journal:

All correspondence should be sent to the editor of the Journal of Arabic Studies:

Riyadh,١١٤٣٢ P.O. Box ٥٧٠١
Tel: ٢٥٨٢٠٥١ - Fax ٢٥٩٠٢٦١
www. imamu.edu.sa
E.mail: arabicjournal@imamu.edu.sa

Criteria of Publishing

The Journal of Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University for Arabic Studies is a peer reviewed journal published by the Deanship of Scientific Research on UniversityCampus.It publishes scientific research according to the following regulations:

I.Acceptance Criteria:

١.Originality, innovation, academic rigor, research methodology and logical orientation.

٢. Complying with the established research approaches, tools and methodologies in the respective disciplines.

٣. Accurate documentation.

٤. Language accuracy.

٥. Previously published submissions are not allowed.

٦.Submissions must not be extracted from a paper, a thesis/dissertation, or a book by the author or anyone else.

II.Submission Guidelines:

١. The author should write a letter showing his interest to publish the work, coupled with a short CV and a confirmation that the author owns the intellectual property of the work entirely and that he will not publish the work without a written agreement from the editorial board.

٢. Submissions must not exceed ٥٠ pages (A٤).

٣. Submissions are typed in Traditional Arabic, in ١٧-font size for the main text, and ١٤-font size for footnotes, with single line spacing.

٤. A hard copy and soft copy must be submitted with an attached abstract in Arabic and English that does not exceed ٢٠٠ words or one page.

Editor –in- Chief

Prof. Ibrahim Ibn Abdulaziz Abu Haimed
Applied Linguistics- Institute for Teaching Arabic Language- Al-Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Prof. Ibrahim Ibn Mohammad Abanami
Literature department College of Arabic Language - Al- Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Pro. Mohammad Mohammad Abu Musa
Department of Rhetoric and Criticism- Faculty of Arabic Language- Al-Azhar University

Prof. Nawal, Bint of Ibrahim Al-Hilweh
Arabic Language department- Faculty of Arts - Princess Nourah Bint Abdul Rahman University

Prof. Yusef Ibn Abdullah Al-Aliwi
Department of Rhetoric and Criticism- College of Arabic Language- Al- Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University

Editorial-secretary
Prof. Mamdouh Ibrahim Mahmoud

Deanship of Scientific Research

Chief Administrator
H.E.Prof. Ahmed Ibn Salem AL-Ameri
President of the University

Deputy Chief Administrator
Prof. Abdullah ibn Abdulaziz Al-Tamim
Vice Rector for Graduate Studies and Scientific Research

Editor –in- Chief
Prof. Saud Ibn Abdulaziz Al-Hanin
Grammar Department- College of Arabic Language

Managing Editor
Dr.Ibrahim Ibn Nasser Al-Shakari
Associate Professor in the Department of Grammar, Morphology, and Philology - College of Arabic Language